

الدخيل

الدخيل

رواية

أحمد غنيم

تصميم الغلاف: محمد علي

رقم الإيداع: 2020/2427

I.S.B.N:978- 977-6640-87-0

الطبعة الأولى 2020م



للنشر والتوزيع

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر: د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01147633268 - 01099387500

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com

Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة ©

أحمد غنيم

الدخيل

رواية



"الحرب خدعة" جُملة يقولها القادة وهي حق.. أما تفسيرها أنها خدعة لأنها تخدع الجميع وتقودك لإراقة الدماء.. تبدأ الأمر باحثًا عن حق لك وتصبح لعنتك.. ستعشق الغنائم والأساطير التي تروى عنك.. ستفتن بقواك.. وتصبح قاتلاً مأجورًا لنفسك التي ستقودك نحو الهاوية".

حيمان

قال ذات يوم من وقتنا الحاضر

كنت قاب قوسين أو أدنى من الفشل بل فاشلاً.. ربما اتخذت من الخوف ذريعة تحملني بين طياتها حتى أغيب عن أعين البشر.. أخشى تلك النظرات العابسة.. لا أريد أن يشفق علي بعضهم.. لا أبتغي سوى مرضاة نفسي.. اليوم الحاضر لا يحمل الآمال لأمثالي.. تعلمون ذلك يا من ضاقت بكم الأرض بما رحبت وعشقتكم سكون الليل.. يا من تعشقون الظلام ويظنه البعض ظلمات.. ولكننا لدينا البصيرة التي اقتلعت جذورنا من عالم قاس.

لن يحدث فارق بين عالم قاس وعالم يا نس.. أنا عالمي اليأس وهم عالمهم سمته القسوة المطلقة.. لا يجيد سوى القوة المطلقة.. وأنا لا امتلك سوى قوة القراءة.. بالطبع ليست مطلقة لكنها تصبرني على واقعي التعيس..

"تامر" هذا اسمي فتى طعين بالشيب ومنبوذ من شبابه.. عمري خمسة وعشرون عاماً.. استغرق العلم عمري ويا ليت الجهل كان صديقي.. فعندما تتعلم الكثير لن تعلم أي شيء.. لذلك تضيع العمر بين حب العلم ولن تصل سوى إلى قطرة من محيط مُحاط بلا نهاية.

"هكذا قلت" بل تمنيت ولكن لا بد أن أتعلم..

لقد مرّ عامان منذ تخرجي في المرحلة الجامعية "ليسانس آداب فلسفة".. لذا لا تكل من نظرتي الفلسفية للأمور.. دائماً ما نظرت إلى هذه الحياة نظرة أخرى غير التي تنظرون.. لقد عملت بكل شيء تقريباً وجنيت لا شيء أيضاً.. أبي يشفق علي.. أمي تحدجني بنظرات واهنة تزيد وهني.

اليوم أنا عاطل عن العمل منذ ثلاثة أشهر تقريباً ولا أخرج سوى لشراء بعض من الكتب.. القراءة تأخذني من عالمي التعيس ولذا أعشقها..

ولكن دعوني أعود بكم إلى قبل كتابة تلك السطور بشهر تقريباً.. ذلك اليوم لن أنساه ما دمت حياً.. كان اليوم من شهر أغسطس لعام ألفين وثمانية عشر.

أغسطس ٢٠١٨

أشرفت الشمس كعادتها تعتلي أشعتها وسادتي من نافذتي غير المغلقة.. وأصوات زقزقة العصافير كعادتها توقظني لأنظر ملياً إلى الفراغ.. كان ذلك تنبيهاً يومياً.. وكأنها تنادي "قم يا تامر".. حاولت أن استيقظ بعين تجاهد أشعة الشمس البراقة التي تلتصق في عيني بما يكفي لجعل الاستيقاظ مهمتي الصعبة الأولى.. عندما استيقظ دائماً ابتسم ولا أعلم سرّ تلك العادة ولكنها رائعة بما يكفي لتصبح عادة.. وعلي وجل قمت وارتديت ملابس ملاسي دون تناول طعام الإفطار فخالص صديقي ينتظرني بأسفل منزلي.. اليوم سنتسوق بشارع النبي دانيال لشراء بعض من الكتب لننتشارك بها.. خالد هو من جعلني أعشق الكتب والقصص.. لا يفرق عني بالكثير فالمرء على دين خليله.. لم نضع خطط اليوم سوى لشراء الكتب والعودة سريعاً إلى المنزل..

عاد صوت هاتفني ثانية فأجبتته ونزلت درجات السلم مسرعاً حتى وصلت إلى صديقي خالد.. فصافحته بحرارة قبل أن يستطرد:

يكفيك نوم يا تامر.. سنضيع يومنا المليء بالأحداث الهامة

. أتمزح؟! بالطبع أحداث هامة وسنعود فوراً.. لا أنوي أن أضيع اليوم سوى بقراءة أحد أعمال الرائع ديستوفيسكي.. ما رأيك بالجريمة والعقاب؟

.رواية شهيرة ولكني أفضل الأدب المصري الحديث

نظرت إليه ممتعاً وقلت:

كف عن هذا.. لابد أن تقرأ لرواد الأدب حتى تتثقف

فقال بعجل:

. هل سنضيع اليوم بمناقشة في أنواع الأدب؟!

. لا هيا بنا

أمضينا طريقنا إلى الكورنيش لنستقل سيارة أجرة إلى شارع النبي
دانيال.

اقتربت أنا وخالد صديقي من شارع النبي دانيال من جهة الكورنيش
وكعادتنا لا نتحدث كثيراً.. خطواتي تسبق خالد فهو قصير القامة يرتدي
عوينات طبية بالكاد ينتبه لخطواته بينما أنا طويل القامة.. حاد الملامح..
كث اللحية.. وذو شعر منسدل على كتفي.. صرت أمضي مسرعاً كعادتي
وعند مدخل الشارع نظرت خلفي ولكن لم أجد خالد صديقي.. نظرت
مرات ومرات دون جدوى حتى دلفت إلى الشارع.. وبعد عدة خطوات
تحسست هاتفني لأتصل به لكن لا تغطية.. فتعجبت نحن بمنتصف
الإسكندرية بأقوى منطقة للإرسال.. وذلك يعد لا شيء فيما هو قادم.

عندما دلفت إلى شارع النبي دانيال المزدهم دائماً والمليء بالمارة
وأكشاك الكتب كان خاوياً.. ذلك ما زاد من دهشتي فالساعة الآن
الحادية عشرة صباحاً ولكن ربما هي الإزالة.. هكذا وجدت المبرر في
نفسي.. لا مارة.. لا محلات.. ولا أكشاك سوى من كشك واحد في منتصف
الشارع تقريباً.

كان كشكا خشبيا ذهبي اللون وموضوع الكثير من الكتب أمامه.. بدت الكتب كمجلدات قديمة جدًا .. لم أرمثلها سوى بأفلام الخيال العلمي التي تتحدث عن الرعب وما شابه ذلك.. اقتربت أتفحص الكتب.. ولكن هناك واحد شعرت أنه يناديني.. يدي تتحرك نحوه.. تحسست ملمس الكتاب.. كان له جلد غليظ بني اللون وأوراق قديمة جدًا.. عندما أردت أن أفتحه ظهر ذلك العجوز وقال بصوت أجش.

. ممنوع القراءة هنا

فأجبت مستفهمًا:

.ولكن أريد أن أعلم ما بداخله

فابتسم العجوز وكشر عن أسنان بيضاء كاللؤلؤ ثم أضاف:

. سيعجبك كثيرًا

فأومأت رأسي إيجابًا:

. كم سعره؟

. عشرة جنيهات

. لكن هذا قليل

فقال مبتسمًا:

. العلم لا يشتري يا بني.. هو لك إن شئت دون مال

. لا يصح ولكن لا أحمل سوى مائة جنيه ها هي

فقال محرّكًا رأسه يمنة ويسرة:

. لا يوجد فكة

. إذن سأذهب وأعود لك

وعندما أردت أن أغادر صاح مناديًا خذ هذا الكتاب معك..

أخذت الكتاب وكما قلت من قبل كان الشارع خاليا تماماً.. فاضطرت للعودة من حيث أتيت حتى أفك هذه المائة جنيه وأحضر له النقود.. وعندما حصلت على ما أريد عدت تجاه الشارع.

ولكني لم أعد إلى الشارع بل استيقظت على سريري ثانية.. فقلت في نفسي ربما حلّم ورد في خاطري.. فلدي الخيال الخصب.. وربما مسلسلات الرعب جعلتني أتصور ذلك.. لكني استيقظت أحتضن هذا الكتاب كما كان في حلمي.. تناولت هاتفي وسألت خالد عن ذهابنا إلى التسوق فقال إنه متعب ولن يغادر منزله.. فتحت الكتاب فوجدته خاليا تماماً من الحروف والكلمات.. فابتسمت وارتضيت أن أضعه في مكتبي بين كتيبي..

كنت أسرد عليكم ما حدث ذلك اليوم.. بالطبع هي قصة لا تصدق.. ولكن ما لن يصدّق ما هو قادم.. بعد بضعة أيام منذ ذلك الحادث قررت أن أفتح ذلك الكتاب وأرى ما بداخله لكن هذه المرة كل شيء قد تغير.. فقد ظهرت الحروف والكلمات.. وما كانت سوى مذكرات لشخص ما.. لا أعلم من هو.. ولكن الصفحة الأولى بها ما جعلتني أتردد إلى الآن أن أقرأ ذلك الكتاب.. فمنذ ذلك اليوم وقد توقفت عن القراءة وعن كل شيء سوى تناول الطعام والنوم.. صديقي خالد لم أعد أراه..

عندما فتحت الصفحة الأولى كانت عبارة مختزلة

"السلام عليك.. لا يلقاه أحدهم بغتة.. استعد لكي تتغير حياتك إلى الأبد.. إن لم تكن متأهباً فلا تقرأ"

وهكذا كما قيل في ذلك الكتاب إلى اليوم لا أعلم ما سيحل بي إن قرأته.. واليوم بعدما اتخذت أشهر في التفكير قررت أن أطلع على ذلك

السّرّ.. ربما يكون مجرد دعاية ولكن قلبي ينتفض كلما لامسته.. لعل
ذلك من خلال الطريقة التي عثرت عليه بها..
اليوم هو يوم فارق في حياتي.. فربما ستتغير كثيراً بعدما أقرأ.. لعل ما
زادني من يأس يمضي وأجد به ما ينفعني..

في غرفتي كنت أحيى ذلك الكتاب عن أعين الناظرين بين الكتب بمكتبتي الصغيرة.. كانت مكتبتي مواجهة تمامًا لمكتب في مقدمة الغرفة خلف الباب تقريبًا.. ووضع سريري بالقرب من النافذة مبتعدًا بضعة خطوات عن تلك الصومعة.. لا أعلم سبب ذلك الخوف في نفسي الذي دفعني أن أحكم إغلاق الباب قبل أن أشرع بالقراءة.. كنت خائفًا من لا شيء أو أن الرعب تملك مني.. ربما حلقات الرعب الأجنبية لاقت سبيلها في نفسي حتى تجعلني أتوجس خيفة من ذلك.. بعد أن أحكمت إغلاق الغرفة جيدًا تناولت ذلك الكتاب وجلست على مكتبي وبدأت أتحمس ملمسه.. هو تحفة رائعة الكمال وبدأت بفتح الصفحة الأولى..

"السلام عليك.. لا يلقاه أحدهم بغتة.. استعد لكي تتغير حياتك إلى الأبد.. إن لم تكن متأهبًا فلا تقرأ"

نعم قرأت ذلك من قبل.. ماذا بعد؟!

تصفححت وصولاً إلى الصفحة الثانية.

الإسكندرية كم أعشقها!! تلك الحرة الثائرة.. الطفلة المدللة للتاريخ.. والأم الحكيمة لبلدي مصر.. ثائرة هي على الاحتلال.. ثائرة على الأقدار.. بناها الإسكندر حتى تحكم العالم.. ولم يكن يعلم أنها ستحكم هي ومصبرها بقوى الحديد والنار.. وتصبح بين فك المطرقة والسندان.. هي رائعة.. وطني الذي اشتقت إليه.. تمنيت أن تتجسد ببشر حتى أطلب زواجها.. تمنيت أن أراها ثانية ولكن ربما هي قصة أخرى.. الإنجليز تحاملوا عليها.. والحرب جعلت منها خادما للمعتد.. معاهدات كتبت

وقالوا حلفاء وربما سنساق بحرب ليس لنا بها طاقة.. كلمات رائعة عن تلك المدينة من أحد شبابه الذين عشقوها لحد الجنون.

ستعجب من تلك الكلمات عندما تعلم أنني سارق.. وأكتب تلك الكلمات بالغزل العفيف لوطني.. جميعنا نتغير ويبقى حب الوطن بذات صدورنا شفاء وعشقا وهياما.

لا يهم اسمي الآن فلم أعد استخدمه فقد نادوني باسم آخر أعجبي ربما ستعرفه قريباً.. كنت أحيا حياة مقيمة مميّنة بل كنت ميتا يمشي على رجلين.. رجل يكسب رزقه من الاعتداء على ما ليس له.. وشتان بين اليوم والبارحة..

ستقرأ تلك القصة كمذكرات ربما.. وربما ستقرأها كرواية.. بل قبل أن أشرح بسردي ما حدث.. أقسم بأن كل ما حل بها حقيقة.. وحتى تعي ما يقال.. أتمني ألا تقرأ بعقلك بل بقلبك.. وأجعل قلبك يستمع لكلماتي وملحمتي جيداً.. لتعي رسالتي عندما تنتهي..

هل بدأنا؟!

أري أنك لا تجيب.. حسناً لنبدأ ما حدث ولا تتعجب..

يناير ١٩٤٠

عند غروب الشمس.. وعندما تدمي السماء بلونها الأحمر أتذكر الموت.. أتذكر الشهداء والقبور.. الحرب وما صنعتها بشعوب مغلوبة على أمرها.. وأصبح العالم على شفى نهايته.. عند كل غروب أجلس على شاطئ البحر أنظر إلى أمواج الشاطئ المتلاحقة التي تهادى وتعود بغثة.. أتشمم النسيم المرهف وكلمات الموج التي لا يسمعها مثلي.. لعل البحر يناديني اليوم.. كنت نائماً على الرمال بعين جاحظة تنظر إلى السماء وتترقب المغيب حتى تبدأ رحلة رزقي وأحصل على قوت يومي.. شردت بأمر

مصر.. بأمر وطي.. ودمعت عيني كثيرا حتى لم أجد فائضا للدمع ولم أجد بدءا من البكاء.. فابتسمت وضحكت مضطربا ساعة على حالي حتى غابت الشمس وبدأت أتحرك.. مشيت كثيرا.. لم أحسب خطواتي جيدا.. تلبدت السماء بالغيوم وثار البحر وتتابعت الأمطار فوق رأسي.. فشعرت بنشوة عارمة وخلعت نعلي.. كنت أركض على رمال الشاطئ نائرا متوجسا.. لا أخشى أن يضربني البرق.. الحياة لا تسوى في نظري لحظة نشوة.. وبينما أنا أمضي إذ بالبرق يضرب رمال الشاطئ.. فشعرت بكهرباء تسري بجسدي.. كنت أشعر أنني مت ولكن معجزة هي!! فأنا ما زلت حيا بل صرت أركض بما لدي من قوة أكثر.. افترشت الأرض بخطواتي وكأن البرق يلاحقني ويتبعني, فصرت أهرب منه يمينا ويسارا حتى ضرب البرق رقعتي التي أقف عليها.. سهران متقاطعان شكلا مثلثا جعلني بداخله وزادت الكهرباء بجسدي.. فصحت يا الله..

هل هو الموت؟!

هل سألقى ربي محملا بأثامي؟!

لم أشعر بعدها بأي شيء حولي وغبت عن حاضري بين الموت أم الحياة.. لا أعلم ولكنني حي أرزق.. فلتعتبرني حيا لأنك تقرأ كلماتي وقصتي.

فتحت عيني وكنت ملقى بجسدي على صخور حمراء اللون.. هكذا ظننت ببداي الأمر حتى أيقنت أن الدم الذي نرف من رأسي كسا تلك الصخور بالحمرة.. الرؤية مشوشة تقريبا.. أكاد لا أرى شيئا رغم بزوغ الشمس ووضوح النهار.. تحسست رأسي من الألم.. نزفت كثيرا وتضورت جوعا.. وبينما أنا ممدد وجدت نباتا قصيرا تتدلى منه وريقات حمراء.. لم تكن بالكثيرة ولكن غريزة البقاء جعلتني اقتطع وريقات من تلك النباتات وأتناولها.. فشعرت بأني قوي.. تحسست موضع الدماء وجدته شفي تماما.. فحمدت الله ووقفت أنظر حولي بدأت الدهشة للتو عندما نظرت

إلى السماء.. كانت زهرية اللون وأين ذهب الزرقة؟!.. لم أر الشمس تلوح بالأفق ولكني استشعر نورها وعلينا برز نجم أو كوكب لا أدري ما رأيت.. قلت في نفسي كم أنت رحيم يا الله.. لقد أخذني الموت إلى الجنة ولكن أنا بصحراء قاحلة..

عدت أنظر حولي صخور خضراء اللون وزرقاء.. بينما هناك على مرمى البصر تلك الجبال الذهبية.. كنت ربما على قمة أصغر جبل منهم تشكل حلقة دائرية حول وادٍ كبير جداً.. لا أعلم أين أنا؟!..

جلست قليلاً من الوقت شاردًا.. أبكي تارة وأصمت تارة أخرى..

بعد مضي حين من الوقت سمعت أصوات صاخبة ودويا من الصوت الجهور فوقفت أنظر إلى الوادي أسفل الجبل الذي أجلس عليه.. رأيت الكثير من الرجال يرتدون دروع الحرب.. جيشان كبيران للغاية.. لم تبصر عيني نهاية الجند في كلا الجانبين.. فعلمت أنني هالك لا محالة وأن رحى الحرب لن تتركني حيثما أذهب..

كان قائد الجيش الأول يصيح بجنده ثم توقف فجأة واتجه إلى رجل آخر من الجيش الثاني ووقف قليلاً ثم عادا أدراجهما.. لم أتبين هيهاتهما جيداً لبعده تلك المسافة.. فقررت أن أهبط منحدر الجبل قليلاً حتى أبصر ما يحدث.

عندما دنوت بقدر ما يجعلني أرى توقفت واختبأت وراء صخرة كبيرة على ذلك الجبل.. ربما يبلغ ارتفاعي عن الأرض الآن ستة طوابق أو ما يقرب من عشرين متراً.. كنت أراقب ملابس الجنود.. دروع فضية وأجساد مفتولة العضلات.. بشرتهم صفراء اللون.. وحليقي الرأس واللحية عدا الرجلين اللذين تحدثا منذ قليل..

كان قائد الجيش الأول رجلاً متوسط الطول.. أشقر الشعر.. وذا خصلات سمراء أيضاً.. لديه شعر مختلط بين الأشقر والأسود يصل إلى

منتصف ظهره.. ويمتلك عضلات هائلة ظهرت عندما خلع الدرع التي يرتديها كاشفًا عن عضلات بطن فولاذية.. ارتدى بنطالا قصيرا أيضًا.. عندما خلع درعه ازدادت صيحات الجنود ورفعوا سيوفهم تحية له.

أما عن القائد الثاني فكان طويلًا يتجاوز المترين بقليل أسود البشرة وله جسد يشبه منحوتات الإغريق في كماله.. له شعر مجعد قصير شديد السواد كلون بشرته.. عندما فعل مثلما فعل القائد الأول هم الجنود لتحيته بذات الطريقة..

كنت متأهبًا لما سيحدث حتى اقترب القائدان من الساحة الخالية بين الجيشين ودارت المعركة بينهما.. يتبادلان اللكمات والدماء تسيل منهما وظل الأمر حتى أحكم صاحبنا الأشقر قبضته وضرب الرجل الأسود بقوة فخر مغشياً عليه.. فعاد الأشقر يشيح لجيشه في زهو وقد ازدادت الصيحات ثانية..

اقترب القائد الأشقر من الرجل وتناول صخرة كبيرة من الأرض ثم هوى بها على رأس القائد الأسود فتمشمت جمجمته.. عندها علت الصيحات لجيشه بينما الجيش الآخر جثا على ركبتيه يعلن استسلامه إلى ذلك الفارس المغوار..

بعدما فرغ منه القائد الأشقر بدأ جيشه ينزع الدروع عن صدره وعلي ما بدا أنها طريقته للاحتفال بالنصر.. كان الجميع يرتدي بنطالا قصيرا.. بدرت بعقلي فكرة فقامت بنزع ملابسهم ومزقت "بنطالي" بأداة حادة كنت استخدمها في السرقة حتى بدوت مثلهم.. لست مثلهم ولكن قريب الزي.. هبطت من الجبل سريعًا لكي أندس بين جنود الجيش.. فقد زاد رعبي أن يتركوني وحيدًا في تلك الصحراء القاحلة فأصرع من العطش..

انضم الجيشان معاً وشكلا قوة هائلة.. ربما عددهم يفوق الأربعين ألف جندي وهذا أيضاً قدر قليل.. هول لم أر مثله من قبل.. بدأ الجيش الكبير يتحرك خلف القائد الأشقر.. وبينما هو يتحرك كنت أبطئ من سرعة هبوطي حتى ألحق آخر الركب. خشيت أن أندس بقلب الجيش فيفضح أمري. فجسدي بينهم يعتبر غريب وشاذ عنهم.. لكن لم أعد أفكر بذلك الأمر.. ما كان يدور بخاطري أن أنقذ نفسي من الموت عطشاً وإن كنت سأموت مقتولاً بعدها لا يهم.. بدأ آخر ركب للجيش يتحرك.. كنت أمشي بالقرب من آخر الجنود بالجيش المهزوم..

فنظر إلي أحدهم برعب وفزع.. بل شفقة وتعجب.. لم أعلم ما كان يدور بخاطره في تلك اللحظة ثم قال:

. ماذا بك يا رجل بحق ميسلان!

فقلت مندهشاً:

. هل تتحدث العربية؟!

. عمّ تتحدث؟!

فابتسمت قائلاً:

. لا شيء

. أين درعك؟

. لقد فقدته

فقال واجماً:

. بحق ميسلان سيتم قتلك.. هل أنت مريض ما حدث لجسدك؟

فقلت متعجباً:

. ما به؟

. أنت تكاد تموت من النحافة؟

فنادى على جندي بجانبنا:

. ميورس.. هل ترى هذا الغلام؟

فقال ميورس مندهشاً:

. بحق ميسلان يبدو مريضاً.. ابتعد عنه يا أخي كونتش

ثم صاح ذلك الميورس بصوت جهور:

. أخبروا القائد كولاو أن بيننا مصاباً بمرض لا نعلم ما هو

انتشر النبا بالجيش كالنار في الهشيم وسادت حالة من الذعر بين الجنود حتى وصل الأمر إلى قائد الجيش الأشقر.. ولم أجد نفسي سوى وأنا مكبل ومحمول على الأعناق إلى القائد العظيم كولاو.

وضعني الجنود على الأرض.. بينما كان القائد العظيم الأشقر يرمقني بنظرات استعجاب تارة ونظرات ازدياء تارة أخرى.. فأصبح قلبي ينتفض بقوة ويخبرني أنني هالك لا محالة.

قال القائد كولاو بكبرياء:

. من أنت أيها الجندي؟ عرّف نفسك؟

كنت سمعت تلك الأسماء الغريبة ففكرت ملياً قبل أن استطرده:

. أنا شاكريم بن ملدن من الشمال أنا خادم الأمير كولاو.. بحق

ميسلان لا تؤذني يا قائد

فقال كولاو مبتسماً:

. ماذا حدث لجسدك؟

فقلت متضرعاً:

. لقد ولدت واهناً وضعفي هذا جعل الجميع يخشاني.. فتسللت إلى جيشك عسى أن أموت بالحرب في خدمتك سيدي كولدو وخدمة الإله ميسلان..

فأوما الأمير رأسه بشفقة:

. أحضروه معنا لنعرضه على الأطباء لنعلم ما خطبه.. لقد أخرجني وفاؤه

وأدار رأسه وهو يتحرك ثم قال:

. فكوا وثاقه..

توغل الجيش بتلك الصحراء ذات الألوان الرائعة.. كانت الجبال تتلون بالأحمر والذهبي والفضي.. بينما رأيت السهول والمياه المتدفقة بهيئة شلالات.. وما زاد دهشتي تلك الصخور المعلقة بالهواء وشلال المياه الساقط من السماء.. كلما مشيت بضعة من الخطوات تبدلت الصحراء إلى جنان أمامي وزاد العجب مما أراه..

مضى جيشنا الكبير بالطريق.. وسرت بمقدمة الجيش تفصلي مترات عن الأمير كولدو حتى وصلنا إلى منطقة مليئة بالأشجار العظيمة.. لم أصل إلى نهايتها من ضخامتها.. كانت الأشجار لها سيقان ملتوية عريضة يبلغ عرضها ما يفوق العشرة أمتار.. وربما الطول تخطى المائة متر.. لا أعلم.. فلم أبصر نهايتها.. لها أوراق زرقاء وحمراء دائرية سميقة تملأ السيقان وثمار ضخمة منها.. علمت أنها تدرّ المعادن.. وكانت أولى معلوماتي بذلك العالم الغامض.. أن النباتات تمتص المعادن من باطن الأرض وتخرجها بثمارها أيضاً.. فكان العثور على معدن بهذا العالم أشبه بالعثور على الطعام.. وبدا الأمر هيناً عليهم.. أما عن مخلوقات الغابة.. فحدثني الجنود عن كائنات وحشية تسير على أربع لها قرون ضخمة

وأجساد مفتولة.. وأخرى تزحف وتخرق صخور الأرض.. وغيرها من كائنات تطير فوق الرءوس وليس لديها أقدام لتمشي.. وغيرها صغيرة الجسد وأخرى عظيمة.. وحدثني عن مخلوقات تسمى السورينتاس.. وهو كائن يشبه البشر أيضًا يسير على قدمين ولكن له لون بشرة بيضاء تكاد تضيء والعينان واسعتان بشكل ملفت.. أما عن طوله فيبلغ المتر تقريبًا وهو كائن عدائي لجنسنا إلا أنه لا يهاجم مجموعات..

بدأت المسيرة تصعب وقدماي تؤلمني ولكن هذا الجيش لا يعرف الكلل.. أذكر أنني مشيت فوق العشرين كيلومترًا إلى الآن.. ولكن هؤلاء القوم ما بهم لا يكلون ولا يمرضون..

صاح الأمير كولادو "لقد وصلنا إلى أرض الوطن".. فتنفست الصعداء عندما رأيت المدينة.. كانت الأشجار العملاقة محاصرة المدينة وبوابتها مرصعة بالذهب المطعم بالألماس ولون الفضة يسر الناظرين عندما تبصره أمامك لا تستطيع أن تفتح عينك من شدة لمعانه.. وهكذا بقيت خطوات قليلة حتى نصل إلى المأوى فقد زادت حرارة الشمس ولكني ما زلت لا أراها!

فألتفت إلي أحد الجنود وقلت:

.أنا لا أرى الشمس

فضحك الجندي وقال:

.هل تمزح؟

لم أجب عليه فأضاف:

.أنها فوقنا مباشرة رمادية ككل شيء.. يبدو أن وهن جسدك أضعف

بصرك..

فقلت متعجبًا:

. هل كل شيء رمادي؟

. نعم.. ماذا بك يا رجل؟!

فاقتربت من عينيه وجدتها زرقاء كمثل أعين باقي هؤلاء القوم!..
عندها علمت أنني لدي ميزة تفضلني عنهم وأني أرى الألوان وقوة بصري
تبدو أعلى بكثير..

صرنا على أعتاب المدينة الشامخة.. يمضي الجيش بخطوات
متناقلة.. ففعل الوهن أصابهم.. دلف الأمير كولاو من الباب العملاق
الذي فُتح تَوًّا ومرّ بزهو في ذلك الميدان الكبير.. كانت المباني غريبة قليلاً..
عالية وغير تامة الاستقامة.. جميع سكان المدينة ينظرون من النوافذ..
والبعض كان بساحة الميدان.. ينحني جميع من مرّ بهم الأمير كولاو
إجلالاً له.. بينما كانت النظرات المتعجبة ترهقني من أمري.. الجميع ينظر
إلي وكأنني دخيل على ذلك المجتمع.. ما سرني حقًا البنيان المنظم والهائل
لكل شيء.. ملابسهم التي لا تكاد تستر شيئاً سوى عورتهم..

كانت المرة الأولى التي أرى بها النساء في هذا العالم المريب.. بل رأيت
الأطفال أيضاً.. لا أعلم لما يُترك الأطفال عراة.. والنساء لا تستتر سوى
بقطعة صغيرة من القماش تخفي مقدمة أجسادهن.. أما عن ظهورهن
لم يتم سترها بشيء.. ظننته عالماً بدائياً.. بل الرجال هم من يسترون
أجسادهم..

كان عدد الجيش تقلص كثيراً فغاب الكثيرون.. ربما ذهبوا إلى
منازلهم.. ذلك عن جيش الأمير الأشقر أما عن جيش الأمير الآخر فلم يعبر
أبواب المدينة.. بل تُرك بخارجها.. وجلس الجنود القرفصاء على أعتاب
المدينة.. كأنهم يطلبون السماح من الأمير كولاو.. لحسن الحظ أنني لم
أذهب بعيداً.. بل كنت أمضي بين رجالات الأمير وحاشيته.. كانت الحاشية
مكونة من أكثر من مائة فرد أو ربما أكثر..

ما زالت تلك النظرات تلاحقني.. ونحن نتخذ ممرا طوليا فسيح إلى مبنى عالٍ يشبه القصور.. ولكن أكبر بالحجم.. ذهبي اللون.. له باب طوله ما يقرب الأربعين متراً.. لم يكن بابا خشبيا.. ولكن أشبه بزجاج أو شيء بلوري يحتاج قوة هائلة كي يفتح.. هذا عن الباب فما بالك بحجم ذلك القصر.. كان القصر مليئاً بالنوافذ في مقدمته الأمامية.. وبكل نافذة يقف أحد الجنود حاملاً شيئاً يبدو كرمح.. متأهباً لحماية الأمير كولدو.. عندما أصبحنا أمام الباب.. وعلى مرمى بصري فُتِح باب القصر فدلّفنا إلى الداخل.. ذلك بعد أن وكزني أحدهم كي أعبر وكأني فريسة أو أسير حرب.. لم أتحدث مع أيهم وعبرت إلى الداخل في صمت تام كباقي الجنود..

كان بهو القصر عملاقاً بل أشبه ما يكون بأرض واسعة من الفضاء ولكنها كانت أرض بلورية.. الأرضية بيضاء والسلالم شكلت حلقة دائرية حول الهو.. لم أتبين عددهم بل كانت تلك السلالم كثيرة ربما عشرات.. وتوسط الهو كرسي بلوري أيضاً.. لم يلبث كثيراً حتى بدأ الرجال ينزلون من تلك السلالم.. كانوا رجالاً يرتدون الملابس زهرية اللون.. ويضعون قبعات فوق رؤوسهم.. سألت أحد الحاشية فأخبرني أنهم كهنة ميسلان وهم كثر.. وكان الأمير كولدو يستشيرهم بكل الأمور الدنيوية..

عندما جلس الأمير على ذلك الكرسي البلوري بدأ ذلك الكرسي يرتفع عن مستوى سطح الأرض بمترين تقريباً.. وقف الكهنة أمامه في خضوع حتى انحنوا.. وانحنى من بالقصر جميعاً ففعلت مثلما فعلوا..

قام أحد الكهنة وقال:

أيها القائد كولدو نشكر ميسلان الأب العظيم على النصر على جيش الطاغية بوتليوس.. كانت الحكمة ما فعلته حتى تتجنب الدماء على شعبنا.. كما عهدناك حلیم القلب.. فهل ستعفو عن ذلك الجيش المنشق؟!

قال الأمير كولادو بكبرياء:

. وكم ستظل رحمة القلب ترحم؟ نحارب الغوفال بجبال مينال..
ونحارب الكلدان بهضاب مقاربو.. وغوال الحسنات بالمشرق المهيب..
وكما تعلمون استنزفت من جيشي وجنودي الكثيرين.. الجميع يتأمر
والحكم ليس لنا بل نحن ننفذ مشيئة ميسلان العظيم.. لا أعلم سبب
انشقاق الجند واتباع بوتليوس.. ذلك الفاسق الذي أراد أن يضيع شعبنا
بتحالفه مع الغوفال..

تحدث الكاهن مستعظفًا:

. سيدي أنهم يخشون أن يهلكوا لذلك انشقوا عنا.. نحن ندافع عن
مملكتنا ونحارب الجميع وهم لهم أسر يخشون على حياتها.. فهل
سامحت؟!

فقال الأمير واجمًا:

. دعني الآن..

لا أعلم كيف تذكر الأمير كولادو وجودي.. فقال بصوت جهور ملوحًا
بيده اليمنى..

. يا ابن الشمال تعال هنا..

فاقتربت متجهًا إلى كرسي القائد كولادو فنظر إلي الكهنة نظرات
متعجبة وانداحت المهممات بينهم.. بعضهم بدا متعجبًا وبعضهم سمعته
يتلفظ باسم ميسلان..

وصلت وكان يفصل بيني وبين الأمير جموع الكهنة فوقفت خلفهم حتى
قال الأمير

. هذا الفتى مريض كما ترون.. أنه من الشمال واندس بين الجيش لكي
يحارب معنا لم يمنعه مرضه من الدفاع عن إرادة ميسلان العظيم..
أسمعتم ذلك يا من تطلبون العفو

فنظر إلي مبتسمًا بعد أن اصطف الكهنة على جانبي الكرسي وكنت مباشرة أمام الأمير كولادو..

. ما اسمك يا فتى؟

فقلت وأنا انحنى:

. خادمك شاكريم بن ملدن من الشمال.. من جبال الشمال سيدي

فضحك الأمير وقال متعجبًا:

. لم نعهد عن الشمال سوى السهول والوديان.. ولم نعهد عنهم سوى

البأس والقوة

فاضطربت نفسي وقلت:

. معذرة أميرنا فهيبتك أفقدتني الكلمات وغابت عن لساني.. أنا من

سهول الشمال

. أرسلوه إلى الطبيب لنعلم علته ونعالجه إن كان بوسعنا ذلك..

فقال الكاهن منحنياً:

. سمعًا وطاعة..

ثم أشار إلي وقال:

. هيا يا فتى

ووكزني بقوة بكتفي وسرت معه صاعدًا أحد تلك السلالم نحو داخل

أسوار القصر..

كنت أمضي مع ذلك الكاهن بممر طوي وعلي الجانب الأيمن الغرف البلورية ذات الأبواب الذهبية.. كانت الغرف على شكل قباب وألوانها بيضاء كالثلج.. لم أبصر ما يوجد داخلها.. ظننت أنها خاوية ولكن علمت

بعد ذلك أن الحائط البلوري يخفي ما داخله.. فلا تتبين ما بداخله..
وهكذا كنا نمضي سويًا دون أن يتحدث ذلك الكاهن معي.. كان قد
تقدمني بخطوات.. كان الكاهن أطول مني بقليل.. ولم نلبث كثيرًا حتى
وقفنا أمام أحد أبواب تلك الغرف..

فُتِح الباب ودخلنا سويًا.. كانت غرفة كبيرة وتحتوي عددًا من الأسرة
غريبة الصنع قمرزية اللون.. ولها من فراش يشبه مادة تمتص الجسد
بداخلها.. لاحظت ذلك عندما رأيت بعض الأجساد على تلك الأسرة.. لم أر
أحدهم من داخل الغرفة حتى فُتِح باب بلوري آخر.. وخرج منه رجل
يرتدي ملابس شفافة تبرز جسده.

نظر ذلك الرجل إلي كعادة من هنا جميعهم بتوجس. فعلمت أنها
العادة هنا أن يتعجبوا من جسدي الضعيف.. ولكن هذا الرجل كان أقل
حدة فلم يتفوه بكلمات عن مذهبي.. وعاد يبتسم إلى الكاهن..

. أهلاً أيها الكاهن كركال .

فقال الكاهن بأدب:

. تحياتي لك طيبيننا.. هذا الشاب كما ترى جسده وهن وضعيف
ونخشى أن يكون مرضه معدياً فيزهق الأرواح ولكن الأمير كولا دو أصر على
علاجه ومعرفة ما به

. حسناً سيدي الكاهن

. أستأذنك يا طيبيننا

قال الكاهن كلماته مغادراً الغرفة البلورية وتركني مع الطبيب..
ليتفحصني ويخبرهم بشأني..

أشار الطبيب لي بالصعود على سرير بلوري فصعدت ولم نتحدث كثيراً حتى امتصت تلك المادة الغريبة جسدي فشعرت بالخدر يسري بأنحاء جسدي ماعدا عقلي كان حاضراً.. فاقترب مني الطبيب وقال:

. بك شيء يدفعني للفضول يا فتى.. ما اسمك؟

. شاكريم ابن ملدن من سهول الشمال

فقال غير مكترثاً:

. من أي عشيرة أنت؟

كان سؤاله بمثابة صدمة كبيرة لي.. ففكرت ملياً ولكن لم استجمع كذبة أخرى.. فقلت متصنعاً الود

. يا طبيب مرضي أرهقني وجعلني أنسى كل شيء..

. لا تقلق دعنا نرى ما بك..

غادر الطبيب ودخل الغرفة البلورية الصغيرة ومكث بها بعضاً من الوقت.. علمت بعد ذلك أن ذلك السرير ما هو إلا فحص لجسدي وأن المعدات بداخل الغرفة ولكن لم أدخلها قط.. ما جعلني أعلم ذلك هو ما بدر من الطبيب عندما خرج..

عاد الطبيب من الغرفة وصاح متلهلاً:

. من أنت بحق ميسلان

فقلت غير مكترثاً:

. لقد قلت لك من قبل

فقال الطبيب مندهشاً:

. من أين أتيت بهذا الجسد؟!

. ماذا؟!

لم أتلقى منه إجابة وغادر الغرفة مسرعًا.. غاب الطبيب ربما لبضعة دقائق قبل أن يعود مع ذلك الكاهن كركال.

عندما دخل الكاهن كركال الغرفة كانت عيناه تلمع.. لم أفهم ما يحدث حتى أعاد الطبيب حديثه وهو ينظر إلى معجبًا ومتعجبًا..

. كما قلت لك يا سيدي الكاهن هذا الشاب بلغ مرحلة النضج التي يتوقف عندها الجسد عن النمو.. ولكن هو معجزة.. أليافه العضلية قابلة للتمدد وعظامه أعلى كثافة بالقوة وأكثر مرونة بكثير من عظام شاب بالغ.. جسده هذا قابل للتمدد.. هذا ليس مرض يا سيدي الكاهن بل هو تطور.. لعل الأمير كولدو يتركنا نجري عليه الأبحاث ولكني لا أصدق قصة الشمال تلك..

فابتسم الكاهن وقال:

. سنعرض الأمر على الأمير كولدو

مرّ شهران وأنا بداخل القصر أتعرض للأبحاث من ذلك الطبيب ويدون ملاحظاته عني.. ودائمًا ما أخبرني عن الفروق بيني وبين ذلك القوم.. بدأت أعلم الكثير عنهم.. كانت أول الأشياء هي أنهم يصلون لمرحلة النضج بين ما يوازي الخمسة عشر عامًا.. ويظلون على تلك الهيئة تقريبًا حتى الموت.. أعمارهم تصل إلى المائة بمقاييسنا ولا يهرمون أبدًا.. أما عن قواهم الجسدية فهي ثلث قوتي حتى مع تلك العضلات الهائلة ما زلت أنا أقوى أيضًا.. كان هؤلاء القوم مصابين بعمي الألوان.. أو أنهم لا يرون سوى اللون الرمادي ولكن يميزون الألوان باستخدام عدسة تساعدهم على ذلك.

علمت أن هذا العالم به شعوب متربصة بذلك الشعب.. وود الجميع أن يفتكوا بالقائد كولادو.. فهناك شعوب الغوفال بجبال المينال وهم شعوب تبحث عن حكم العالم ودائمًا ما سعوا للتآمر مثلما فعلوا مع الخائن بوتليوس.. لم يفرق الغوفال كثيرًا عن بني جنسنا بغير قصر القامة وطول الشعر.. ولكنهم شعب وحشي قاتل..

وما علينا بباقي الشعوب الآن ربما سنعلم كل شيء بوقته.. كنت ذلك الكذوب المتربص بكل شيء أسعى جاهدًا لأنال ثقة الجميع ومن بينهم كهنة ميسلان حتى أصل إلى القائد كولادو.. ولكن هيمات من تربصي هذا فقد اصطدمت بذلك الكركال وهو كاهن متحذلق. دائمًا ما كان يسعى لإرضاء الجميع وتصنع الود ما عدا إرضائي أنا..

لم يلبث كثيرًا حتى بدأت علاقتي بذلك الكاهن تضطرب.. وشعر بالخطر من جانبي فبدأ يصنع الحيل ليتخلص مني..

كان من السهل قتلي ولكن الكهنة لا يتآمرون للقتل وإلا فيتجرد من رتبته.. ثم يصير من أعداء ميسلان.. فكان تربصه بي لإبعادي عن القصر وعن حاشية الملك..

صباحًا بغرفتي البلورية بسلم ريمال.. وهو ذلك السلم الذي صعده
للمرة الأولى حتى يفحصني الطبيب.. كنت أجلس شاردًا بأمر الكاهن
كركال وما علي فعله حتى أكسب مودته.. سرعان ما توقف عقلي عن تلك
الأفكار بعدما دخل الكاهن كركال غرفتي.. فقمتم من مجلسي احترامًا
ولكنه كان جامد الملامح لديه الكثير لقوله..

فقلت بود:

. سيدي الكاهن مسرورًا لرؤيتك

نظر غاضبًا وقال:

. يا غريب الدار وابن الشمال.. لا نعلم عنك شيئًا وتحاول معرفة
الكثير عن الأمير.. إن كنت جاسوسا قتلتك حتى وإن أغضبت ميسلان
العظيم من يملك كوننا بيده

. سيدي أنا لست جاسوسا ولكني مريض قذفته السبل إلى عدالتكم

فقال بعدما نظر إلى بازدرء:

. أطلب عدالة ميسلان العظيم.. وبحق ميسلان إن لم تغادر القصر
اليوم لأقتلك وإني لقاتلك وإن كنت مظلومًا

. سأغادري يا سيدي..

. حسنًا يبدو أنك تفهمت أمري.. تغادر ولأنك لم تغضبي لن أرسل
أحد للبحث عنك.. بل نقل غادر لوطنه أو اشتد مرضه..

فقلت يائسًا:

. ولكني لست مريضًا

. ولكن الأمير يعلم غير ذلك.. هو يعلم أننا نعالجك..

علمت حينها أن مغادرة القصر أصبحت شيئاً محتوماً.. ولا بد من تركه قبل أن أصبح فريسة كركال.

فعدت أتحدث مستسلمًا:

. سأغادر القصر ليلاً .

غادر الكاهن ولم يستمع إلى ما قلته.. فقد أيقن خوفاً من القتل وتهديده وبدأت أفكر فيما سأفعل بعد المغادرة..

غادرت القصر بمساعدة الكاهن كركال.. وما بدر منه عند مغادرتي جعلني محتارًا في أمره.. شعرت كأنه الأب الحنون الذي افتقدته يومًا.. ولم أعلم سبب دفعه لمغادرتي ذلك القصر إن كان يشفق علي ولكن هذا ما حدث.. فلا سبيل الآن لأخمن مشاعره وعاطفته نحوي.. كان علي أن أبحث عن مأوى وأصدقاء يعينوني على ذلك.. ما كان يشغل خاطري هو جسدي ونظرات التعجب التي ستلازمني بتلك المدينة الكبيرة.. لكن الضباب حالك الآن.. فهذا هو الليل ولن يراني الكثيرون.. لذلك سأحاول أن أجد ملاذًا آخر أو أترك تلك المدينة إن اشتدت المحنة..

هائمًا أنا بشوارع المدينة الكبيرة وبين مبانيها العالية.. جميع المباني مقوسة صعودًا وكأنها اتخذت من قصر الأمير كولاكو قبلتها.. فكنت أنظر متعجبًا إلى اللؤلؤ بتلك المباني.. المظهر البديع بكل شيء وحانات البضائع المغلقة.. كادت الشوارع أن تخلو من المارة وكنت أسير بها وحيدًا.. ممرات طولية وجانبية وحدائق الأشجار الحمراء والقرمزية.. بها نباتات عملاقة وأخرى قزمة.

اتخذت ممرًا جانبيًا وسرت به مسافة ليست بالقليلة حتى قادني إلى ممر آخر طولي.. كان ذلك الممر واسعًا ربما عرضه مائة متر وعلى جانبه الأيسر المباني المقوسة.. أما الجانب الأيمن حديقة عملاقة بها أشجار..

لم تصل عيني لطولها.. ربما لعلو الضباب فوقي ولم أتبين الكثير من ألوانها..

أرهقتي السير وبلغ التعب مني مبلغه.. فلم أجد ملاذًا لي سوى تلك الحديقة.. دخلت تلك الحديقة بخطوات واهنة وسرت مسافة ليست قليلة حتى وجدت تلك البحيرة.. فخلعت ملابسي كما ولدتني أمي وتركت نفسي لمائها العذب.. ارتشف الماء وأغسل جسدي من العرق المتصبب من السير وحرارة الجو.

ترنن ذلك الصوت بأذني مرات ومرات وكأن صداه يتردد أم أن مياه البحيرة أصابتي بالسُكر.. ظننت ذلك حتى خرجت من الماء فوجدت ذلك الشاب يقف أمامي يناولني ملابسي وهو يقول تلك الجملة المعتادة "ماذا حدث لجسدك".. فصمت هنيئة وابتسمت حتى عاد يكرر ما قاله.. استشعرت أنه يطلب الودّ مني.. فرمقته من أعلى رأسه إلى أخصم قدميه.. كان شاب مفتول العضلات كحال الجميع هنا ويرتدي ملابس رثة بالية والرقع التي بملابسه أبرزت جسده القوي أما بشرته فكانت حمراء قليلاً.. وله شعر داكن حالك السواد.. دقيق الأنف وكث اللحية.

ارتديت ملابسي دون حياء منه وعاد يسأل ثانية:

. من أنت؟

. أنا شاكريم بن ملدن من سهول الشمال وكنت من حاشية الأمير

كولادو

بدأت اختلق القصص حتى أنال قسطاً من الاحترام لما رأيته من ازدراء بسبب جسدي الوهن بمقاييسهم..

نظر إلى الفتى ببلاهة ثم أردف قائلاً:

. لكنك مريض يا سيدي والأمير كولادو حاشيته من الفتيان الأقوياء

ابتسمت وقلت بثقة:

. بل كنت أنا أقواهم

فضحك الفتى بصوت عالٍ:

. أنت خفيف الظل يا سيدي

شعرت بمقدار سخريته مني وفاض الكيل.. فاقتربت منه وقبضته من تلايبه بيدي اليمنى فرفعته من الأرض.. تعجبت كثيرًا من قوتي وعلمت حينها أن ما قاله الطبيب هو صحيح بالطبع.. ولكني تمالكت نفسي من الاندهاش أما الفتى فجحظت عيناه من الدهشة حتى طرحته أرضًا.

فقام الفتى واقترب مني ثم قال مستعطفًا:

. صدقت سيدي شاكرهم.. هل أنت من كهنة ميسلان؟

. لا لست كذلك وكان يشرفني أن أصبح كذلك

وقال الفتى بولع:

. هل ترى الأمير كولادو؟

نظرت إليه بجبين مُقضب فتابع:

. هل تخبره عن أن الحرب تَأْكُل كل شيء

وبدا الحزن على وجهه فقلت بعطف:

. ماذا بك يا فتى؟!

بكى ذلك الفتى وقال وهو ينتحب:

. أما أنا فأحد ضحايا الحرب الضروس.. أبي قُتل وماتت أمي وليس لي

ملاذ سوى هنا.. لا عمل لدي سوى اقتطاف الثمار من الأشجار وأكلها..

. لقد أحزنتني يا فتى.. أنا لم أمكث بقصر الأمير كثيرًا فقد أعجب بي

لأنني قوي وجعلني من حاشيته.. ظنني مريضًا مثلك ببداي الأمر ولكنه

رأى البأس مني فجعلني من رجاله.. ومن ثم أصبحت قريباً منه.. فأنا لا أعلم الكثير عن هذه المدينة وأيضاً لا أعلم سبب تلك الحرب..

فنظر إلي الفتى ببلاهة.. فابتسمت وتابعت:

. لقد طلبت من الأمير ما قلته توّاً لذلك أنا مطرود من القصر.. هل

ستخبرني ما يحدث هنا؟!

فقال الفتى بود:

. نعم يا سيدي سأخبرك كل شيء؟!

. حسناً دعنا نجلس عند تلك الشجرة هناك

قلت وأنا أشير بيدي اليمنى تجاه شجرة أرجوانية عالية غزيرة الأوراق

والثمار

قال الفتى مبتسماً:

. أشجار زيت الدبام.. إنها المفضلة لدي

عندما جلسنا واتكأت بظهري على ساق الشجرة العريض سألته

. ما اسمك؟!

. خادمك خاوث

فابتسمت وقلت:

. هل سنبدأ الآن يا خاوث؟

"لأجل ميسلان"

هكذا افتتح خاوث حديثه.. وكنت أنصت إليه بشوق لعله يأتيني نبأ

هام عما يحدث بهذه الأرض.

. ميسلان العظيم كما تعلم يمسك عالمنا بيده اليمنى.. ويمسك النجم

الأخر بيسراه كما تراه بالسماء.. فتلك جنته وتلك ناره ونحن هنا

المختارون لتنفيذ ما يريد.. ميسلان العظيم لم يره أحد ولكن كل شعب يقول أنه على شاكلتهم فالغوفال يؤمنون بذلك وغوال الحسنات والكلدان.. الجميع يقول أن ميسلان أختاره ولذلك دارت رحى الحرب.

قلت متعجبًا:

.ومن قال إن ميسلان العظيم يريد الحرب؟

. كهنة الشعوب هم رسله وأتوا إلى العالم حتى يخبرونا إرادته.. فلكل شعب كهنته لذلك نحارب.

. ولكن بوتليوس أنشق هو وجيشه عن الأمير كولادو.. وتحالف مع شعوب الغوفال!

. نعم يا سيدي أنه اليأس من الحرب وكما أنا يأس منها.. فأني عدو لميسلان ولكن الكهنة لا يقتلون أحدا قبل المحاكمة

قلت متعجبًا:

. لقد طلب كركال من الأمير كولادو أن يصفح عن الجنود المنشقين

. نعم يا سيدي.. فهو يريد الفوز بالمعركة بأي ثمن

. متى بدأت الحرب؟

ففكر برهة وقال:

. بعد انتهاء الشروق الثامن لكوننا

قلت مستفهمًا:

. متى ذلك؟

. ألا تعرف.. يبدو أنك تختبرني يا سيدي.. إنه منذ وقت طويل جدًا ولكن العالم وفقًا لنبوءة الكهنة يوشك على نهايته فقائد الشعب

المنتصر سيحل محل ميسلان العظيم ويمسك عالمنا.. وتذهب باقي
الشعوب الخاسرة إلى الجحيم

فقلت ضاحكًا:

.ألذلك دارت رحى الحرب؟

.وهل هناك سبب أقوى من هذا لتدور؟!

.صدقته يا خاوث..

قال خاوث بود:

.أخبرني عن بأس أهل الشمال.. أنكم فتیان أقوياء وشجعان

.وقت آخر فأني أريد النوم الآن وغدًا لناظره لقریب يا خاوث.. يبدو

أننا سنقضي الكثير من الوقت معًا

.هذا شرف يا سيدي.. أحلام سعيدة ليكن ميسلان برفقتك..

كان وهن جسدي يرهقني ونظرات العجب من الناس تؤثر سلبيًا فيّ.. فأردت أن أثبت لهؤلاء الناس قوتي وبأسي.. ربما ذلك نابع من عالمي الذي أتيت منه وحب التحدي.. أردت أن يعلم الجميع أن ذلك الشخص هزيل الجسد يمكنه أن يمتن الحرف العضلية الصعبة.. توطدت علاقتي بخاوث على مدى الأيام الماضية وكان صديقي المقرب.. فكنا نتخذ من تلك البحيرة ملاذاً لنا ونتسامر ليلاً.. ولعل أصعب شيء وجدته بذلك العالم هو إيمانهم بأن تلك الأرض هي كونهم وذلك الاعتقاد الراسخ لديهم.. فكم كان صعب علي أن أتحدث مع خاوث بأمر عالمي أو أسأله عن مكان وجودنا بالكون الفسيح.. فهو لن يعلم عما أتحدث.. كان صعباً علي أن أعبت بتلك المعتقدات.. بل أن تلك المعتقدات ترسخت لدي بعد مرور الأيام.. ثم حاولت التعايش بها..

اليوم أنا أعمل لدى السيد كمر كجمال.. الحقيقة كان السيد كمر شخصاً هادئ الطباع متعاون بالقدر الكافي.. وكثيراً ما ودّ مساعدتي.. ببادئ الأمر قبلي للعمل لديه لأنه أشفق علي وبعد ذلك تغير كل شيء.. فلما رأى اليأس والقوة مني أصبحت مهمماً لديه.. بل كان لا يستطيع إتمام العمل من دوني.. كنا نعمل بتجارة المعدن.. وكان علي نقل المعدن يوميًا من الغابة حيث المنجم الكبير.. وكما قلت من قبل أن استخراج المعادن يكون من ثمار أشجار.. أخرج إلى الغابة مع بداية اليوم وأعود مرات حاملاً تلك المعادن بما يشبه الذهب والفضة ولكنها معادن مختلفة عن التي بعالمنا.. كان لدي حيوان يدعي الأسترية.. وذلك حيوان يشبه الحصان سريع وقوي.. له رجلين ورأس كرأس النعام بل أكبر قليلاً.. وجسد أقل من جسد الحصان ولكن مفتول بعضلات.. وكان سريعاً جداً بدرجة لا توصف.. وذلك هو حيوان الحرب.. لم أكن أعلم كيف يتوازن بسيره على ساقين..

بمتجر المعدن صباحًا بعد أن أنهيت عملي باكراً.. وقد تحاملت على نفسي ذلك اليوم حتى أغادر باكراً.. كان السيد كمور يبيع تلك المعادن للنساء بينما جلست داخل المتجر على الأرض متعرق الجسد.. حتى ناداني السيد كمور وقال:

.شاكريم.. هل أتيت؟

.نعم يا سيدي

وقمت من مجلسي وتوجهت إليه بباب المتجر فأضاف:

. اليوم أنا متعب كثيرًا وكم وددت أن أستريح قليلاً. يمكنك ممارسة البيع بدلاً مني لساعتين

.ولكن سيدي أنا أنهيت عملي وبلغ مني التعب مبلغه

أوماً رأسه مستسلماً:

.سأحاول

ولكني بعد ذلك أشفقت عليه فقلت:

. حسنًا سيد كمور سأعمل بدلاً منك

.شكرًا لك يا بني

كان علي مواجهة نظرات الاستهجان على جسدي الضعيف من أعين النساء خاصة.. فالزبائن بمتجرنا من النساء دائماً.. فكرت ملياً قبل أن أأخذ وشاحاً كبيراً وأخفي جسدي عن الجميع.

وعدت أمارس البيع والتهديب مع النساء.. ومع مضي الوقت بدأت أشعر بالرضا عن ذاتي.. وعشقت البيع لأنه جعلني أتواصل مع حسناوات هذا العالم..

نام السيد كمور بالداخل وكان يصدر أصوات أثناء نومه تصم
الأذان.. فكم ضحكت وأنا أبيع للنساء وكان النساء عشقن ابتسامتي..

بعد مضي ساعة أو أكثر قليلاً دخلت أنثى صفراء وشقراء الشعر..
زرقاء العينين كباقي ذلك الشعب.. لما رأيتهما علمت أن الحسن لا ينتمي
سوى لذلك العالم.. فكنت اتفحص جسدها ومفاتها.. ولا أعلم أكنت
أنظر إليها بشهوة أم بهيام وكأنني السكير وهي كأس الخمر..

هذه الجميلة كانت أقرب ما يكون لفينيسيا إلهة الجمال.. أو أن
الجمال خلق من أجلها.. فبشرتها صفراء ولكن هناك شيء بها هي ليست
ككل من رأيتهن.. مزيج من الأصفر والأبيض والأحمر.. لون بشرة لم أر
مثله ولم أتخيل وجوده.. ولكنه يسر النظر ويلفت الانتباه..

ذات الأنف المستقيم.. وعينان زرقاوان.. ولديها حاجب طويل دقيق
الشعرات.. طويلة العنق.. ورائحة الجسد.. وبرزت لديها مفاتن النساء..
كم تمنيت أن يطول وصفي لها..

على أية حال شردت أتفحصها وهي تتحدث.. ولكني لم أستمع لما
قالت سوى لحركة شفرتها.. فنظرت إلى ملابسها.. وكانت ترتدي جلبابا بني
اللون.. تعجبت وسألتهما

. لما لا ترتدين مثل باقي النساء!؟

. حتى لا ينظر من هم مثلك إلى مفاتي

فابتسمت وأضفت:

. كيف يمكنني مساعدتك سيدتي!؟

. لقد طلبت منك.. ولكنك كنت شاردًا

. معذرة سيدتي لا ترهقيني من أمري.. فأنا أعمل منذ الصباح.. ولم

استرح سوى القليل من الوقت

فنظرت مبتسمة وأعدت ما طلبته ثانية وأحضرتة لها.. ثم قايضتها
ببعض من الثمار والماء.. وعندما همت للمغادرة صحت بها منادياً

. ما اسمك سيدتي؟

.لوانا

استيقظ السيد كمور.. فاستأذنته وغادرت مسرعاً خلفها.. ولم انتبه
لخطواتي.. وعدت أحدثها بينما أمشي بالقرب منها بطرقات المدينة

. سيدتي.. هل تشتري هذا الحلي كزينة لعُرسك؟

. لا ليست لعُرسِي.. أنا لست متزوجة.. ولا أنوي الزواج

فابتسمت وقلت:

. بحق ميسلان.. كيف تحرمين كوننا من حسنك؟! ما بالك إن أصبح

لدينا بعالمنا أطفال بحسنك

فضحكت ضحكة مكتومة.. وتابعت سيرها

. متى سأراك ثانية؟!

.ربما قريباً.. سأعود لشراء بعض المعادن

.متى؟

. قريباً.. أيمكنك أن تكف عن ملاحقتي؟

توقفت وعيني تتابعها حتى سارت مسافة مترات بعيداً.. ونظرت إلي

مبتسمة.. فابتسم عالمي.. وفاضت مشاعري..

عدت أردد أسمها مرات "لوانا".. وأنا أمشي هائماً كسكير لا يبصر

تحت قدميه حتى يرى الكون حوله.

سقط الوشاح فنظر إلى الناس بتعجب.. فارتديته وركضت نحو

الحديقة الكبيرة التي لم تكن تبعد كثيراً عن متجر السيد كمور..

مرّت أيام ولم تأتِ الحسنة لوانا.. ولكن بقيت صورتها بمخيلتي..
وكعادة لدي أصبحت أبيع بعد انقضاء عملي كحمال.. وذلك ما زاد من
محبتتي لدى السيد كمور.. لم يكن يعلم سرّ تغيري المفاجئ ومعاونتي له
بالبيع.. لعله أرجع ذلك أنني أريد مساعدته ليس إلا.. ولكني كنت أبتغي
مساعدة نفسي على لقاءها تارة أخرى.. بحثت عنها بأروقة المدينة
وطرفاتها الفسيحة.. ولكن دون جدوى.. ظللت أنتظر قدومها ثانية.. ولكن
لم تأتِ.. منذ ذلك الحين.. وأنا أتمنى لقاءها.. ضعيفاً كنت أم مسحوراً
بها.. فكم وددت أن أراها ثانية..

كانت صورتها بمخيلتي تزيح النوم من عيني.. وتقلّب مزاجي.. فتارة
أغضب وتارة أكون كطفل.. ولكن ما بقي بداخلي أنني صرت ذلك
العاشق.. افتتنت بها منذ ذلك اللقاء الأول.. ولأنني كنت حمال فحق علي
التحمل.. وكم أشفقت على نفسي مما بها. لا تتعجب من قصتي وحي لها
منذ النظرة الأولى.. ربما هذا سحر هذا العالم ولتعلم أن الحسن الذي
تملكه يجعلك تعشقها وإن اختلست النظر لها.. لم أكن محباً لكني
أصبحت مولعاً بالنظر لها عندما رأيته.. ربما لم يكن ذلك الحب الذي
يدفعني لأريد أن أكمل معها ما بقي من سنوات عمري.. لكن الحب الذي
يجعلني لا أستطيع فعل شيء دون رؤيتها ثانية.. هكذا ظللت أبرر ما
حدث معي عند رؤيتها..

فقلت محدثاً نفسي عن ذلك الحسن..

وكان لها حُسن البنفسج

والقلب كان كمثل سدج..

لا يعلم عنها الدروب!؟

ولا يدرك لها مولج..

قلت أظنه لم ينضح..
يرى البنفسج كالعوسج
لا يعلم العشق وصاله..
ولا يقرأ أو ينهج
إني أراها في خاطري..
فأراه يومض يتوهج
لا أظنه لقي السكينة..
إن سكن فيه الهرج
والنفس إن كانت دميمة..
البغض كان كمنهج
لكني أظن حياها..
لحب على بغض أفلج

كان خاوث الصديق الفطن والمقرب لدي.. وصار يعمل حمال هو الآخر.. لعل كدّ العمل يقتل ذاكرته ويربح نفسه.. لم أشتاق إلى عالمي بعدما رأيتها.. وأصبحت أتسامر مع الفتى خاوث.. ويقصص علي ما دار بمملكة "اليكسارنه".. تلك المملكة التي يحكمها الأمير كولدو وأحيا بها الآن..

فقص علي أنباء أعجبتني وأذهلتني.. وأخرى أرهقتني.. شعرت بأن عالمي التعيس الأرضي حلّ هنا بذلك العالم.. فهؤلاء الجنس هم بشر مثلنا.. ذلك ما قدرته ولذا فإن رحى الحرب تدور لأجل اللاشيء.. إن الجهل وفقًا لمعتقداتي ضارِبًا جذور هذا العالم والكهنة هم سحرته.. جعلوا الأمراء في معارك دامية لأجل إرضاء ميسلان العظيم.

وهل الإله العظيم يبتغي منهم الحرب؟!.. كثيرًا ما تحدثنا أنا وخواوث عن ذلك بعد توطد علاقتنا وتقربنا معًا.. فكان خاوث غير معتقد بتلك الأحاديث ولكنه لا يستطيع البوح علنًا.. ولكن صعوبة الأمر على نفسه جعلته يقول ما بها لي.

كنت كتومًا لا أتحدث عن لوانا معه.. بل تركت العشق يتلف جسدي الضعيف ويزيد الوهن بروحي.. وعدت استمع إليه منصتًا.. وكان حديثه عن قصة الأمير كولادو ما جعلني أشفق على ذلك الأمير مسلوب الإرادة.. بل كان دمية الكهنة ومع محاولاته التملص من سطوتهم لم يستطع.. فأصبح منفذًا لما يريدون حتى زاد سخط الشعب عليه.

وليلًا كنا نجلس أنا وخواوث بجانب البحيرة تحت الشجرة العتيقة.. شجرة زيت الدبام.. وكنت أتكئ بظهري على ساقها بينما جلس خاوث القرفصاء أمامي وكان شاردًا..

فقلت بأسى:

لم أرم من قبل من يحب أميره ويبغضه بذات الوقت

. أحبه وأتمنى أن يجنبنا هلاك الحرب.. وأبغضه لأنه يستمع إلى الكهنة

فقلت متأثرًا:

.ربما قصته ما جعلته كذلك..

كلنا لدينا قصة سيدي شاكريم.. ولكن لا نترك نفوسنا لغيرنا

.ربما هذه ضريبة الحكم

فقال باكياً:

.فليتركها لمن هم أحق

.وما أدراك أن يأتي ذلك الحاكم الذي تتمناه!

طأطأ رأسه وقال:

. أنت على صواب

. هل تحارب لأجل ميسلان؟

. سأحارب لأجل مملكتي.. والعظيم ميسلان لا يريد الحرب

ابتسمت له وقلت:

. هل تقصص على قصة الأمير كولدو ثانية

. هل نسيتهما؟!!

. لا.. ولكن أحب سماعها ثانية.. لدينا الكثير من الوقت

. كما تحب

وبدأ يستترد بعدما شرد بمخيلته قليلاً.. وكأنه يرى أحداث ما يروي..

"كولادو الفتى المغوار"

ربما تعود قصته كما يعلمها الجميع هنا منذ نعومة أظفاره.. فقد نشأ كولادو فتى من عامة الناس.. وكان فتى حملاً قويا.. كان يحب الجيش ويسعى جاهداً لكي يصبح فارساً مغواراً يشار إليه بالبنان.. ذلك الفتى لم يكف عن تعلم استعمال السيف.. وتفنن بدراسة الخطط الحربية.. فلم يعلم أحد عنه شيئاً قبل الهجوم على مملكتنا من قبل شعوب الغوغال.. وأشهد أنهم كانوا ذوي بأس وقوة ما جعلهم يحكمون السيطرة على مدينتنا بطرفة عين.. حتى بلغ قائد الغوغال قصر الأمير اليكسار.. ولم يجد الأمير بداً أمامه سوى أن يستسلم.. وتقع مدينتنا تحت رحمة أولئك القوم.. غير أن الأمر الغريب الذي حدث ما غير قدر مملكتنا إلى اليوم..

كان الفتى كولادو قد تخفى بزي الجند الغوغال.. وهم معروفون بإخفاء وجوههم.. ولما كانت قامته قصيرة حينها فقد بدا مثل جميع جنود الغوغال.. ولا نعلم كيف دنى ذلك الفتى بذلك القدر من قائد الغوغال حتى أشهر سيفه وجز عنقه على مرأى من جنوده..

فكانت تلك الطامة الكبرى لهم وخارت عزيمتهم.. ومن ثم ضعفت قواهم.. فكان النبا بالمملكة باعث للجنود حتى استجمعنا قوانا ودارت الرجى ثانية بين قتل وفتك وأسرى.. وعلي مدة ليست بالقليلة تمكن الجيش من هزيمة جيش الغوغال هزيمة نكراء.. ولعل ذلك سبب الحقد بين ذلك الشعب والأمير كولادو..

سرعان ما رأى الأمير اليكسار البأس من ذلك الفتى فتبناه غير أن الفتى رفض أن يحيى حياة الملوك.. ولكنه أحب أن يتبناه عسكرياً.. فكان الفارس الحمال.. حقاً كان غريب الأمير كولادو الذي رفض أن يعيش بالقصور.

ولما مضى حين من الزمن لم تنس شعوب الغوغال لذلك الفتى فعلته.. فسعوا لقتل قلبه ولكنهم لم يسعوا قط لقتله.. فقتلوا أسرته

وقتلته أخته الصغرى الرضيعة.. كانت ذبيحة الرأس فقسا قلبه وزاد بأسه..

وكان للأمير اليكسار ولد عربييد وسكير يعشق أحضان النساء.. ولا يعلم عن أمر الرعية شيئاً.. وودَّ أن يسلمَّ المملكة للشعوب المتریفة بنا بكأس من الخمر.. فرفض الأمير اليكسار أن يكون ذلك الفتى هو وريث المملكة.

فعرض الأمر على قائد الجيش الثاني في ذلك الوقت وكان هو الأمير كولادو فرفض احتراماً لحق الإرث بالدم.. وعندما مات الأمير وتم عزل القائد كولادو من منصبه أصبحت مملكتنا على شفا السقوط المفجع..

وما رفضه الأمير كولادو اضطر أن يقبله خوفاً على المملكة لأن الكهنة أخبروه أنها رغبة ميسلان العظيم.. ولأن صعوده على سدة الحكم بأمر من الكهنة.. فأصبح كالدمية بأيديهم.. ولعل أصعب أمر أقدم عليه هو قتل ابن الأمير اليكسار تنفيذاً لرغبة الكهنة.. فما رأينا منه سوى العفو ومنذ ذلك الحين تتخبط المملكة بين الصراع الداخلي للأمير كولادو وصراعه مع الكهنة..

صمت خاوث قليلاً.. وعاد يتحدث قائلاً:

. هكذا هو الأمير كولادو.. ولكن اليوم الكثيرون يكرهونه لأنه استنفد طاقة المملكة بحروبه.. فنحن نحارب الجميع تنفيذاً لرغبة ميسلان العظيم كما يقول الكهنة

فقلت مبتسماً:

. لا يحق لكم أن تكرهوا ذلك الرجل الشجاع.. وإن الحرب أصبحت حقاً عليكم

وشردت لوهلة ثم قلت:

. من المعتدي؟

. ما كان لأميرنا أن يعتدي على أحد قط.. إنما هو يجاهد ويرد الاعتداء

. إذن فإن الحرب حق.. وحق عليكم إتباعه مادام لا يعتدي على أحد

فقال مندهشًا:

. كلماتك غريبة عني.. لم أسمع منك مثلها من قبل

. فمن اعتدى عليكم حق عليكم أن تردوه.. أما أنت فتريد الانبطاح

خوفًا من الحرب.. وإن كنت كالأمير كولدو لزدك موت أبك قوة

قام غاضبًا من مجلسه.. وراح يجلس على ضفة البحيرة.. أما أنا فلم

أبه به ولم أحرك ساكنًا.. وقلت لن أغير ما أعتقد حتى وأن أغضبتة..

وعدت أشرد بخواطري عن ذلك الأمير الحمّال.. فهو ليس حمّال

بضائع ولكنه تحمّل الأسى والقهر وفقدان العائلة.. وها أنا أصبحت

حمّال بضائع بعدما تركت عالمي.. وتركت رحي الحرب خلفي.

باليوم التالي صباحًا بعدما أنهيت عملي كعمال وبدأت عملي كبائع..
وقد مضت ساعات من الوقت انتظر قدومها.. لم يعد وهن جسدي
يخجلني كما كان يحدث من قبل.. بل تقبلت الأمر وبدأ الناس يعتادون
رؤيتي على ذات الحال.. غير أنني فكرت مليًا أن أمرن عضلاتي حتى تبرز
وأريهم أنني يمكنني أن أمتلك جسدا أقوى من ذلك الذي يمتلكون..

فعددت العزم أنني سأفعل ذلك الأمر بالقرب العاجل.. ولكن ليس
لأجل أعين الناس حولي.. بل أنني عشقت القوة وتمنيت أن أبرز اختلافي
عن ذلك العالم.

وبينما كان السيد كمور يجلس بداخل المتجر وأنا أجلس على بابه..
أمامي طاولة زجاجية سوداء اللون أو رمادية كما يرونها.. هم لا يهتمون
بالألوان.. ولكن كل لون مادة تشير إلى قوتها.. فتلك الطاولة شديدة
القسوة والتحمل.

كنت أعبت ببعض الأشياء أمامي.. حتى سمعت ذلك الصوت الذي لم
أنساه منذ ذلك اليوم وكان صوتها.. لوانا الفاتنة عذبة الصوت.. وكأن
صوتها هو صوت الكروان.. فابتسمت قبل أن أرفع رأسي وأنظر إليها
ثانية.

قالت:

. كيف حالك اليوم؟

. بخير كم تمنيت أن أراك.. لم أكن أعلم أن النساء هنا لا يفين
بوعودهن

فضحكت وقالت:

. لقد عدت كما أخبرتك.

. كيف أساعدك؟

. لا شيء.. أتيت لأفي بوعدى وأغادر

. دعيني أوصلك..

. لا عليك.. لا يصح أن تترك عمك

فقلت غير مكترثًا:

. لقد أنهيت عملي تَوًّا عندما رأيتك

واستأذنت السيد كمر أن أغادر المتجر.. فأذن لي دون أن يعترض

سرنا معًا مسافة كبيرة.. وكانت غير مكترثة بشيء غير تجاذب أطراف
الحديث معي.. فكنا نمضي بالطرقات والنظرات تلاحقنا.. جميعها نظرات
ازدراء حتى بدأ الأمر يزيد الضيق في نفسي.. فقلت غاضبًا.

. هل نجلس بتلك الحديقة أمامنا.. فإن نظرات الناس تلك تغضبني
حقًا.. حتى أنهم ينظرون إليك مثلما ينظرون إلي..

فقالت بضيق:

. مريض وجارية.. كيف سينظر إليهم الناس!؟

. جارية!

. نعم أنا جارية. ألم تلحظ ذلك؟

قلت متعجبًا:

. لم ألاحظ سوى أنك فائقة الحسن.. وكنت أحسبك أميرة

قالت ضاحكة:

. لذلك أنا جارية.. أشك أنك غريب عن المملكة يا...

. اسمي شاكريم بن ملدن من سهول الشمال.. هل نجلس لأفهم منك
ما يحدث هنا

أومأت رأسها موافقة.. ودلفنا إلى الحديقة التي كانت تبعد عنا بضعة
خطوات قليلة.. وعندما جلسنا سألتها

. كيف أنك جميلة وجارية؟!

. الجميلات هنا لا يتزوجن.. هكذا قال كهنة ميسلان

. إذن ماذا يفعلن؟

. يخدمن سيداتهن

. عجيب أمركم يا شعب اليكسارنه

. وأضفت بسخرية:

. يبدو أن كهنة ميسلان يخشون أن يعشق الرجال جمالكن.. فلا
ينتهون للحرب وتصبحن فتنة

. ضحكت لوانا بصوت عالٍ وقالت:

. تتحدث كالجاريات.. نحن نخدم.. وكنا نقدم كقرايين لغوال
الحسناوات.. فكما تعلم هم قبيحون.. ويودون الزواج من الجميلات حتى
ينجبوا أطفالا جميلة وينها لعنتهم

. وأضفت متأثرة:

. لكن سيدي كولدو أبطل تلك العادة.. وقال أقتل قبل أن أسلم
جارية كقريان

. عظيم هو حقًا

. نعم.. فلم ينس أنه خرج من رحم عامة الشعب.. ولكن الكهنة
يستحذون عليه

قلت يائسًا:

. ماذا إن أردت أن أتزوجك؟!

ضحكت وقالت:

. عندما تتغير قوانين ميسلان

. لكن ميسلان لا يغير قوانينه

. إذن لن نتزوج

همت لتغادر وقالت:

. ربما نلتقي بوقتٍ آخر

. الغد يا لوانا يمثل هذا المكان في موعدهنا بحق ميسلان عليكِ

. حسنًا سأراك غدًا

ليلاً كنت أجلس شاردًا عند البحيرة اتذكر الجميلة لوانا وأهيم عشقًا
بكلماتها بل بقسماتها.. وكأني أصابني الخدر.. ولم أعد أبه لأمر شيء..
فكم لعنت الكهنة وقوانينهم وكم لعنت ذلك العالم البغيض.. أدرك الآن
بأن ذلك الفتى الأرضي السارق لن يلقي بهذا العالم أفضل من عالمه..
ولكن كيف أعود؟ !.. وكيف أتركها؟ !.. هي توغلت بنفسي.. ودقّ العشق
بابي الذي حسبته بلا مفتاح.. فباتت هي ذلك المفتاح.. وكانت أيضًا
الحنين..

لعل خاوث كان غاضبًا مني مما قلته البارحة عندما تحدثنا بأمر الأمير
كولادو.. ولكنه جلس قريبًا مني يرمقني بنظرات استعطاف تارة ومرات
يرمقني بنظرات غائرة.. فضحكت وأنا اتذكرها.. لم أدرك أن الفتى خاوث
طفل إلى هذه الدرجة.. وقلت في نفسي لابد أن نتحدث حتى وإن جنحت
أنا للصفح.. فكنت أريد أن استشيريه بأمر الجواري هنا..

قمت من أمام البحيرة.. وجلست عند الشجرة الكبيرة.. ثم ناديت عليه

. خاوث هل تأتي؟

قال فرحًا:

. نعم سيدي

وأتى ذلك الفتى ثم جلس أمامي وعاد يتحدث:

. هل صفحت عني يا سيدي؟

. لا بل أردت أن أعتذر على ما قلت البارحة

فقال مندهشًا:

. أراك قوي القلب يا سيدي ومحاربًا مغوارًا.. فما يعتذر سوى المغاوير

ابتسمت قائلاً:

. ألا يعتذر سوى المغاوير؟

. إن الاعتذار من سمة الشجعان

. إذن أنت أشجع مني يا خاوث

. لا يا سيدي.. بل أنت من تعلمني الشجاعة.. وأراك على صواب فيما

قلت

شردت لوهلة ثم قلت:

. أتعرف عن أمر الجواري شيء؟

. هن حسناوات

. ولما لا يتزوجن؟

. هذه قوانين الكهنة

. هل حاول أحدهم من قبل أن يتزوج جارية؟

. نعم وقتل هو والجارية.

. وهل أنجب من قبل؟

. لم أرى ذلك..

. هل تخبرني متى وضعت تلك القوانين الجائرة؟!

. نعم أخبرك

"الأمير مولينام والحسناء ريناء"

قبل مضي سنون كثيرة حكم مملكتنا الأمير مولينام.. وهو رجل قوي وشجاع.. هو من أدخل فن العمارة.. وبني ذلك القصر الذي يسكنه الأمير كولاو وكان رجلا ذا سلطان.. فخشيت العشائر مملكة اليكسارنه من قوته.

الأمير مولينام كان قاسي القلب ولا يهاب من أحد.. ولم تكن الكهنة بذات السطوة إبان حكمه.. فلا نعلم أكانت تلك مؤامرة الكهنة أم أن العشق أصابه ليدنو من قدمي الحسناء ريناء.. وكانت ريناء أنثى من فقراء الشعب القليلين.. ولكنها بديعة الحسن.. حتى أن القصائد لا تكفي وصفها ولا تجعلك تتخيل حسنهما..

وفي ذات يوم كان الأمير مولينام يتفقد أمر الرعية كعادته ويباشر الأسواق وكانت المملكة فاحشة الثراء بذلك الوقت.. فرأها الأمير مولينام وكانت حرة كباقي جميع نساء المملكة.. سرعان ما فتن الأمير بها وعشقها عشق العبد لسيدته..

فتزوجها الأمير وتأخر إنجابها.. ولكن لم نعلم السبب إلى ذلك الوقت.. وعندما تزوجها الأمير تغير فأصبح عنيد شديد القسوة.. ودخلت المملكة

بعصر من الظلام.. فكان لابد أن يقتل كل فردًا كقربان لميسلان العظيم حتى ينجب الوريث.. وتحالف مع جميع الأعداء.. بل كان يبيع أشداء الفتية كعبيد للأقوام الأخرى حتى يأتي بالحلي لها.. وبني ذلك القصر الذي يتوسط مملكتنا تخليدًا لحبه لها.. كانت الحسنة هي عشقه ومن أنساه أمر الرعية.

بعض مضي فاصل من الزمن أصبحت الحسنة ريناء حُبلى.. فعشقتها الأمير وزاد ولعه بها.. بل أنه نسي أمر العظيم ميسلان وراح يطيح بالقوم ويقتل ويفتك بنا.. ولكن تبدل كل شيء عندما اكتشف خيانتها ووجدتها بأحضان أحد حاشيته فقتلها وسلم زمام الأمر للكهنة.

أراد أن يسلم حكم المملكة للكهنة ويسير هائمًا بالصحارى والغابات.. لعل ميسلان يصفح عنه.. فرفض الكهنة أن يتولوا الحكم وهي قواعد واضحة.. هم يحكمون دون الصعود على كرسي الحكم.. لكنهم هم الحاكم الحقيقي..

وطلب الأمير مولينام من الكهنة أن يمنحوه الصفح من ميسلان.. وقال إنه لن يتأكد سوى بقانون من ميسلان العظيم بشأن الحسنات.

فشرع كهنة ميسلان قانون الجواري.. وهو ألا يتزوجن ولا ينكح أحدنا إياهن.. ويصيرن خدامًا لمن هن أقل منهن جمالاً.. ومن يرزق بحسنة يبيعها كجارية.. وهكذا أصبحت الحسنات تباع..

وأتي عصر على مملكتنا فكانت الجواري تقدم كقربان لغوال الحسنات.. ولكن الأمير كولاو ألغى ذلك العهد.. وذلك ما زاد عداؤه مع هؤلاء الهمج.. فصار الأمير كولاو يأخذنا للحرب مع جميع العشائر.. وهي كما قالوا إرادة ميسلان العظيم..

شردت يائسًا بعدما استمعت لكلمات خاوث.. فكانت لوانا بخاطري
وليس سواها.. وكأنني أعلم أن أمرنا بات محتومًا.. وأن تلك قوانين
الكهنة لا تحطم.. فما كان علي سوى أن أرضى بها ولكن لماذا؟!.. فأنا لا
أنتمي إلى هذا العالم وقوانينهم لا تسري على.

كنت أمني نفسي بتلك الكلمات.. ولكن زاد يأسِي بعدما استمعت إلى
صوته ثانية.

.سيدي أراك شاردًا

.لا شيء يا خاوث

فقال خاوث متعجبًا:

.ولكن ما شأنك بالجواري؟!.. أراك مهتمًا بهن

قلت مضطربًا متلعثمًا:

.أراهن كثيرًا بمتجر السيد كمور.. وقد لفتني حسنهن فوددت أن
أسألك بشأنهن

وشردت قليلاً ثم أضفت:

.هل تخبرني عن قصة أحد ممن عشق جارية؟

. سأخبرك القصة اليائسة التي جعلت الجميع يفقد الأمل في ذلك
الحب الملعون من ميسلان العظيم..

قصة العاشقين "رون ومكليا" اليائسة

ربما تلك القصة ما زالت تقال بالمجالس إلى اليوم.. وهي قصة عجيبة
جدًا.. كيف لأحد من كبار القوم أن يعشق جارية؟!.. رون ذلك التاجر

الذي جال الأرض من جبال الكُئيل وحتى هضاب مقاربو.. كان تاجرًا فاحش الثراء وبارع بأمر النساء.. وكان مغامرًا أيضًا.. ولم يلق يومًا من تجذب قلبه نحوها.. فلما كبر واشتد عمره أراد أن يتزوج.. وكان له صاحب دائمًا ما كان يجلس في بيته.. فكان صاحبه أصغر منه وتزوج وأنجب من الولد والبنت الكثير.. ومع زيارات رون لصاحبه كان يرى الحسنة مكليا.. وكثيرًا ما تحدثا حتى دق قلب الرجل وملأه العشق.. فخرّ مغشيًا عليه بحب تلك العذراء مكليا..

وفكر مليًا في أن يجد حيلة في أن تصبح قريبة منه.. فلم يجد سوى الزواج وأخبر صاحبه أنه يريد جارية لخدمة زوجته.. فقدم صاحبه له مكليا كهدية حتى تعين زوجته على أعباء المنزل.. وغاب التاجر رون عن أحضان زوجته وكانت مكليا له الملاذ.. ولكن زوجته عاجلاً شعرت بالأمر وأخبرت الكهنة عن خوفها من تلك العلاقة المحرمة.

علم رون ومكليا واستعدا لترك المملكة.. فهو مغامر ويعرف كيف يخبئها عن أعين الكهنة.. ولكن لم يستطعا الفرار..

وعلي منصة الإعدام كانت آخر كلمات مكليا أنها حُبلي.. فعلم من بالمملكة ذلك النبأ بعد إعدام الأم والأب والابن.. وأصبحت تلك القصة اليائسة تتردد في المجالس لمن تسول له نفسه أن يحب جارية..

قلت بضيق:

. الكهنة ظالمون

. إنها إرادة ميسلان يا سيدي

فأردفت غاضبًا:

. ميسلان لا يريد قتل طفل بالطبع

طأطأ خاوث رأسه وقال:

. لا أحد يعلم ما هي إرادة ميسلان.. ولكنه يريد الصالح لنا

فصحت غاضبًا:

. من جعل الكهنة يتكلمون على لسان ميسلان العظيم

قال خاوث متوسلاً:

. توقف يا سيدي حتى لا يسمعك أحدهم

. سأنام ليكون ميسلان برفقتك يا خاوث

. وأنت أيضًا سيد شاكريم

مع مضي الأيام لم أكف عن لقاءها.. وكنت أتحدى تلك القوانين الجائرة.. فكنا نلتقي بعد العمل وتقصص علي أخبارها وقصتها.. كنت مولعًا بها وعاشقًا لما تقول.. كذلك كان خاوث هو الراوي لقصص ذلك العالم وبتّ أعلم الكثير عن ذلك العالم.. وبعدما عشقتها صرت ناقمًا على ذلك العالم التعيس.. وطلبت منها الهرب معي إلى الغابة.. فنعيش معًا ونصير زوجين.

كانت ترفض إشفاقًا علي.. بل كانت تخشى من مخلوقات الغابة والسورينتاس خاصة.. لا أخفي عليك هول ما قصته علي جعلني أرجع عن تلك القصة.. فالخروج من المملكة هو الانتحار بعينه..

أحيا مضطربًا.. لا أعلم ما سأفعل حتى أنالها أمام أعين الكهنة والجميع.. وأدركت أن عالمي لم يعطيني.. وذلك العالم أيضًا لن يعطيني شيئًا.

فلما كنا نجلس سويًا بعد إنهاء دوامي بتلك الحديقة القريبة من متجر السيد كمور سألتها ثانية.

لو أنا هل تغادرين معي؟

. لا استطيع يا شاكريم

فقلت مضجراً:

.لماذا؟

.لا أريد أن أفقدك.. وكم من العشق أحق عليه أن يبقى بطي الكتمان

.لكني أريدك.. وميسلان صدقيني لا يريد أن يقتل قلبي

قالت بحزن:

.أعلم ذلك

ثم سألت دمعاتها فمسحتها بأصبعي وتابعت:

. لكن تلك القوانين ولا خلاص لنا منها.. وأعلم أنني أعشقتك كما لم

أفعل من قبل وهذه جريمتي فالجوارى لا يعشقن

. أنت لستِ جارية.. ليذهب الكهنة إلى الجحيم

بكت ومالت على كتفي ثم قالت:

. أحبك يا سيدي وقرّة عيني.. ولعلنا سنفترق..

فصحت غاضباً:

.كيف ومتى؟

. حتى لا أفقدك.. أو يعلم أحدهم أمرك.. فيعاقبك الكهنة

فاضت الدموع من عيني وتابعت:

. إن العمر إن بقي لغيرك موت.. وإن حياتي دونك موت.. وإن كنت

سأرى وجهك بيومي فهي حياة

كنا نبكي من لحظات الفراق.. وكنت أعلم أنني لن ألقاها ثانية.. فقد

أثرت سلامتي على حياها.. وقامت من بين أحضانني ثم سارت وعادت تنظر

إلى بعين باكية.. وأنا أجلس ناظراً إليها كأنها تسقط من بين يدي إلى

الهاوية.. ولما مضت قليلاً ناديت قائلاً

. أقسم بحق إلهي.. وهو قسم لا يطوله الكذب.. وحق عالمي التعيس..
وهو بوهنه ليس أتعس من هذا العالم.. أقسم لكِ بدمعك الذي ذرفتيه
خوفاً علي لأغيرن قوانين المملكة لأجلك.. ولأقاتلن حتى الرمق الأخير

فابتسمت قائلة:

. أقدر ما تقوله لكن

قاطعتها وقلت:

. سأراكِ بعالم أفضل حتى تعلمي صدقي

قمت وأنا أركض بداخل الحديقة باكياً.. وكأن وهن جسدي يقتل
عيناى من الدمع.. لم أرد أن يراني الناس باكياً.. يكفي رؤياهم لضعف
جسدي..

وكنت أركض وأصيح باسمها كمن فقد عقله "لوانا حبيبتي"

افتتن قلبي بهذه الحسناء.. وأحببتها رغمًا عني.. غابت لوانا ولم أرها على مدى الأيام الكثيرة الماضية.. صدقت بوعدها.. فلم أجدها ثانية.. وكنت كمن فقد عقله باحثًا عنها بين وجوه النساء بمتجر السيد كمور.. بل بحثت عنها بكل زقاق بالمملكة.. وحتى أنني اقتريت في يوم من الأيام من القصر.. ولم أخش وعيد الكاهن كركال.

فأصبحت أحيًا بهذه الحياة البائسة.. وتهادى إلى مسامعي صوتها في كل حين.. ثم اتخذت حديقتنا القريبة من متجر السيد كمور للجلوس بها.. وكأنها تذكرني بها كلما جلست هناك.

فأصعب لعناتي على الكهنة.. وألعنهم كثيرًا من الأحيان.. لعنت كركال ولعنت الأمير كولادو.. بل لعنت نفسي البائسة التي لم تستطع أن تظفر بها.. وكنت أعلم أنني عندما وعدتها بأنني سأغير قوانين المملكة كنت أتمنى.. ولكن هي أدركت وهني.. وعلمت أنني أريد ذلك.. وما قلته كان أمانى قليلة.

أعمل بكد وأدرك الحديقة الكبيرة ليلاً عند البحيرة لأجلس اتسامر مع خاوث.. ولا شك أنني أثرت به كثيرًا.. فكان خاوث كصلصال.. وقمت بتشكيله حسبما أريد.. بل جعلت منه إنسانًا ذا مبادئ وورع.. وذلك ما كنت أتمنى أن أصبح عليه.

حتى أتى اليوم الذي شكّل منحني مريرا بحياتي القاسية هنا.. عندما أنهيت عملي.. وأوشكت على مغادرة العمل.. رمقني السيد كمور بنظرات عطف وقال.

. يا بني أشعر بأن أجلي قد اقترب

فقلت مبتسمًا:

. أراك ستعيش ألف عام

. لا أشعر بذلك.. ولأنك صرت كابن لي وددت أن أخبرك بشيء ما

. لا بأس يا سيدي يمكنك أن تقول ما تريد

فهز رأسه وقال بأسى:

. عندما سأموت سيصبح ذلك المتجر ملكا لخزينة المملكة

قلت بدهشة:

. ومن سيرثك سيدي؟

. لا إرث هنا سوى لخزينة المملكة.. لذلك دعني أخبرك بحديث

سيحملك أمانة.. وأعلم أنك ستوفي أمانتك..

. ما هو ذلك الأمر يا سيد كمور؟

فقال مشيرًا بسبابته:

. استمع جيدًا لما سأقول

"كمور الفارس الجبان"

عند ريعان الشباب وقوة الصبا كان هذا الرجل الذي تراه من فتیان القوم الشجعان.. وكنت فارسًا هامًا.. كانت سطوة سيفي تشق الجبال وتخرق عنان السماء.. لا أذكر كم قتلت.. وكم مزقت من أوصال.. الحقيقة التي يذكرها الجميع أننا لا نهرم كدواب الكون.. ولكن تخور قوانا مع تقدم أعمارنا.. فاليوم أنا شاب فتى في الظاهر وعجوز حبيس الشيب.

أمنت بالقوة والمُلك.. فكنت أحارب لأجل الغنائم وليس لأجل المملكة.. جمعت نفيس المعادن بعد تصنيفها.. وكما تعلم من السهل أن تحصل

على معدن.. ولكن ما يجعلها ذات قيمة هو عندما تتحول إلى حلي.. فلا قيمة للمعدن دون ذلك.

لذلك كنت أحارب حتى أحصل على الحلي والجواهر النفيسة.. وكنت من أشداء الفرسان.. بل وصلت إلى قائد أحد جيوش الاستطلاع.. وتحكمت بما يفوق العشرة آلاف جندي.. كنت اختارهم كما اختار الحلي.. وأعشق الجنود الذين يمتلكون القلب القاسي.. فهؤلاء يفتكون بالجميع بلا رحمة.

الجميع كان يستمع إلى صوت الفارس كمور يعلو فوق أصوات الجند أجمعين.. بل كانت لي سطوة تهلك منها الولدان.

قتلت النساء والأطفال ودمرت الحانات.. كانت قسوتي باعث الرهبة في نفوس الأعداء.. وعندما كانوا يعلمون أن جيشي بالمعركة كانت عزيمتهم تضعف ونضمن الربح قبل أن تراق الدماء.

وأعلم يا بني أن ذلك حق.. وأن الموت لا يجلب سوى قسوة القلب والعداء حتى لأقرب الناس إليك.. وكبر ذلك الفارس بعدما جمع من المال قدرا كافيا ليصبح من أثرياء المملكة.. فأن الأوان أن يتزوج ويرزق بالولد.

تمنيت ألا أنجب بنتا حسناء.. فكيف لفارس مثلي أن تباع ابنته كجارية.. ولعل ميسلان العظيم تقبل رجائي.. فلم أنجب سوى ولد وحيد.. جعلته كل شيء أحيا لأجله.. بل أغدقت عليه بكل ما أملك من أموال.. فصار من علية الفتیان.

ولما كبر الفتى قليلاً عادت ذنوب الماضي تلاحقني.. فعلمت أن أعدائي يتربصون به.. وما كان علي لأفعل حينها سوى أن أهجره هو وأمه خوفاً عليهما.

اختلقت القصص حتى أهجرهما.. وأبعدهما عن ذلك الماضي الذي
يلاحقني.. ربما سيقتلني البعض إن علموا أنني حي.. وقد علم من قتلت
ذوهم أنني كذلك.. فكان التهديد أنهم سيتأرون مني.

أنا لا أخشى الموت.. وتلك إرادة ميسلان العظيم.. وذلك الفارس
الجبان الذي انقضى عمره يختفي عن أعين من ظلمهم لابد له أن يدفع
ثمن جرائمه.. فلن أهرب ثانية يا بني..

ولأن كانت قوانين المملكة تأخذ منا ما جمعناه عن كدّ وتعب.. فقد
حسبت حسبتي لذلك اليوم عندما كنت فتى قوياً.. وأخفيت ثروتي بوادٍ
"سيال".. وهو وادي بعيد عن هنا.. ولا يصل إليه سوى محارب على قدر
من الحنكة وخبرة بدروب الصحراء.

أنا لا أثق بسواك يا بني حتى أعطيه خريطة ثروتي.. ولا بد أن تفي
بوعدك وتأتي بها لولدي وحببي نكثام.. فأبحث عنه بعدما تأتي بثروته..
وأخبره بما جعلني أتركه هو وأمه.

ولا تطلب منه أن يصفح عني.. يكفي أن تمنحه ما يستحق.. ولأنك
صرت كولدي سأمنحك ثلث ذلك المال إن تمكنت من إرجاعه..

عندما انتهى السيد كمور من حديثه دلف إلى داخل المتجر الكبير..
وتبعته فأخرج ورقه قديمة وقال:

.ها هي الخريطة التي أخبرتك عنها.

تناولتها منه وقلت:

.لكن يا سيدي تلك الأمانة أخشى أن أضيعها

.لا وقت لدي أنهم قادمون الآن يا شاكريم

فقلت خائفاً:

. من هم؟

. لا وقت أسرع بالمغادرة

. هيا لتهرب سويًا

فقال بضيق:

. قلت لك لن أهرب ثانية

. كما تريد سيد كمور

عندما غادرت المتجر الكبير دخل أحدهم إلى المتجر مستشاط غضبًا..
فعدت أراقب ما يحدث.. ورأيت ذلك الرجل القوي الأضلع.. وهو يقتل
السيد كمور.. ويتفنن في تقطيعه إرتبًا.

هربت فزعًا.. وودت العودة لكن خوفي جعلني أعود أدراجي.. وأمضي
مسرعًا مبتعدًا عن متجر السيد كمور الكبير.

ذلك هو الفارس الذي عاش جبانًا.. ومات كفارس.

مات كمور ميتة الشجعان.. وحمّلي تلك الخريطة.. وعدت بدون
عمل.. عليّ الآن أن أبحث عن عمل آخر.. قلت لعل خاوث سيساعدني
بأمر الخريطة.. وأمر عملي الجديد.

جلست عند البحيرة لساعات طويلة أنظر إلى الماء.. تخيلته ذلك
الشاطئ بوطني تخيلته شاطئ الإسكندرية.. ونمت أنظر إلى علو الضباب
فوقني محدثًا نفسي بأمر السيد كمور.. وكيف أنه رفض الهرب؟.. كان
بإمكانه أن يهرب ثانية لأجل ولده.

ربما أنه لا يستطيع أن يراه مما فعله به.. ويبدو أن أخطائه منعته من
ذلك.. فاختار الطريق الأسهل.. والموتة الشنيعة.. وذلك هو جزاء عمله
ولكن ما شأنني بذلك الأمر.

قلت ربما أتيت إلى ذلك العالم حتى أكفر عن ذنوبي.. وذلك السارق أصبح لديه دور الأمين بهذه الرحلة.. تلك الرحلة العجيبة التي ما زالت تغير شمائي.. وتبرز حسن خصالي.. لم أكن أعلم أنني لدي مبدأ سوى هنا.. وربما ذلك العالم التعيس لا يفرق عن عالمي الكثير.. لكن يمكنني أن أصبح ما أود أن أكون.

وهكذا كنت بين حديث نفسي عن السيد كمور.. وعن جميلتي لوانا التي تركتني وغابت.. لكن جعلت قلبي يخفق ولن يكف عن ذلك.. لا أعلم لما تأخر خاوث إلى الآن.. فلم تكن تلك عاداته.. ظننت أن أصابه مكروه أو شيء مثل ذلك.

يمضي الوقت وحديث نفسي أرهقتي حتى حاولت النوم مرات.. وعندما يأتي النوم إلى عيني يهرب بعيداً بمشهد قتل السيد كمور.

رأيت وجه خاوث أمام عيني عندما كنت مستلقياً.. ففزعت وسرعان ما علمت أنه خاوث.

قلت بولع:

. أين كنت يا خاوث؟

فابتسم قائلاً:

. لقد أرهقتني تلك المفاجأة

وأردفت مندهشاً:

. ما هي؟!

. تعال معي يا سيدي

قمت وتبعته خاوث حتى سرنا بداخل الحديقة الفسيحة.. ولم أكن أعلم أنها بهذا الحجم الكبير.. فبي كغاية يتوه بها من لا يعرفها.. وتعد

تلك الحديقة الحصن الغربي للمملكة.. فلا يمكن لجيش عبورها دون دليل من أهل المدينة.. أما عني فلم أتوغل بها كثيرًا..

وقفنا عند شجرة كبيرة كمثل شجرة زيت الدبام التي نجلس أسفلها.

قال خاوث مبتسمًا:

. ما رأيك يا سيدي؟

. بماذا؟

فأضاف فرحًا:

. بمنزلنا الجديد

ضحكت كثيرًا ثم قلت:

. أنا لا أرى سوى شجرة

تحدث وهو يشرح لي ما قام به.

. سيدي جذور تلك الشجرة كبيرة للغاية.. يكفيننا جذر واحد حتى

نحفر به منزلًا كبيرًا.. قبل أن ألقاك وأنا أعمل بهذا المنزل.. فحفرت منزلًا

كبيرًا بأحد جذور هذه الشجرة وجعلت بابه بالقرب من ساق الشجرة

يبتعد مترات قليلة عن الساق..

قلت مندهشًا:

. لكني لا أرى أي باب!

. أهبط خلفي يا سيدي

كشف عن باب أرضي سري.. ونزلت خلف خاوث.. وبعد بضعة

خطوات أسفل ساق الشجرة رأيت حفرة دائرية مستترة بقليل من

الأغصان

نظر إلي خاوث وقال مبتسمًا:

.ها هو مدخل المنزل.. تفضل يا سيدي

ابتسمت إليه وعبرت تلك الفوهة خلفه.. وتابعنا نزولنا بمساعدة بعض من الأسنان المدبية التي حفرها خاوث بداخل جذر الشجرة حتى وصلنا إلى أسفل الشجرة.. رأيت غرفة كبيرة الحجم وبها سريران خشبيان.

تحدثت مازحًا:

.سنموت اختناقًا

أشار خاوث إلى أعلى.. فوجدت فتحات تهوية جيدة تساعد على التنفس.

قلت مندهشًا:

.هذا عمل رائع يا خاوث

.أعد هذا المنزل يا سيدي منذ فقدان أبي حتى يقيني خطر الحرب.. وأنا أريدك أن تشاركني به..

ربت على كتفه وقلت مبتسمًا:

.أشكرك يا خاوث. هل نجلس بالخارج؟!

.نعم بالطبع هيا بنا..

عندما جلسنا أنا وخاوث بالقرب من المنزل الجديد شردت قليلاً قبل أن أسأله.

.ما زلت تخشى خطر الحرب

فقال مبتسمًا:

.ليس الآن فقد علمت أنها حق كما قلت.. والمنزل هذا بنيتة قبل أن

تعبث كلماتك برأسي

. أراك تغيرت يا خاوث

. نعم وأمر المملكة يرهقني.. أما عن هذا البيت.. فهو لك إن وددت
الاختباء عند الضرورة

. أشكرك يا خاوث على حبك وعطفك

وشردت قليلاً ثم قلت:

. ماذا تعلم عن وادي سيال؟

فقال مندهشاً:

. بحق ميسلان من أخبرك عنه؟!

. أريد أن أذهب هناك

أردف قائلاً:

. لم يا سيد شاكريم؟

. سأخبرك حينها

ثم حرك رأسه يمنة ويسرة وقال:

. نريد دليلاً فالطريق وعروضه علينا الوصول دونه

فقلت غير مكترث:

. إذن أحضرننا هذا الدليل

فقال ضاحكاً:

. ومن ذلك المجنون الذي سيخاطر بحياته.. ويخرج من المملكة..

والحرب تدور بجميع بقاع الأرض

. أنا سأخرج وحيداً

وأضفت بغضب:

. أرى أنك ما تزال ذلك الجبان

طأطأ رأسه ولم يتحدث فتابعت:

. ستظل تخاف الكهنة.. وتخشى الخروج من المملكة.. تهاب الدفاع
عن نفسك.. أنت ذلك الجبان يا خاوث.. سأرحل هناك.. ولا أريد
مساعدتك

تركت خاوث مطأطأ الرأس.. وذهبت إلى البحيرة.. وقد عقدت العزم
على البحث عن أحدهم ليساعدني بإيجاد تلك الثروة.. ليس حباً في
كمور.. ولكن لأن لي ثلث ذلك الكنز.. هذا ما دفعني إلى محاولة إيجاده
قبل أن أنفذ أمانتي تلك.

غاب الفتى خاوث لأيام كثيرة.. ظننت أنه يعيش بمنزله الذي حفره
بجذر شجرة زيت الدبام.. فذهبت هناك مرات ولم أجده.. ولما فقدت
الأمل من عودته اتخذت ذلك المسكن كبيت لي.. أمضيت باقي الأيام به
منتظراً الفتى خاوث لكن لم يأت.. فبكيته مرات لأجله.. وكلما أتذكر عيناه
عندما وبخته بلقائنا الأخير أشعر بقساوة القلب.. ولا أخفي أنني أحببت
هذا الفتى كثيراً.

لم أكن أعلم كيف سأذهب إلى وادي سيال.. حتى أصبحت الأيام
تمضي مسرعة.. وذلك العهد الذي اتخذته على نفسي أمام الحسناء
لوانا بات مستحيلاً.. بعد أن غابت لوانا.. واختفى خاوث.. ومقتل السيد
كمور.. لم يكن لدي أية فرصة في النجاة.. ولا حب لتلك الحياة..

وبينما أجلس بمنزل خاوث ليلاً حتى سمعت من يهبط من مدخل
المنزل أسفل الشجرة.. فرأيت شاباً بعمر خاوث.. وكان يا فع الطول..
ومثقول العضلات كباقي ذلك الشعب.. كانت له بشرة حمراء داكنة

قليلاً.. وله عينان ضيقتان.. وشعر خفيف.. كما أنه له أنف أفتس
وأسنان بارزة فأدركت أنه لم يكن صديقي خاوث

قمت فزعاً وقلت:

. من أنت؟

قال بودّ:

. لا تخاف يا سيد شاكريم أنا مارون صديق خاوث.. وزميله بالعمل..
وهو من دلني على هذا المنزل السري.. وقال أنني سأجدك هنا

. ماذا تريد؟

قال وهو يرفع راحتي يديه:

. هل أجلس يا سيد شاكريم؟

فقلت بجبين مقطب:

. يمكنك الجلوس

فاقترب من سرير خاوث.. وجلس عليه بينما كنت جالساً على سريري

تحدث بوهن:

. خاوث يحبك كثيراً.. وبعثني برسالة.. وقال لي إن أصابه مكروه أخبرك

فوراً بها

فقلت فزعاً:

. ما به؟!

. إن خاوث أصبح ناقماً على كل شيء منذ أيام.. وكان يتعلم استعمال
السيف حتى أنه ترك عمله كحمال.. وتوجه لتعلم فنون الفروسية.. فلم
نعلم ما سرّ تغيره ذلك

ثم أضاف بأسى:

. كان يقول إنه سيحارب مدافعاً عن المملكة.. وميسلان العظيم لا يريد الحرب.. حتى أنه أصبح يتحدث بحديث هراء بشأن الجاريات على الملأ.. ولم يخش من الكهنة. قال بعضنا إنه عشق جارية أم أن شيئاً من الجنون أصابه.. وعلمت الكهنة بشأن ما يقول فتم القبض عليه.. وينتظر محاكمته

تحدثت ثائراً:

. يبدو أنك تمزح.. ذلك الفتى هو أفضل من بمملكة اليكسارنه

. أعلم ذلك يا سيد شاكريم.. وهو بعثني برسالة اعتذار لك.. ويخبرك أنه كان يدرس الخرائط وعلم الدليل والفراسة حتى يساعدك فيما كنت تريد.. فيتمنى أن تسامحه..

قام مارون واستأذني مغادراً فتوسلت إليه أن يجلس وعدت أسأله

. هل تعرف الكثير عن خاوث؟

. نعم فهو صديق طفولتي

. هل تعرف كيف مات أبوه؟

. نعم أعرف

. كيف؟

"خاوث اليتيم"

صديقي خاوث تربى وترعرع بعيداً عن دروب الحرب.. وكان والده رجلاً أغبر.. يحاول بالكاد أن يربي صغيره.. فوالد خاوث عشقه حد الجنون.. وكان يخشى أن يفقده بين أهوال الحرب.

فحاول والد خاوٲ المسكين أن يهرب من تجنيد الجيش.. وأزاد فقط أن يربي أبنه بسلام.. ويعيش حياة كفقير.. رغم أن الفقر لم يقلل من سعاده بآبنه.. خاوٲ كان منطوياً لا يكاد يترك الكوخ الصغير الذي يقطنون به.. وعندما زادت أهوال الحرب كان إجباراً على الجميع أن ينضم للجيش مدافعاً عن المملكة.

ولع الصبا جعل الصبي يتمنى الانضمام للجيش حتى تثار قصصه بالمجالس.. فحاول تعلم استعمال السيف والقتال مع الفتية بجانب الكوخ.. ولكن علم والده ذلك.. فحبسه بالكوخ ولم يغادره.

ذهب والد خاوٲ إلى الحرب.. ولكنه لم يعد.. وكما تعلم لا إرث هنا سوى للمملكة.. آلت ملكية الكوخ لمملكتنا.. وشرد هو وأمه.. وكان الصبي يعمل حتى يتدبر نفقات السكن.. وما زاد مصيبته تعب أمه.. فأصبح يعمل ليلاً نهاراً.. ولم تعش الأم كثيراً.. فبعد عدة أشهر فقدها هي الأخرى.

توقف خاوٲ عن العمل.. وصار يلعن الحرب التي دمرت أسرته.. ولأنه كان صديقنا المقرب نصحناه أن يبتعد عن ميادين المدينة.. حتى لا يفقد صوابه وتعاقبه الكهنة.. فترك خاوٲ المدينة وعاش بالحديقة الكبيرة وبعدها تغير خاوٲ.. وأصبح جباناً يريد أن يحيا بعيداً عن الحرب.

وقبل أيام تغير خاوٲ.. حتى أنه أثناء عملنا بميدان المدينة رأى كاهنا فسبه.. وقال له إنهم ظلمة.. ولعن قانون الحرب.. وقانون الإرث.. وكان متشدداً.. وهو يلعن قانون الجوازي.. قبض عليه.. وألقيت التهم جزافاً عليه كتهمة إهانة ميسلان العظيم والكهنة وحب جارية وغيرها.. كما تعلم أن تهمة من هذه تكفي إعدامه بالساحة الشرقية..

قلت بأسى:

.كيف ألقاه؟

. صعب ذلك.. اعتبره مات

فصحت بغضب:

. لا بد أن هناك طريقة..

. لا وما تستطيع أن تفعله لأجله أن تسامحه

وعندما أراد أن يستأذن قلت:

. كيف أجذك؟

. أنا أعمل مع خاوث بعمله القديم.. ستجدني هناك

وأضاف وهو يصعد باب المنزل:

. استأذنك سيد شاكريم

فابتسمت له.. ولم أقل شيئاً

لم أغادر الكوخ الصغير أسفل الشجرة لأيام.. وما كان يشغلني حقًا هو أمر خاوث.. كنت أعد الخطط لهزيبه.. ولكنها كانت محاولات يائسة.. فكلما وضعت خطة أدركت سريعًا أنها طفولية.. وأن عالمي الذي أتيت منه حروبه أقل كثيرًا من ذلك العالم.. فعندما غادرت عالمي كانت الحرب العالمية الثانية تدور.. أما هنا فالحرب لا تتوقف.. لم أقل أنهم همج أو أدنى منا مرتبة.. بل هم مغيبون وموهومون من الكهنة.

خاوث ذلك الفتى الضعيف الهين الذي جعلت منه ثائرًا.. لعل قوة كلماتي ما غيرت به.. وأيقنت أن لسحر الكلم قوة تدنو لها السياف.. فذلك خاوث بغيابة سجون الكهنة.. ولا أقول سجون الأمير كولدو فكل مغلوب على أمره.

وتمضي الأيام وأمضي معها كما تحمل الريح أوراق الشجر.. فما العيب بالريح ولكن العيب فينا.. هكذا كنت.. أنا لم أغادر ولم أفكر سوى بأمر ذلك الحزين خاوث.. وبقيت على تلك العادة حينًا من الدهر اقتطف الوريقات والثمار.. وأشرب من البحيرة.. ولا أريد العمل.

لعل ما حدث لخاوث جعلني مثله أخشى الحرب وظلماتها.. فأنا لست فارسًا ولم آتي هنا لأدخل معركة ليس لي ناقة ولا جمل بها.. وكيف سأعود إلى عالمي التعيس الذي أيقنت أنه أفضل بكثير من هنا.

فكرت كثيرًا أن أذهب إلى مارون لأسأله عن أمر المسكين خاوث.. وقبل أن أذهب إليه وجدته أمامي ليلاً بكوخ خاوث السري.. فلما دخل كنت واضعًا رأسي بين ركبتي في بأس

فقال مارون:

. سيد شاكريم كيف الحال؟

نظرت إليه بيأس وقلت:

.لست أفضل حالاً من المسكين خاوث

وأضفت نافرًا:

. ماذا أتى بك يا مارون؟

. أتيت لأخبرك بشأن خاوث

قلت بولع:

. ماذا حل به؟!!

قال بأسى:

. بل الغد سيحل به.. بالساحة الشرقية سيعدم.. سأنتظرك حتى نلقي

عليه الوداع قبل موته

. لا بل سننقذه

. أراك بالغد ليكن ميسلان برفقتك

"الساحة الشرقية"

أسمها الساحة الشرقية.. أو الساحة الحمراء كما يدعونها الكثيرون.. هي ساحة إراقة الدماء.. وتقديم القرابين والإعدام.. أنشأها الأمير مولينام ليقدم بها القرابين لميسلان العظيم.. وأصبحت اليوم ساحة إعدام عامة لتلقي العظة بنفوس القوم.

تقع أقصى المملكة بالشرق وخلفها جبال ذهبية وكانت عظمة الحجم.. بل أشبه ما يكون بميدان حرب.. تمتلئ بالآلاف عند تنفيذ أحكام الإعدام والحضور جبري على الجميع.

منصة الإعدام مصنوعة من الخشب الكبير.. لها أربعة عمدان.. وتقع فوق تلك المنصة خشبة الإعدام الكبرى لقطع الرؤوس.. عند الإعدام يحضر كاهن الإعدام ويسأل المتهم أمام الجميع عن صحة تلك التهم.. فجميعهم ينكر التهم وأيضًا الحكم ينفذ.

كنت أشق الصفوف بجزع وخلفي مارون يتبعني حتى دنوت من المنصة.. وكان الكاهن صاحب الملابس زهري اللون يقف يقرأ من ورقة بينما كان خاوث مقيد اليدين.. ولم أره سوى قوي شديد البأس.. فصحت بأعلى صوتي

.توقفوا بحق ميسلان.

.توقفوا بالله عليكم.

لكن لم يسمعي أحد من علو صوت الناس.. فجذبني مارون من يدي.. ثم همس بأذني قائلاً

.توقف سيد شاكريم سنقتل إن لم تصمت

ففاضت الدمعات بعيني.. ولم يفرق مارون عني كثيرًا.. بل رأيت الكثيرين يبكون أيضًا.. وعندما بدأ الكاهن بكلماته توقف الصوت.

. خاوث بن مكين.. لقد قضت محكمة الكهنة بإعدامك فما قولك بتلك التهم التي تعدم لأجلها

قال خاوث بصوت عالٍ لم أشهد مثله.. وكأنه يخطب بجيش من الرجال.

. أنتم ظالمون.. وكم قتلتم لأجل ميسلان.. وتقولون إنها رغبته.. فمتي رغب ميسلان أن يضر بما صنع.. ولو أراد ميسلان لأهلك كوننا. أنتم تدمرون العشائر.. فأنا فقدت أبي بسبب تلك الحرب البائسة.

وأضاف باكياً:

. أما عن الإرث.. فمتي رضى ميسلان أن تذهب أموالنا لخزنتكم.. ويضيع الكد والتعب هباء.. أنتم يا من شرّد الأطفال بالحرب.. ونهب الأموال.. تقولون أن مملكة اليكسارنه عظيمة.. هي عظيمة حقاً ولكن بسفك الدماء وتشريد الأطفال

ونظر إلي ولا أعلم كيف رأني.. ثم قال مبتسماً:

. الحسنات يضعن بسببكم.. وقلتم تلك إرادة ميسلان العظيم بل كانت إرادة الأمير مولينام.. فهو لخيانة زوجته لعن جميع الحسنات.. وكأن كل الحسنات خائنات. من أعطاكم الحق حتى تتحكموا بمصير الحرائر.. أتتذكر عندما كنتم تقدموهن كقرايين لغوال الحسنات.. أنا ألعن تلك المملكة التي تقتل شعوبها.. وألعن الكهنة الذين باعوا الحسنات.. وإن كان عالمنا أوشك على نهايته فأنتم من تقودونه إلى نهايته.

ثم صاح غاضباً:

. اليوم سأكون بين يدي ميسلان العظيم وسأخبره عن أثامكم.. ولن يكون مصير المملكة أفضل بكم.. لكن مصير المملكة سيكون أفضل بمن هم مثلي

تحجرت الدموع بمقلتي وأنا أنظر إليه فابتسم.. وكأنه يخبرني ألا أخاف.. فشعرت بطمأنينة قلبي.. وابتسمت برفق.

ثم تابع ثائراً:

. لا تتوقفوا عن القتال لأجل أطفالكم.. وانشروا السلم بالعالم.. بل حاربوا الجهل.. أنثروا العلم بأرجاء العالم.. فليس العلم حكراً على مملكة اليكسارنه.. حاربوا الجهل.. حاربوا الكهنة.. ورفقاً بأميرنا كولادو فإنه مغلوب على أمره

ولما كان حديث خاوث يعبث بنفوس الجمع بدت أمارات الخوف على
وجه الكاهن.. فأشار للسياف وقبل أن يكمل خاوث كلمته الأخيرة
.. ميسلان.. .. .

ضرب السياف عنقه حتى سقطت رأسه من المنصة.. فوقعت أسفل
قدمي وكان مبتسما.. شعرت بدوار العالم حولي والتقطني مارون قبل أن
أسقط.

على رمال شاطئ الإسكندرية وبالقرب من القلعة الشامخة صباحًا..
كانت السماء صافية.. وشيء ما في نفسي قال "لقد ذهبت الحرب من
عالمي".. فأرى الصيادين والبسمة تكسو وجوههم.. المشهد كان بديعًا حقًا
لا يعكر صفوه شيء.. ها أنا عدت إلى عالمي.. وسرعان ما تقلب مزاجي..
وصرت أتضرع إلى الله أن يعيدني ثانية.. توسلت كثيرًا وعدت أركض على
رمال الشاطئ حافي القدمين.. ولكن هذه المرة لم أكن كما كنت من قبل
ثائرًا بل كنت مجنونًا.. ألهث باحثًا عن البرق.. ولم يتغير شيء..

أركض يمينًا ويسارًا.. وشعرت بمن يتبعني.. ثم قال بصوت عالٍ
ضاحًا

. سيدي شاكريم هل تكف عن الركض لقد أرهقتني

فقلت مندهشًا:

. خاوث

دنوت منه واحتضنته حتى كادت أن تتمزق أضلعه من قوتي.

أردفت باكياً:

. كيف أتيت إلى عالمي؟!

قال بدهشة:

. سيدي إن عالمك هو عالمي بالحديقة الكبيرة

. لكن يا خاوث نحن بالإسكندرية

. اليكسارنه يا سيدي. ماذا حلّ بك؟

. لا شيء اشتقت إليك يا أخي

تحدث بعجل:

. أوصيك بنفسك يا سيدي شاكريم.. فكما جعلتني ثائراً وحرّاً.. وأنا

الآن أفضل.. وما يقوله الكهنة هو افتراء على ميسلان العظيم

. أنت ميت يا خاوث

. لا يموت أحد يا سيدي شاكريم

ثم أضاف:

. أريدك أن تكون حرّاً كما جعلتني حرّاً.. أنت على صواب يا سيدي..

وولدت كي تكون فارسا.. فإن مصير عالمنا سيكون أفضل بك.. أنت لك

سحر بالكلمات.. فحث الشعب على الثبات.. وأنشر العلم بالعالم

. لكني سارق يا خاوث

. سارق لعقولنا يا سيدي. استأذّنك حان وقت المغادرة

. خاوث.. خاوث.

استيقظت عاجلاً أردد اسمه.. وكانت الحسناء لوانا تجلس بالقرب

من جسدي الممدد بالحديقة فابتسمت..

وقف مارون بالقرب من الحسناء لوانا الجاثية على ركبتيها بجانب

جسدي الممدد.. ولما رأى أنني استيقظت قال مبتسماً

. أهلاً بعودتك سيد شاكريم

فابتسمت إليه ثم أضاف:

لم أكن أعرف أنك تحدثت معها من قبل.. هذه الفتاة كانت بالساحة الشرقية.. ولما وجدتك مغشياً عليك همت لتساعدني بحملك.. وأتينا بك إلى هنا

ثم سار مبتعداً قليلاً.. وعاد ينظر إلي قائلاً

لم أعرف من قبل أنك تولع بجارية

لم أبه لكلامه ونظرت إليها بعطف:

لوانا اشتقت إليك.. أمدح الصدف أنها جعلتنا نلتقي ثانية

فقالته باسمه:

كنت بالساحة الشرقية.. ولما سمعت كلام ذلك الفتى عن الجاريات شعرت بأن الأمل قادم.. وربما ستتغير قوانين ميسلان كما قلت من قبل

ثم أضافت وهي تعبت بشعري:

تلك المرة الأولى التي يتعاطف بها أحد مع الجاريات.. عندما علمت أن خاوث هو صديقك المقرب أيقنت أنك من جعلته يقول هذه الكلمات.. وأنت استطعت أن تغير أحد القوم.. وتجعله يتعاطف معنا.. فأنت كما قلت لي من قبل ستتغير قوانين الكهنة. أستفعل ذلك لأجلي كما قلت؟

نعم سأفعل ذلك لأجلك.. ولأجل كل جارية ضعيفة

فقالته برفق:

أنا أثق بك يا قرة عيني

وأردفت ثانية:

. أريد أن تريم عظمتك يا شاكريم.. وسنلتقي بحديقتنا.. كلما أردت
أن تراني أذهب إلى هناك قبل علو الضباب.. فتلك ستصبح عادتي من
اليوم.. ولن أوقفها.

ابتسمت وقلت:

. سأفعل يا محبوبتي

. سأغادر الآن أراك قريبًا يا قرة عيني

بعدما غادرت عاد مارون.. وقد جلست على الأرض فجلس بجاني

ثم قال:

. أنت من جعلت خاوث يقول تلك الكلمات

. نعم.. أشعر أنني قتلته

فقال بحماس:

. لا يا سيد شاكريم.. أنت جعلته يموت كمحارب.. وأصبح حديث

القوم بالمملكة

شردت قليلاً وقلت:

. مارون أريد أن أتعلم الفروسية

قال متعجبًا:

. ماذا؟

. لأجل خاوث

. لكن..

. مارون استمع لما أقول.. أنا لست ذلك واهن الجسد الذي تراه. أنا

لدي قوة تفوق قوتكم بثلاثة أضعاف.. ومرونة أعلى بكثير من أجسادكم..

بل جسدي قابل للتمدد.. ويمكنني أن امتلك جسدا أقوى منكم بكثير

قال غير مكترثًا:

. ماذا تقول يا سيد شاكريم؟!

قمت من مكاني.. وتوجهت ناحية شجرة قزمة.. وجمعت قواي فحاولت مرات اقتلاعها.. ومارون يبتسم حتى اقتلعتها من جذورها.. وألقيتها أمامه

قال مندهشًا:

. ما هذا؟!

على مدار أشهر بعد أن اتخذت محل خاوث كجمال.. وصار مارون رفيقي بالعمل والسكن.. بل صار أيضًا رفيقي بإعداد جسدي بقوة حتى يصبح ذلك الجسد قوي البنية حتى يقبلني الفارس الحرّ "حيمان" لأصير من تلامذته.. كان يومي يضيع بين العمل والطعام والتدريب.. وأيضًا مقابلة محبوبتي لوانا.. فكان مارون الصديق المعين على ذلك.. وجمعنا هدف واحد هو السمو بأنفسنا لأجل روح خاوث.. ولننفذ وصيته.. أيقنت أن ذلك العالم لا يعترف سوى بالقوة فكنت أجنمها كما أجنبي المعادن.. وتغير جسدي كثيرًا حتى أن بنيته أصبحت ضخمة.. وما ساعدني في ذلك الطعام والنباتات التي كانت تحفز قوتي حتى بدا التأثير جليًا وأدهشت الجميع.. وأكثر من أدهشتهم حبيبي لوانا.

عشقت لوانا قوة ساعدي وعضلاتي المفتولة.. لكن بقي ذلك القلب الضعيف أمامها.. ولم افتتن بقوتي لأنني لم أصبح ذلك الفارس بعد.

العمل وكّد العمل ربما يرهق جسّدك.. لكنه يسمو بروحك.. ويعلي
 قوة ذاتك.. لم أشعر بحب العمل سوى بذلك العالم.. وما أبغضني عندما
 كنت سارقاً لا يطبق العمل ولا الكفاح.. أنا استسهلت الحصول على
 رزقي.. وهنا بمملكة اليكسارنه تغير كل شيء.. تغير وهني وضعفي.. وصرت
 قوي الجسد وقوي الشكيمة.. بل ثائراً على كل شيء.. ربما ذلك العالم
 التعيس أحيأ بداخلي القيم السامية.. ورغم أنه عالم بشري يختلف عن
 عالمنا كثيراً إلا أن به بعضاً من الأشياء الثمينة حقاً.

ولما كنا أنا وصديقي مارون بأحد الميادين الكبيرة نعمل بكّد وتعب..
 وبرز ساعدي بقوة.. فامتلكت الكمال الجسدي.. وزادت قوتي أضعاف..
 حتى أن قبضتي كانت تخرق الصخور وتقضم الحديد.. نظر إلى مارون
 متعجباً

ثم قال:

. شاكريم أصبحت قوياً جداً.. أخشى أن أغضبك فتهشمي قوة يديك

العارية

ضحكت وقلت:

. بل القوة تكمن بكلماتك يا أخي وليس بجسّدك

فابتسم برفق:

. أتؤمن بذلك حقاً؟

. نعم يا مارون. إن السواعد دون عقل لا تبني مدائن.. والعقل حينما

يعمل نجني الغنائم

فضحك قائلاً:

. أراك تنطق شعراً

ثم أضاف:

. ما أعذب حديثك يا شاكريم.. أقسم بحق ميسلان بأنك كنت شاعرًا
قبل أن تأتي هنا.. ولم أر من قبل أحدا من الشمال بذلك اللين
نعم لقد رأيت أحدهم

ثم عاودنا إدخال المعادن إلى المتجر الكبير.. ومسحنا العرق المتساقط
منا.. فلما انتهينا خرجنا.. وعلى باب المتجر كل منا كان يتكئ براحتي يديه
على ركبتيه.. نتبادل النظرات وضحكنا كثيرًا قبل أن أصفحه على طريقة
عالمي.. فقد علمته تلك المصافحة من قبل.

وبعد مضي القليل من الوقت شعرنا بحركة غريبة حولنا.. والجميع
يركض ناحية ميدان القصر الكبير.. فممنهم من يركب الأسترية.. وممنهم من
كان يركض على قدميه.. أوقفنا أحدهم ثم سألته

. ماذا هناك؟!

. الأمير يخطب بالميدان الكبير

ثم تركنا الرجل وركض بقوة فتبعناه ناحية القصر.. ولما وصلنا
استعنت بقوة جسدي حتى أشق الصفوف لأتقدم نحو الأمير فاستمع
جيدًا لما يقول.

فقال مارون متعجبًا:

. ستسمعه يا أخي بأي مكان

. لكن أريد أن أراه يا مارون

واقتربنا منه حتى أصبحنا بالصف الأول لا يفصلنا عنه سوى جنود
الحاشية.. وكان الكاهن كركال يقف جاره على منصة الأمير..

"خطبة عصماء"

يا أحفاد الأرض البلورية ومولينام العظيم.. يا من امتلكتم قوة أبي اليكسار وكتبتم التاريخ من قبل.. بل أن التاريخ ترك لكم صفحاته حتى تملئوها بما تريدون.. أنتم المختارون من ميسلان وقوة كهنتكم جعلتكم علىة الأقوام.. فلم يمنح ميسلان العلم سوى لشعب مملكة اليكسارنه.. ولم يمنح القوة سوى لسواعد أبنائها..

تتذكرون الأيام الخوالي وفتوحات المشرق المهيب.. تتذكرون عندما كنا نطوي الأرض طياً بين المشرق المهيب وهضاب مقاربو.. يا من حفرتهم أنهار الأرض البلورية.. أنهار ايسرا ومحيطات بنيماه..

فلا لأمة بأس سوى أمتنا.. ولا يقدر على قوتنا سوى ميسلان ذاته.. فكما أختاركم ميسلان لابد أن تختاروه وتنصروا إرادته..

وتابع شاهراً سيفه وهو يصيح..

فما إرادة ميسلان سوى أن نجول العالم ونرد على كيد المعتدين.. وأنا كما تعلمون لم أقدم قط على غزو شعب دون أن يعتدي علينا.. ولكن إلى متى سنظل ندافع؟!.. إلى متى سنظل نرحمهم?!.. أخبروني يا أحفاد الأرض البلورية..

أخبرتني الكهنة أن الأب ميسلان العظيم يطلب منكم أن تجولوا الأرض وفتتحوا العالم.. اقتلوا كما تتنفسون.. افتكوا بهم.. لا نريد الغوفال ولا الكلدان ولا الغوال ولا أية عشيرة أخرى على كون ميسلان هذا.. حطموهم أينما وجدتموهم..

وصاح الأمير كولادو بصوت يصم الأذان ويخرق عنان السماء.. تعالت الصيحات لكنها لم تعلو على صوته.. وقال كلماته الأخيرة

إني أتيت اليوم أحمل رسالة ميسلان إليكم..

ثم أخرج ورقة كبيرة وشرع يقرأ

"أبنائي من الأب ميسلان العظيم.. حلقوا حتى عنان النجم.. وأطووا الأرض تحت أقدامكم.. زلزلوا الجبال حتى تخشع لإرادتكم.. كونوا كالسيل حتى تهرع منكم دواب الكون.. وفيضوا عن عزمتم حتى تخفي محيطات بنيماه بينها.. أبنائي اليوم هو يوم الفصل.. هو اليوم العظيم.. يوم الملحمة الكبرى.. أبنائي اليوم هو يوم نصره ميسلان".

تعالت الأصوات حولي حتى حيوان الأسترية كان يصدر أصوات كالبرق.. وهتف الجميع باسم الأمير كولدو.. بينما هم يهتفون كنت أراقب نظرات كولدو عن كثب.. ولم يكن متحمسًا مثل حماسة الكاهن كركال.. فعلمت أن الكهنة تمضي بطريقها الذي وضعته.. وهو إتلاف ذلك العالم.. وما رأيت من كولدو سوى فتى طائش.. وذلك الشعب هو الجبل بعينه حتى أن مارون ألهبته الحماسة مثل الباقين.. فتركت الجمع وذهبت بعيدًا..

بينما أنا أسير بعيدًا كان مارون يتبعني ونادى مرات.. لكن لم أعيره اهتماما لما بدر منه.. وحماسته التي ظهرت من خطاب الأمير كولدو.. توقفت ونظرت إليه غاضبًا

. ألهبتك الحماسة يا مارون حارب معهم إذن

فقال بضيق:

. ما بك يا شاكريم! كف عن إلقاء التهم جزافًا

. أنا لا ألقى التهم.. ولكن تذكّر لما مات خاوث.. وعما كان يدافع

ثم أردفت غاضبًا:

. تلك لم تكن كلمات كولدو إنها كلمات الكهنة.. أرادوا أن يهبوا الأمر

سريعًا وستخسر المملكة الكثير

فقال بأسى:

. لقد قضي الأمر وسنجد أنا وأنت بالجيش إجبارا.. ألم تكن تريد ذلك؟

. أريد ماذا؟!

قال بحماس:

. أن تصبح فارساً

. الفارس الحق هو من يحارب لأجل الحق.. ولن أحارب في صف الكهنة

. ماذا ستفعل إذن؟

أردفت وأنا أقبض على يديه:

. بل ماذا ستفعل؟!

. حسناً ماذا ستفعل

. أجمع المؤن يا مارون.. سنختي بمنزل خاوث بعيداً عن أعين الجيش حتى تنتهي تلك الحرب.. ونرى ما ستفعل بعدها

فأوماً رأسه وابتسم قائلاً:

. أنت على صواب

وكان علي أن أرى الحسناء لوانا قبل أن اختي من أهوال الحرب لأوصيها على نفسها.. وأخبرها بأنني سأكون بخير

قبل علو الضباب وغياب الموجودات بين ثنياه.. انتظرت عند الحديقة الكبيرة التي تبعد مسافة قليلة عن متجر السيد كمور المغلق.. فعندما آلت ملكيته إلى خزينة المملكة تم إغلاقه.. ويبدو أنه لم يجد المشتري له..

ذلك هو وقت الحرب.. وعند الحروب يدّخر الرجال المال.. فلا يريد أحدهم شراء شيء ولا العمل بالتجارة.

هذه هي الحرب التي اختزل مشهدها عندما نظرت إلى متجر السيد كمور أثناء طريقي إلى الحديقة.. الحرب هي آفة ذلك العالم وما يضلّه.. السوق يخبرني الآن أن الهلاك قادم لا محالة.. ولم يختلف الأمر كثيرًا لباقي الحانات المغلقة.

الخواطر تلك كانت بمخيلتي وأنا أنظر إلى جمال الحديقة أمامي.. تعجبت كثيرًا من الفارق الكبير فهناك بالسوق ترى أثر الحرب جليًا أما بالحديقة لا ترى ذلك.. هذه الأشجار لا تأبه لأمر كولدو وطموحات كهنته.. هي الطبيعة يا صديقي التي تتحدى إرادة البشر

وضع أحدهم يده على كتفي عندما كنت هائمًا أنظر إلى الأشجار العملاقة وألوانها المبهمة..

فقلت دون أن أدير ظهري:

.لوانا حبيبتي

قالت مبتسمة بعدما استدرت لها:

.اشتقت إليك يا قرة عيني

.أردت أن أخبرك بشأن الحرب عليك الاختباء

ثم تحولت نظراتها لرعب:

.ستحارب معهم يا شاكريم

قلت غير مكترث:

.لن أحارب لأجل الكهنة فدوري لم يحن بعد

قالت متعجبة:

. ماذا ستفعل؟

. سأختبئ بعيداً عن أعين الجيش حتى تنتهي الحرب.. وقد وددت أن
أخذك معي إلى كوشي السري.. ولكن لن أكون وحيداً

. لا يهم فأنا سأكون بخير

ولم يدم حديثنا طويلاً ففرغنا منه سريعاً.. وذهبنا نختبئ خوفاً من
ظلمات الحرب

بعدها ذهبنا لجبال مينال.. الطريق إلى جبال مينال وعمر.. ليس بمثل
الطريق إلى هضاب مقاربو.. لكن تعب الجنود من الكر والفر والقتال.. لم
يكونوا قادرين على التحرك قيد أنمله.. حثنا الأمير كولاو على القتال
ووعدنا بالغنائم.. وبرضا ميسلان عنا.. أما الجنود فلم أر أنهم حركوا
سائناً سوى عندما سمعوا عن الغنائم.. وعلى مدار شهر وأيام قليلة
وصلنا إلى جبال مينال.. كان جيش الغوفال ينتظرنا كالسيل فطوقنا
الجنود ودارت الرحي.. حارب الجيش مستسلماً وخائر القوى.. وما زاد
ضعفهم بأس الجند الغوفال.. فلم تدم المعركة طويلاً وقتل من القادة
الكثير وهرب من هرب منهم.. وهربت أنا كممثل الجميع.

جمع جيش كبير من فتیان المملكة الأشداء، وكانت التدريبات شبه
يومية فتحوّلت المملكة إلى ميدان حرب كبير، وتحوّل الجميع إلى قادة ..
إن ولع الحرب جعل الجميع لا يفكر سوى بالقتل، وأصبح السيف هو
الأمل الوحيد .

وعلى مدار أشهر كثيرة كنا نختبئ ونتحرك ليلاً بالميادين بحذر، فكنا
نتجسس ونستم بعضاً من الأخبار، وعلمنا أن القائد كولاو يعد جيش
قوامه أكثر من أربعمئة ألف جندي سيترك المملكة ويجول العالم بحثاً
عن لا شيء سوى القتل وسفك الدماء، وتم تدريب جيش أكبر ليوقف

يحمي حدود المملكة بالداخل، ويكون مدداً لذلك الجيش الأسود، فنفذ مداد الكتاب والشعراء بالخطب العصماء التي ألهمت الجميع .

خشيت كثيراً أن تعبت تلك الكلمات لأولئك الشعراء برأس مارون، وكيف لا؟! ..هي عبثت برأسي وجعلتني أريد أن يكون لي القصة المثارة بالمجالس، ولكني كنت أعدل عن هذه الأفكار .. أما عن مارون فكان كثيراً ما يحدثني عن الحرب، ويقص عليّ نبأها، أبكي تارة وأذهل تارة .. لكن ما غلب عليّ أنني لعنت الحرب أينما حلّت، فالحرب هنا بالسيف وليست ببنادق نارية، ولكنها حرب أيضاً .. مارون كان كصديق واختلف عن خاوث كثيراً فكانت علاقتنا ندى لند أو رأسيين متساويين، وهذا ما لم أعده عن خاوث الذي اعتبرني كمعلم وقدوة .. لا أخفي عليك كنت أعشق طريقة مارون معي كصديق .. هي لم تقل من قدرتي، ولكن لم تبخس قدره أيضاً مثلما كان خاوث المسكين

وعندما ذهب الجيش الكبير خارج المملكة كنا نخشى ولا نظهر مطلقاً، ولم نخشى نحن بل الجميع أيضاً .. فأصبحت ميادين المملكة ملاذاً للجنود، لاسيما أنهم مطالبون بحماية الجميع

مرّت خمسة أشهر أخرى، وعندها تغير كل شيء .. ظهر الجميع وكانت قصص الحرب تثار بالمجالس والجميع يطلبها، وكان سرد القصص عمل يدرّ الكثير من المال، فأردت أن أعلم ما حدث ولكن لم أتعجل .. فالراوي هنا زائف بل أكثرهم، وقليل منهم من رأى ما يقص بأعينه

واتفقنا أن نعود إلى الخارج لنجد الراوي صاحب القصة الحقيقية الذي سيخبرنا عما حدث دون افتراء أو خيالات جامحة أو أمنيات .

خرجنا ذات يوم حتى نعلم ما دار بتلك الملحمة التي أخبر عنها الأمير كولدو، و قال لي مارون أنه يعلم أحد الجنود الناجين من تلك المعركة

الشنيعية، فتركنا الحديقة الكبيرة وسرنا مسافة كبيرة بميادين المدينة حتى وجدنا المجالس الدائرية، وهي مجالس أنشأتها المملكة للشعب حتى يتسامروا بها ليلاً، هذه المجالس كانت حلقات دائرية من المقاعد الخشبية وتحيطها الأشجار القزمية .. بعضها كان له كرسي موضوع أوسطها، وهذا كان كرسي الراوي، ولكن الكثير منها لا يوجد بها هذا الكرسي ..

وبينما نحن نمشي نظر مارون إلى المجالس الخالية وقال :

-أنه ينتظرنا يا شاكريم

ثم أشار إلى واحدة من تلك المجالس، فرأيت رجل رث الهيئة وأثار جروح الحرب تملئ جسده .. كان لا يرتدي شيئاً بنصف جسده الأعلى، وكان جامد الوجه، أصلع الشعر، وحليق اللحية ، له ملامح عابسة وأنف دقيق، ذو بشرة صفراء قاتمة ..

فاقترينا منه وهمست قائلاً إلى مارون :

-يبدو أنك على صواب يا مارون يبدو محارب

ودنونا منه فقال الرجل :

-أهلاً مارون

-سيد عليرآن أتينا بموعدنا

ثم أشار إليّ وقال :

-هذا صديقي السيد شاكريم

فقال الرجل معجباً :

-يبدو فارس قوي

فابتسمت إليه وجلسنا، ثم اخرج هذا الرجل ورقة كبيرة وقال :

-أريد أن أريكما خريطة بخط سير الجيش
فقلت مدهولاً :

-هل أنت دليل يا سيد عليراً؟!

-نعم أنا فارس ودليل أيضاً

فابتسمت ثم تابع حديثه :

-دعني أريكما كيف سار الجيش

"المعركة الدامية"

لم يتجه جيشنا إلى المشرق المهيب، فكما تعلمان يفصلنا عن غوال
الحسناوات صحراء شاسعة وغابات مترامية بها الخطر الأكبر، وهم
مخلوقات السورينتاس .. كانت خطة الجيش الذهاب إلى مواجهة
الكلدان بهضاب مقاربو، ومن ثم العبور نحو جبال مينال لملاقاة الغوفال
ثم بدأ رسم خارطة تحرك الجيش وهو يتحدث .

كما تعلمان تركت مسافة خالية أمام أبواب المملكة عبرناها، وكنا
نركب الاسترية فلم ترهقنا تلك المسافة، وثم عبرنا نحو غابات كرتناو
مروراً بالصحارى الصغيرة شرقاً، وهذا كان عمل الدليل، فكنت أنا من
هؤلاء الذين اسندت إليهم مهمة إعداد خط سير الجيش، وعندما وصلنا
إلى الوديان الذهبية ألتف الجيش حولها، وخيمنا لأيام قليلة نتفقد أمر
الجيش قبل العبور شرقاً ناحية الصحراء البلورية، وعلى مسافة أسابيع
بتلك الصحراء أرهق جنودنا من تلك الرحلة الصعبة، فهي المرة الأولى
التي يخرج بها جيشاً كبيراً كهذا من المملكة ويقطع مسافات كبيرة .

قلت متعجباً :

-لكن الأمير كولاوو تحدث عن حروب الجيش .

فقال بوجه جامد :

-كان ذلك منذ زمن بعيد جداً، فأنا أقصد جيش الأمير كولاوو. لا

تصدق جميع ما يقال بالخطب الحماسية

بعدها تابع حديثه بعدما نظر إلينا بعمق كي لا نقاطعه ..

بعدها عبرنا تلك الصحراء، وبعدها استشار الامير كولاوو الأدلاء

تحركنا بخطوات دقيقة نحو ساحل محيطات بنيماه فأرھقتنا الرحلة

وخارت قوى الجنود، ومازالت تفصلنا مسافة شهر عن هضاب مقاريو

حيث يقيم الكلدان .

فقال بعض القادة للأمير أن تلك الرحلة أرھقت الجنود، والمضي بها

ربما سيقتلنا قبل أن نصل، وبدى أن الامير امثل لطلبهم .. لكن كنهة

الحرب الذين يرافقون الأمير كان لهم رأي آخر، فعدل الأمير عن كلامه،

واستكملنا الرحلة، ومضت أيام صعبة على الجنود .. حرّ ميسلان زاد

الحمل على جنودنا، فكانت المؤن تنفذ منا سريعاً حتى أن الماء أوشك

على النفاذ .

لكن ميسلان أبى أن يموت الجيش عطشاً، فوصلنا إلى أنهار ايسرا ..

ذلك الشلال الساقط من سماء ميسلان يشق الأرض، ويعبر مسافات

شاسعة، و بالأخير يصب في محيطات بنيماه .. ارتوى الجنود وزادت

قوتهم وعاد الأمير يخطب بجنود الجيش يحثهم على القتال .

لكن

ثم صمت قليلاً .

فقلت متحمساً :

-ماذا حدث؟!

عاد يتحدث بأسى :

لم نحسب قطّ تلك الطامة، وحسرتاه ومصيبته .. الكلدان شعب قوى جداً فارع الطول وضخم الجثة، ولكن جيشهم قليل العدد .. ذلك ما حسبه الأمير كولاو فنحن أربعمائة ألف جندي .. هل تخيلتما قوتنا؟!، بأس أربعمائة ألف جندي .. لهم صوت يشق الأرض ويهزها تحتم .. من يقول أن يكون جيش كهذا من الممكن أن يقهر سوى بجيش يفوقه عدداً

قال مارون :

-وهذا ما حدث؟!

قال عليران وهو يحرك رأسه يمناً ويسرة :

-يا ليت هذا ما حدث. كنا سنموت بشرف

ثم شرد قليلاً واستطرد ...

بحثنا عن الكلدان بمدينتهم .. خاوية هي على عروشها، وفتّش الجنود كل أزقة المدينة. لا أحد هناك .. سرعان ما ظهر زهو الأمير كولاو، وقال أنه انتصر .. زادت حماسة الجنود وانتشرت المعازف وشغلنا أمر جمع الغنائم ، وأشهد أننا جمعنا ثروات هائلة من حلي وأخشاب ثمينة، بل جمعنا أزهار نادرة كنا نحسب أنها اختفت من كون ميسلان .

فقال بعضهم إلى الأمير أن نترك نصف الجيش هنا ونعود أدراجنا نحو المملكة لنستعد لنقل بعضاً من شعبنا الكبير بمملكة الكلدان، فلا يستطيعون العودة ثانية إلى مدينتهم لكن غرور الحرب جعل الأمير لا يستمع لكلام أحد، وكأنه أراد أن يبحث عنهم بهضاب مقاربو حتى يقتلهم فرداً فرداً، ومن لا يعرف هضاب مقاربو .. هي متاهة ولا علم لأدلتنا بها ..

فأسند مهمتها لنا وكم أخبرناه أننا لا علم لنا بها، لكن كان يسند لنا المهمة فحسب .

وكان يرسل فرق استكشاف داخل هضاب مقاربو، بل وصل غروره وافتتانه بقوة الجيش أن تكون الفرقة من خمسة آلاف جندي، فتذهب الفرقة ولا تعود .. هكذا ظل الأمر .. كنا نحسب أنهم يتوهون داخل هضاب مقاربو، وذلك حتى أرسلنا الفرقة السادسة، وعاد منهم ربما أقل من خمسين جندي .. لكن ما ميز هذه الفرقة حتى تعود؟!

فقال مارون بحماس :

-نعم ما ميزها؟!

أردف بحماسة ووجه جامد .

"رومقن" هذا ما ميز تلك الفرقة .. أنه أقوى محاربي الجيش وأعظم الألداء وأصبحت قصته اليوم أسطورة تقال في المجالس .. عندما عاد رومقن جريح الجسد مبتور الذراع الأيسر أخبرنا عن المؤامرة التي تحدث.

ترك الكلدان أرضهم واختفوا بداخل الهضاب، وكانوا ينوون أن يصيدوا الجنود واحداً تلو الآخر لكن غياب الأمير كولاو وسهل مهمتهم، فكان يرسل لهم الجنود حتى يقتلوهم .

دخل رومقن بفرقته حرباً دامية أمام فصيلة مكونة من أكثر من ثلاثين ألف جندي من الكلدان، وقتل منهم من قتل .. هو لم ينتصر عليهم ولكن هروبه منهم يعد الانتصار الأكبر لنا .

فأخبرنا رومقن عن مكان معسكر جنود الكلدان، وأخبرنا أن لديهم عدد كبير لكن لم يخيل إليه العدد تقريباً لقرب علو الضباب ذلك الوقت، فما كان من الأمير سوى إعداد الجيش بحماسة نحو المعركة ووضع خطة حربية لم نعهدها من قبل .

وما أضل تلك الخطة ؟!

فقلنا بصوت واحد :

-ما هي ؟!

الخطة بدت حكيمة جداً على الورق، وتنفيذها بدى سهلاً، بل أن القادة ذهلوا من عبقرية الأمير كولادو .. هو قرر أن يهاجم بميسرة الجيش لأن متاهة الهضاب كانت علي ميمنة جيش الكلدان، وخشي أن يهاجم بقلب الجيش فهرب الكلدان نحو متاهة هضاب مقاربو، ومن ثم يلتفون حولنا فيفتكون بنا ..

قال مارون بتعجب :

-يبدو ذكياً جداً

ابتسم عليرآن برفق وأردف :

-نعم ولكن دعني أكمل الخطة

ثم شرد قليلاً وعاد يتحدث :

عندما تهاجم بالميسرة فأنت تضعف قوة جيشك وتفقده توازنه .. هذه كانت المخاطرة الكبرى، ولكنه كان يعوّل على جنود الميسرة حتى يدفعوا جنود الكلدان ناحية الميمنة لنطبق عليهم، ويصبحون بين فك قلب الجيش، فننهي المعركة سريعاً .

وبالفعل إذا نجحت الخطة كنا سننهي المعركة سريعاً، ولكن حدث شيء جعل الأمير ييقن حينها أن الخونة يملئون الجيش، فلم نواجه جيش منظم من الكلدان وهم معروف عنهم حسن تنظيم قوام الجيش ، بل واجهنا همج اتجهوا ناحية ميسرة الجيش، ولما كان قلب الجيش وميمنته متأخرين قتل الكثير من جنود الميسرة، ثم تقدّم الأمير وصاح بالجنود أن يثبتوا لكن لا فائدة .

فقدنا أكثر من مائة وخمسين الف جندي بهذه المعركة، ولم نثبت بل دب الرعب بقلوب الجنود، ولكن فرقة رومقن هي من لها الفضل في حياة باقي الجنود .. هو علم الكثير عن هضاب مقاريو وعلم الكثيرين منا، فكان كل واحد منا يقود جمع من الجنود هرباً خلفه .

قلت مندهشاً :

-لا استطيع تخيل هول المشهد يا سيد عليرآن
فقال :

-ما بالك بجنودنا وحالة الرعب التي كانوا عليها
أردف مارون بأسى :

-ثم عدتم بعد ذلك إلى هنا

حزك عليرآن رأسه يمنة و يسرة :

-لا، بل ذهبنا إلى جبال مينال لملقاة الغوفال
قلت مندهشاً :

-أفقد كولدو عقله ؟!

حدجني عليرآن بثبات، ثم راح ينظر ملياً حوله .

-نعم هذا ما قاله جنود الجيش، وما أضعف عزيمتنا، فمنذ ذلك

الحين غابت العقيدة حتي عن كولدو نفسه

ثم أردف :

-دعوني أكمل ولا أريد المقاطعة ثانية

عاد يكمل روايته ...

الأمير كولدو أول من ترك ميدان المعركة.. وكان يصيح بأن ميسلان

غاضباً منه ومن فعلته.. فلحقته جنود الغوفال ولكن كان له الاسترية

السرّيع جدًّا.. فتحرّك ناحية الصحراء والجنود يتبعونه.. ولم نعلم بعدها ما حدث.

قالت مارون بدهشة:

. لكن الكهنة يقولون أنه مريض بالقصر

فقال عليّآن:

. كاذبون الرواية الأصّدق أنه قُتل.. وما يشاع عن فوز الجيش بالمعركة هو محض افتراء لا أكثر

قلت معجبًا:

. سيد عليّآن أنت فارس.. وتقول أنك هربت من ميدان المعركة

ابتسم ثم قال:

. الفارس دائمًا قليل الكلمات.. صادق إذا تحدث.. وإن قال ما يعيبه

قام مارون وقال:

. نستأذّنك سيد عليّآن سنلتقي قريبًا

بعدها غادرنا المجلس مضيّنا بالطرق ناحية الحديقة الكبيرة.. وكانت المسافة بعيدة بالقدر الكافي حتى نتسكع بينما نحن نمشي.. وبعد مضيّ حين من الوقت أثناء عبورنا زقاق جانبي أوقفنا ثلاثة جنود.

تحدث أضخمهم.. وكان حليق الرأس واللحية كباقي الجنود.. يرتدي درعا فضية.. ويمسك رمحا بيده اليمنى

. من أنتما؟!

قال مارون:

. نحن من الرعية.. هل هناك خطب ما؟

أضاف الجندي:

. لا شيء.. هل حاربتما معنا؟

قلت:

. نعم

فقال الجندي بخبث:

. ما حدث بجبال المينال؟

قص مارون رواية السيد عليرآن.. مع حذف جزء فرار الأمير كولدو

قطب جبين الجندي وتابع:

. كاذب أنتما أعداء ميسلان.. أحضروهما

عندها تدخلت.. فهجمت على الجنديين وكان الأمر هيناً.. ففتكت بهما سريعاً بقبضة يدي محطماً عظامهما.. بينما تولى مارون أمر الجندي الآخر.. ثم هربنا سريعاً نركض بطرقات المدينة وما ساعدنا على الفرار علو الضباب..

تلك حصيلة اليوم قتل ثلاثة جنود.. والهرب فزعاً من المصير الذي ربما سينظرنا قريباً.

تغيرت المملكة كثيرًا بعد غياب الأمير كولدو وأصبحت سطوة الكهنة واضحة للعيان.. بل أن الكهنة تحكموا بها أكثر بعد رحيل الأمير كولدو.. القوانين تنص على أن يتولى القائد الثاني للجيش شؤون المملكة إذا مرض الأمير أو فقد بالحرب.. وكما قال الكهنة أن الأمير كولدو مريض بالقصر أسندت مهمة إدارة شؤون المملكة إلى القائد مراند.. كان القائد مراند كدمية بين أيدي الكهنة.. بل أنه لم يعلم شيئًا عن شؤون المملكة وما يحدث بها.. قبل توليه الحكم كان مراند حليق اللحية والشعر.. سرعان ما أهتم بشعره ولحيته.. وارتدى أفضل الملابس الملكية.. فكان عبدًا للسلطة ولم يخطب بالشعب سوى مرات قليلة.. دائمًا ما قال الخطب العصماء عن إرادة ميسلان العظيم.. علمت حينها أن الأمراء كاذبون.

تتذكر الأمير كولدو وادعاءه أنه لا يهاجم قط سوى من اعتدى.. هو هاجم وجند الجند لأجل إرادة الكهنة.. بل ادعى أن مملكة اليكسارنه حفرت أنهار ايسرا ومحيطات بنيماه وهذا ادعاء كاذب أيضًا.. الحقيقة هي أن المملكة توقفت عن تلك الحروب بعصره حينًا من الدهر.. ثم عادت إلى سابق عهدها تحارب لأجل إرادة ميسلان العظيم.. بل بات كولدو أفضل من حكمها.. وأفضل قادة الجيش.. فجميع الملوك الذين سبقوه صالوا الأرض شرقًا وغربًا بجيش ربما أقل عددًا وعتادًا من هذا الجيش أضعاف حتى أحدثوا تغييرات وكانوا أشداء.. لا أعلم هل أشفق على ذلك الأمير الضعيف أم ألعنه لأنه امتثل إلى إرادة كهنة ميسلان.. وهم كاذبون لا مبدأ لديهم يريدون فقط الفوز بالمعارك حتى بجيش منشق باع ولاءه.. إلى متى ستظل الكهنة تكذب بأمر الأمير كولدو؟ إلى متى سيختلفون قصص مرضه!؟

بعد حادثة قتل الجند التي قمنا بها أن ومارون كان الجنود يفتكون بالشعب بلا رحمة وبيحثون عن الجناة.. حتى أنني أردت أن أسلم نفسي إلى المحاكمة العادلة.. لكن مارون اقنعني بالعدول عن ذلك.. أخبرني أننا

يمكننا أن نحدث الفارق.. فذكرني بأمر خاوث وما أضعفني حينما
اتذكره!..

عدنا إلى حياتنا كعادتنا نعمل بكّد وأمرن جسدي.. كنت أهشم
الصخر بيدي يوميًا.. أتذكر خاوث المسكين وأهشم الصخر.. ما كان يهدئ
روعي هي حبيبي لوانا من دونها كنت سأطيح بالجميع بلا رحمة.

رأيت ما رأيته في هذه المملكة الخائفة من الجند.. في كباقي شعوب
الأرض الضعيفة المحتملة.. وأصبح الجند في حالة هلع خائفين من الناس..
خائفين أن تطيح جنود العشائر بالمملكة بعد الهزيمة القاسية التي
لحقت بالجيش.. فكم رأيت من ضرب بالسياط واعتداء على جاريات..
وكنت أصبر وأطلب من الله أن يزح الغمة عن ذلك الشعب المغلوب على
أمره وكم ودت أن يهان كل معتدٍ كما رأيت اليكسارنه.. لما لا تدوق
بريطانيا وأمانيا ما أذاقته للشعوب المحتملة.. الآن اليكسارنه مملكة العلم
والقوة أصبحت مملكة الهلع..

وقبل علو الضباب ذات يوم من هذه الأيام الصعبة ذهبت إلى
حديقتنا التي نلتقي بها أن ولوانا.. وعندما اقتربت من الشجرة الكبيرة
سمعت صيحات.. هذا الصوت أعلمه جيدًا كان صوت لوانا برفقة
خمسة جنود يحاولون اغتصابها.. فاقتربت دون عقل واع مني.. أطيح بهم
بلكمات.. فلكمتي الأولى وجهتها لأضخمهم ثم سقط مغشيًا عليه..
فانقض علي الأربعة الآخرون ضربًا حتى خارت قواي وكدت أن أفقد
وعبي.

لكن لوانا تدخلت مدافعة عني.. وهي تتلفظ باسمي فزادت قوتي
وقمت ساحبًا السيف من أحدهم فقطعت الأوصال والرقاب.

غادرنا أنا ولوانا الحديقة وركضنا حتى تعبنا.. أضعفت عزيمتنا
فجلسنا على أحد المجالس الدائرية

قلت بخوف:

. هل أنتِ بخير يا حبيبتي؟

. لن أكون بخير من دونك يا قرة عيني

ثم أضافت بضعف:

. أخاف أن يكون أحدهم أدركنا

قلت غير مكترثاً وأنا أتهد:

. لا يهم حبيبتي

. هل يعلم كهنة ميسلان ما يفعله الجنود بالجواري؟

قلت غاضباً:

. ماذا وإن علموا هؤلاء هم الشر بعينه.. أكاد أتأكد أنهم من يطلب

منهم ذلك

. لا يا قرة عيني ربما لا يعلمون

. صدقيني هم يعلمون كل شيء.. ومراند من أحكم قبضتهم على

المملكة أكثر

. أنا خائفة

قلت بعطف:

. لا تخافي يا لوانا سأقتص لك من جميع الجند.. لا تخرجي ثانية سوى

لتلك المجالس أمام أعين الناس

فأومأت رأسها بأسى:

. سأتي هنا كل يوم لأراك

. نعم لا بد أن أطمئن عليك كل يوم يا حبيبتي

وقمنا حتى أوصلتها إلى بيت سيدها.. وهي المرة الأولى التي أعلم أين
تقيم فاطمأنت أكثر وراق فؤادي بعد جزعه..

وصلت إلى منزل خاوث وقبل أن أدخل رأيت مارون يجلس تحت
الشجرة الكبيرة التي يقبع أسفلها منزلنا وكان هائمًا يكاد لا يراني.

فناديت مرات ومرات حتى أدرك أنني هنا ثم قلت مبتسمًا

. شاردًا أنت يا مارون

. كيف لا أشرد يا شاكريم.. وقد رأيت العذاب والأهوال

قلت بهلع:

. ماذا حل بك؟

. مملكتي خائفة وحيدة

. الجميع مثلك يا مارون.. فهل سنصمت ونظل نرى هذه الأهوال!

. ماذا يمكننا فعله؟

قلت غاضبًا:

. أن نقاوم الجند.. مارون الجميع فقد عقله منذ الهزيمة بمعركة
كولادو الأخيرة.. لذا حق علينا أن نقاوم الجنود حتى يكفوا عن تعذيب
الشعب.. هم ضربوا بقوانين ميسلان عرض الحائط وأقدموا على
اغتصاب الجاريات.. فلا قانون الآن سوى قانون الهلع.. وجميع الأمم
عندما تخسر حربًا يضرب الجهل والقنوط جذورها.. فإن رضينا بذلك
زاد المرض بنا وإن قاومناهم عادوا إلى صوابهم

سألني مندهشًا:

. أتريدنا أن نقتل جنودنا؟!

. لا لم أقل ذلك.. ولكني أريد أن أبعث رسالة إلى الكهنة بأن الشعب
لن يرضى الظلم أكثر من ذلك

. إذن تريدنا أن نقتلهم

. مارون أريدك أن تفهمي.. يكفيننا أن نقاومهم دون قتل

فأوماً رأسه قائلاً:

. صحيح ولكن لسنا فرسانا

. ومن قال إن الفارس من أدرك السيف وقطع الأوصال.. بل الفارس
الحق من جعل السيف لا يدرك من يحميهم

ابتسم وقال:

. عجبت أمرك يا شاكريم.. من يراك يقول إنك ولدت بميدان الحرب..

وما قلته لي أنك لم تحارب قط

فقلت وأنا أتذكر وطني:

. لم أحارب ولكني دنوت من الحرب أكثر مما تتخيل

نظر إلي مندهشاً ثم سأل:

. كيف ذلك؟!

. لا يهم كيف.. ولكن أريدك أن تعلم أينما حلّ البشر حلّ الخراب

. صدقت يا رفيق الدرب

فابتسمت إليه وربت على كتفه ثم تابعت:

. حان موعد النوم حتى نقوى غدًا على العمل

أنهينا العمل قبل علو الضباب بساعات.. وقد تعبنا من العمل فأردت أن نغادر إلى المنزل سريعاً أو أذهب لملاقة حبيبي لوانا.. ولكن مارون أعد لي مفاجأة.. وهي الذهاب حيث مجلس السيد عليرآن وقضاء بعض من الوقت معه ليقص علينا نبأ من القصص ونعلم أحاديث الأقدمين.. وافقت وذهبتنا سريعاً حيث يقبع المجلس الدائري.. ولما دنا الضباب كثيراً بات التنقل بطرقات المملكة أمراً هيناً.. وصلنا وعلى بعد مرأى العين كان السيد عليرآن يجلس.. ثم دنونا منه وجلسنا بعد أن قام بتحيتنا

قال مارون:

. سيد عليرآن هل ترى ما يفعله الجند بالشعب؟!

قال بدهشة:

. ماذا يفعلون

قلت غاضباً:

. أنهم يضربون الشعب بالسياط.. ويغتصبون الجواري

زادت دهشته وأضاف:

. لم نر ذلك يبدو أن هذا الأمر يحدث بمناطق متفرقة

قال مارون ساخراً:

. هل خرجت يا سيد عليرآن هذه الأيام؟

أردف جاداً:

. نعم خرجت ولم أر ما تقولان.. إن ما رأيتم من جند كانوا أذلاء

خائفين

قلت بدهشة:

. هذا لغز كبير يا سيد عليرآن

فأوما رأسه قائلاً:

. نعم هناك خطب ما

أضاف مارون:

. لا بد من معرفة ما يدور.. كيف لم يعرف الكهنة ذلك

صمتنا قليلاً.. ثم أضاف عليران ساخراً:

. الكهنة لا يعرفون شيئاً عن الشعوب.. لا شأن لهم سوى بالحرب

والحكم

وأضاف بصوت خافت:

. أتعرفان من هم الكهنة؟!

فقلنا:

. من هم؟

. سأخبركما بأمر لا يعلمه سوى الفرسان المقربون..

"الشروق الثامن"

الشروق الثامن ولا تعلمان لما يسمى الشروق الثامن.. فالجميع يقول هذه الجملة ولا يملك تفسيرها.. ولا يعلم أيضاً لما تقال.. دعني أخبركما.. قديماً كانت تمضي سنون متتابعة على كوننا ومن ثم تشرق شمسنا.. لا أعلم مقدار تحديداً بين كل شروق وآخر يتبعه.. ولكنه كان يحدث بانتظام.. فتظهر شمسنا لأعوام وتغيب لأعوام أخرى.. ومن ثم عندما تظهر يختفي اللون السائد ونرى كل شيء واضح.. حتى غابت الشمس ولم تظهر بعدها حتى اليوم.. فكنا نقول إننا نراها فوقنا مباشرة وهي لا تظهر.. هذا ما قاله الكهنة ثم صدقناه.

قبل أن تغيب الشمس للمرة الأخيرة كانت الشعوب مسالمة فيما بينها وانتشر الحب بأرجاء كون ميسلان.. عندما أفلت ظهر قوم من كل عشيرة يدعون أنهم كهنة ميسلان وينفذون أوامره.. هؤلاء الرجال استطاعوا إقناع حكام العشائر بأنهم رسل ميسلان العظيم.. وكانوا يخبرون الحكام أن تلك لعنة ميسلان على كونه.. ومن ثم اختلقوا أسبابها.. فكهنة اليكسارنه قالوا إن الغوال هم من أغضب ميسلان.. وكهنة الغوال قالوا الكلدان.. وكهنة الكلدان قالوا اليكسارنه.. وشعوب الكولان.. والرنرام.. وممالك الأسود والخ.. ثم تبادلوا التهم بينهم.. فزاد السخط بين العشائر وبدأت رحى الحرب.. ولا نعلم من بدأها وما هدفها.. بعد بدء الحرب تحكم الكهنة بكل شيء.. فمتى ظهر الكهنة؟! وماذا يريدون؟! هناك أشياء كثيرة نجعلها.. ونحن نيقن أنهم يستحوذون على الأمراء ويقودون العالم.. بل يكتبون نهايته وفقاً لنبوءاتهم..

هؤلاء هم الكهنة.. هذا ما لا يعلمه سوى القليلون من الفرسان الذين جلسوا مع الرواة القدامى.. القصة هذه يجعلها عامة الناس.. وتورث لفصيل من الفرسان الثائرين. قلائل هم من يعلمون.

قلت بأسى:

. أيعلم هذا الفصيل حقيقة الكهنة ولا يخبر الناس؟!

ابتسم عليراً قائلاً:

. الفرسان مغلوبون على أمرهم.. ويحاولون إيجاد الوقت المناسب حتى يتخلصوا منهم

قلت غاضباً:

. وما منعهم من إخبار تلك القصة لعامة الناس؟

أردف مارون:

. لن يصدق الكثيرون.. فعامة الناس تثق بالكهنة.. ومن لا يثق بهم
هو من دنا منه الفقر وقلة الحيلة..

ابتسمت وقلت ساخرًا:

. إذن عالمكما طبقات أيضًا.. ما أعجب ما أسمع!

قال مارون بدهشة:

. هذا عالمك أيضًا

ابتسمت ولم أتفوه.. ثم قال عليرآن:

. ليس من دنا منه الفقر وقلة الحيلة فقط من لا يصدقهم.. ولكن
الفرسان ذوي القوة وحب كون ميسلان أيضًا

فقلت:

. صحيح

ولما أنهينا حوارنا مضيئًا جميعًا سويًا بطرقات المملكة.. ثم وصلنا إلى
ممر جانبي ضيق.. فجأة ظهر عشرة جنود يرتدون الدروع الفضية
ويحملون السيوف.. عندما رأيناهم أدركنا أن ثمة خطبا ما.. ومن دون
الحديث معنا تحركت أجسادهم مفتولة العضلات صوبنا.. وهم يشهرون
سيوفهم..

جزع مارون.. قلت وأنا اقبض على يده:

. أثبت يا رجل

ثم ابتسم إلى عليرآن وقال:

. مرحبًا بكما بالمعركة يا رفاق

ولا أعلم ما ثبتني وجعلني لا أخشى شيئاً.. فربما لوجود فارس كعليران معنا.

وعندما دنا منا الجنود تقدمت أنا وعليران نسدد إليهم اللكمات.. بينما مارون كان واقفاً خلفنا حتى راوضته الشجاعة فانضم لنا.. حركتي كانت مرنة بقدر جعل الجنود مذهولين.. بل أن عليران أدهش كثيراً مما يرى ومارون لم يفرق عنه بالكاد.

وانتزعنا ثلاثة سيوف ورحنا نسدد إليهم ضربات متتابعة حتى بقي جنديان فقتلت واحداً وبقي واحداً.. أردت أن أقتله لكن عليران أوقفني

فقال عليران بينما أنا أقبض على رقبة الجندي.

.توقف يا سيد شاكريم.. لا بد من استجوابه

وهذا أول درس تعلمته بفن الفروسية ألا تقتل ضحيتك قبل أن تأخذ منها ما تريد.

فابتسمت ثم أردفت:

. معك حق

وسرنا مسافة قليلة ثم دلفنا إلى حديقة قريبة ساحبين الجندي معنا.. أجلسنا الجندي على أرض الحديقة.. وكان الجندي خائفاً يرتعد حتى أن عرق الخوف بلل ملابسه ودرعه الفضية.. ثم أشهر عليران سيفه

قال عليران مهدداً الجندي:

. من طلب منكم هذا.. ولماذا تلحقونا؟

قال الجندي بخوف:

. أتوسل إليك لا تؤذني سأخبركم بكل شيء

ثم تابع باكياً:

. نحن لا نعلم من أنتم نحن نهاجم أيًا من أفراد الشعب

قال عليرآن غاضبًا:

.لماذا؟

تحدث الجندي وهو ينتحب:

.سيدي إن الكلدان طلبوا منا ذلك حتى نجعل الشعب يكره الجيش..
ومن ثم يصبح الأمر هينا عندما يأتون إلى المملكة

قلت:

.بما وعدوكم؟

.بالمال والجاه والمنصب.. وقبل ذلك رحمة ميسلان العظيم

تحدث مارون ساخرًا:

.وهل يستطيع الكلدان وحدهم ذلك حصون مملكة اليكسارنه

فقال الجندي:

.بل تحالفوا مع الغوفال وغوال الحسنات

أشهرت سيفي غاضبًا:

.خائن

حاول عليرآن ومارون أن يوقفاني ولكني دفعتهما أرضًا وطحت برأسه..

المؤامرات تُحاك والمملكة على شفا حفرة من نار.. فاشرأبت الأعناق نحو أسوار القصر تنتظر مراند يخطب بالجمع ليهدي روعهم.. ولكن لا حياة لمن تنادي.. بل هناك حياة صماء.. الكهنة مهوسون بما يريدون ومراند يحقق لهم مبتغاهم.. هو غائب عن حاضره.. يأس من مستقبله.. ونسى ماضيه.. أما نحن كشعب وأحسب نفسي فرداً منهم ضربنا القنوط مثلما أصاب الجنود.

أنست بصيصا من الأمل بعدما رأيت ثبات عليران وحماسة مارون.. حبيبي لوانا دفعتني هي الأخرى.. فعقدت العزم على أن أغير ما استطيع.. عندما كنت بالإسكندرية كنت أرى العالم على شفا الهاوية.. ولم نكن نحن بعيدين عنه.. ورغم أننا نلنا استقلالنا لم يغادر الإنجليز مصر.. ككل الشعب اليأس هناك كنت مثلهم.. وهنا لن أظل يائساً.. ربما سأحيا بذلك العالم حتى موتي.. ولأن اليكسارنه أصبحت وطني كما أن ربي حباني ما يجعلني أفضل من أولئك القوم فإن دوري لن يكون كمتفرج.

ولما أردت أن أصبح فارسا وأتعلم مبارزة الفرسان لم يكن هناك أفضل من حيمان ذلك الفارس الحر.. هو لم يخضع لجيش الكهنة.. ولم يقاتل جنود المملكة.. ولكنه درّب الفتيان بأساليب قتالية قوية وترك لهم حرية اختيار الصف الذي سيقاتلون لأجله..

لم أطلب من عليران أن يعلمني القتال فهو رأني فارساً.. وما أصعب طلب العون ممن رآك لا محتاجه.. هكذا نصحني مارون وقد اقتنعت بما قاله..

بأقصى شمال المملكة يقع معسكر الفارس حيمان.. ذلك المعسكر القابع خلف الغابة القزمية.. وما وراءها من أرض فضاء شاسعة تجعل حرارة الكون تخيم فوق رؤوس الفتية.. فمن يصرع يكتب نهايته كفارس ومن تحمّل السفر وأكمل إعداده يصير من خيرة الجنود بالمملكة.. فمنهم

من ينضم للجيش وبإعداد هين يصبح فارسا مقاتلا.. ومنهم من يجول الأرض بحثًا عن كنوزها.. وهلم جر إلى آخره..

أما عن لقائنا الأول عندما صحبني مارون إلى هناك.. وكانت المسيرة أياما كثيرة لا أتذكر.. عندها علمت أن اليكسارنه كبيرة بقدر يجعلها تأتي أن تصبح صريعة أو أسيرة.

قليلون هم جنوده أقل من الألف يقومون بتدريبات شاقة.. شيء ما أخافني حتى أعود ولكني بحضرتة.. رغم أنه كان يدير ظهره لنا ويصبح بالفرسان الذين يتبارزون بأيدي عارية.. أبصرنا بظهره أو بصيرته أبصرتنا ربما..

قال حيمان:

لما أتيتما؟

ثم استدارولما رأيته ابتسمت.. هو قوى ضخم الجثة مفتول العضلات يمتلك جسدا أقل من جسدي قليلاً لونه كلون بشرة آل مصر.. ثاقب العينين الزرقاوين.. حليق اللحية والرأس وذو أنف عريض..

فلما رأني ابتسم بادرني الابتسامة ثم أضاف:

. مرحبًا بك يا ذو الساعد القوي.. لم ابتسم لأحد تلامذتي قبلك ولذلك قبلتك.. وكان مارون ينظر بدهشة إلينا بينما أنا أضحك.. وما جعلني أضحك أن ملامحه وقسماته تذكرني بوطي.. بل شعرت أنني أيضًا أذكره بشيء ما.

قلت بتواضع:

. اليوم يوم سعدي بحضره الفارس حيمان

لم لون عيناك أسود يا فتى؟

قلت بدهشة:

. أتري لونها؟

. يبدو أنك لم تعرف بعد من هو حيمان

. وأشار إلى مارون:

. صديقك سيمكث هنا بمعسكرنا يمكنك المغادرة

. ودّعني مارون بعدها عدنا نتابع حديثنا.

. تحدثت بفضول:

. كيف ترى الألوان يا سيد حيمان

. اكتشفت الطريقة لذلك

. أتعرف مصر؟

. فقال بدهشة:

. عما تتحدث!!

. قلت مبتسمًا:

. لا شيء

. فأومأ رأسه وعاد يصيح بالجنود.. فاقتربت منه ووقفت جاره.

. قال حيمان:

. كثيرون هم الفرسان ولكن من يعلمون قليلين

. يعلمون ماذا!؟!

. الطريق

. عن أية طريق تتحدث

. فوضع يده على قلبي وقال:

. هذا هو الطريق.. ولأنك تمتلك قلبا مثل قلب حيمان أعلم أنك
ستصل سريعاً إلى مبتغاك
فقلت ضاحكاً:

. ما مبتغاي؟

. أن تثور على كل شيء.. أكاد أرى دواخلك ولا أعلم دوافعك
ابتسمت بينما تابع هو تدريب الجند..

باليوم التالي بعد أن أخذت قسطاً من الراحة حتى يقوى جسدي
ثانية بعد مسافة السير التي قطعناها أنا ومارون نحو معسكر الفارس
حيمان.. اختار لي الفارس حيمان رفيق التدريب.. وكان شاباً يافعاً يمتلك
جسداً متناسقاً وليس مفتول العضلات كثيراً.. ولكنه كان مرناً الجسد
كهلوان.. هذا الشاب يعد أحدث الفرسان هنا وأعلامهم مستوى من
حيث حركة الجسد.. اسمه كورماو.. ذو شعر أحمر طويل منسدل على
كتفيه وشارب غليظ.. أنفه طويل ومتناسق الوجه.. وقلت كلماته فكان
ينصت وينفذ ما يقال..

وبينما ينتظرنا الشاب بساحة التدريب قال لي حيمان.

. وددت أن أكون رفيقك بالتدريب.. ولكن حيمان لا يميز أحد تلامذته
فقلت فرحاً:

. لا تقلق سيد حيمان سأنفذ ما تريد كما لو كنت رفيقي

. أعلم ذلك

ثم أضاف:

. السيف جزء منك.. لو سقط من يدك كأنما اقتلع ساعدك الأيمن..

فهل تستطيع الفتك دون ساعدك القوي؟

أومأت رأسي وتابع:

. يتحرك السيف وأنت تنساق ورائه.. فإن قدته أخطأت وإن قادتك
أصاب.. أما جسديك يتحرك يمناً ويسرة بمرونة كالهواء.. وعندما
يخاطبك السيف ويطلب أن يهوى على أحدهم استمع إليه
قلت مستنكراً:

. وهل سيخاطبني السيف؟!

. يخاطبك.. وهذا سرّ حيمان

نظرت إليه ببلاهة ثم قلت:

. كيف ذلك؟!

. عندما تتعلم أن تستخدمه بقلبك للحق سيقودك نحو الحق

. لم لا تحارب يا سيد حيمان؟

. الحرب خدعة

فقلت مبتسماً:

. وما شأن ذلك بما سألته؟!

. الحرب خدعة جُملة يقولها القادة وهي حق.. أما تفسيرها أنها خدعة
لأنها تخدع الجميع.. وتقودك لإراقة الدماء.. تبدأ الأمر باحثاً عن حق لك
وتصبح لعنتك.. ستعشق الغنائم والأساطير التي تروى عنك.. ستفتن
بقواك وتصبح قاتلاً مأجوراً

. لمن؟

. لنفسك التي ستقودك نحو الهاوية

. حكيم أنت سيد حيمان

. لا يا شاكريم.. بل يتحدث قلبي

شردت لوهلة ثم سألته:

.لم إذن يقولون أن الفارس من يموت قلبه؟

.تقصد القاتل.. الفارس هو من تقوده بصيرته وإن لم يقتل أحداً

نزلت ساحة القتال وحييت كورماو فبادلني التحية.. كان كالحصان الجامح أفعى فحيحها يجعلك متخبطاً.. بدأنا نتبادل قرع السيوف الخشبية.. فكنت أقود السيف تباعاً وأتلقى الضربات من كورماو.. مرات ومرات.. ثم نظرت إلى حيمان

قال مبتسماً:

.رائع يا شاكريم

حدجته بيأس ثم تابعنا القتال.. فكان يخبرني ما يقوله السيف.. ويخبر كورماو أيضاً.. استمع كورماو ونقذ ما قيل له.. أما أنا لم أع ما يقصده حيمان.

عند علو الضباب بالقرب من الأكواخ الخشبية المترصة خلف ساحة القتال جلس كورماو وحيداً.. فاقتربت منه ثم قلت

.هل استطيع الجلوس برفقتك

.تفضل يا سيد شاكريم

قلت بود:

.كنت رائعاً بالقتال اليوم

فأوماً رأسه مبتسماً ثم قال:

.ليس بمثل براعتك

.أشكرك على حسن المجاملة

فأضاف جادًا:

. لا هذه الحقيقة

ثم تابع برفق:

. قال لي حيمان إنه لم ير من هو بمثل براعتك ومرونة حركتك..
ولكنك لم تفهم بعد كيف تستعمل السيف

فقلت ساخراً:

. لقد أخبرنا حيمان أن السيف هو من يقودك

. هذه الحقيقة وما يقال لجميع الفرسان هنا.. وصدقني نحن لم
نصل بعد إلى تلك المرحلة

سألت متعجباً:

. إذن كيف تعلم أنها حقيقة ما دمت لم تصل إليها!

. الإيمان يا سيد شاكريم. فأنا أؤمن بحيمان الفارس.. وذلك ما جعلني
من خيرة الفرسان بوقت قليل

. هل تعلم الكثير عن حيمان إنه لا يتحدث كثيراً عن نفسه

. أعلم عنه القصة التي يعلمها الجميع

قلت بولع:

ما هي؟

"حيمان المتمرد"

الحروب الدائرة بين العشائر كانت كَـرّ و فَرّ.. فعند الهجوم على جنود
مملكتنا أو أحد أفراد الشعب كان يأتي الرد سريعاً.. وامتلكت المملكة
جيوشاً ليست كبيرة العدد.. ولكن كان لها تأثير قوي.. كَوْن كل جيش من
هذه الجيوش من عشرة آلاف فارس مقاتل توكل إليهم مهمات

استكشافية وأخرى هجومية.. فكانت الهجومية على القرى الصغيرة.. وكان الفارس حيمان أحد قادة هذه الجيوش.. وظل جيشه قويا لكنه كان يرحم.

فتعليمات القادة واضحة.. لا بد من قتل القرى الصغيرة التي تتبع الممالك المعادية ومن بينهم الأطفال والنساء.. حيمان قتل الجنود فقط وكان رحيماً بالصغار والنساء.. ومرات يهاجم قرى وينتصر بشرف بمعاركه لكن دون إراقة دماء الأبرياء.. وهذا ظلم بين أن تقتل شعوبا مسالمة.. ولكن هذه كانت أوامر القادة باقتراح الكهنة.. فلما يُقتل أحد أفراد شعبنا الأبي يرد القادة الصاع صاعين.. وجيوشنا قتلت أبرياء كثر لكن جيش حيمان لم يفعل.

وظل حيمان يدخل القرى فيبيد جندها.. ولكن لا يقرب الأبرياء.. حتى أن القادة أذنبوه كثيرا أن يمثل للأمر وكثيرا ما رفض.. فتعرض الفارس حيمان للمحاكمة ولأن له إسهامات كثيرة في الجيش تم إبعاده عن الجيش ولم يتم قتله.. فكانت القادة تأمل أن يعود سريعا.. وظل حيمان يبتعد أكثر وأكثر عن ميدان الفروسية.. ما لاقاه من ظلم له جعله يقرر ترك المملكة وبالفعل غادر المملكة حتى أبصر تحركات نحو المملكة فعاد وأخبر القادة بذلك.. ومن ثم لم يحاول القادة محاكمته ثانية.. بل أنه وعلى علم منهم أنشأ هذا المعسكر.. فدرب به الجند ودائما ما كان ينمي فينا القيم السامية ويتركنا نختار مصيرنا بعد ذلك.

بعضهم ينضمون إلى جيش الكهنة.. وعلى الرغم من اعتراض حيمان على ظلم الجيش وقلته أبرياء لم يتوقف عن تدريب الجنود.. ودائما ما قال

"سيغيرون وأعلم أنهم الأمل" ..

ولأن أقوى جنود الجيش وأشدّهم فتكًا تلامذة الفارس حيمان حاول الكهنة خداع الفارس وشيئًا فشيئًا خُدع حيمان.. فعاد يدرّب الجنود بالمملكة وسريعًا علم الحقيقة فترك تدريب جنود الجيش واستقال.. ثم مضى بطريقه الذي اختاره من قبل.. وهو تدريب الفرسان وتركهم لإرادتهم الحرة.

قلت:

كم هو رائع حيمان

عليك أن تصدّقه وستتعلم كل شيء سريعًا

صحيح..

قام وهو يعتذر فقد حان موعد نومه.. بينما شرّدت بأمر عزيزتي لوانا.. وما مرّ عليّ من أحداث بتلك المملكة.

وبمرور الأيام قرر الفارس حيمان ضمي لمعسكر الجنود المتبارين واختار لي أحد الفرسان لأتبارز معه.. فوقفت بساحة القتال أنظر إلى الفارس المتباري القادم نحوي.. ولم أتبين ملامحه لبعده عني بمسافة كبيرة.

فعدت من ساحة القتال وسألت حيمان:

سيد حيمان ربما لم يحن وقتي

فقال مبتسمًا:

أنت الآن ستهزمه

قلت متعجبًا:

كيف؟! إنه من قدام الفرسان هنا وأشدهم

بل أصبحت أنت الأثمد.. ولكن تذكر ما قلته بشأن السيف.. تحرك
كريح وأمض بلا تأني

وعدت أحيي الفارس مفتول العضلات حليق الرأس واللحية.. ولم
أكن أعلم اسمه.. ثم رد الفارس تحييتي..

وبدأنا نزالنا ولم نكن المتبارين الوحيدين.. بل الجميع مثلنا.. بدأت
أعبث بالسيف بمرونة قبل أن اشتبك.. ولأن جسدي يمتلك مرونة أعلى
من أولئك القوم كانت حركتي تجذب أنظار الجميع.. فحلقت طيرًا ودنوت
من الأرض قدرًا وقدمائي تدفعا يمينًا ويسرة.. تلقيت الضربات تبعًا..
وكان هذا الفارس شرس يضرب بلا هوادة وبلا رحمة.. تلقيت ضربات
موجعة بجسدي.. فكان يكيل اللكمات.. وهو يحرك السيف كأنه يحرك
الهواء.. شعرت بغضب عاتٍ.. وعندما هاجمت غاضبًا طرحني أرضًا..
فوقفت وهدأت من روعي.. تذكرت كلام حيمان أن أترك السيف
يتحدث.. ورحت أحرك جسدي وهو لا يلحقتني حتى هوى بالسيف ناحية
رأسي فتفاديته.. وكان ظهره أمامي.. وكانت المسافة بيننا مترات.. فوددت
أن أهوى بالسيف على ظهره.. شعرت بثقل في يدي.. ثم أدار جسده
تجاهي وركض كالسهم بينما حلقت أنا فوقه حتى أنني علوت فوق الأرض
بما يقرب أربعة أمتار وهبطت على قدمي مسافة خطوات بعيدة عنه..
فأدرت جسدي تجاهه وركضت بسرعة ناحيته فهوى بالسيف تجاهي..
ولكنني تفاديته ثم لكمته بيدي اليسرى.. ولم تكن بقوة كبيرة فسقط ثم
هويت بالسيف على رقبته.. وتوقفت عندما لامس السيف عنقه.

ألثفت حولي لأرى جموع الجنود ينظرون إلى ببلاهة.. ولا أحد يكاد
يصدق ما يرى. نظرت ناحية حيمان فابتسم لي برفق فأشهرت سيفي
محييًّا.. ثم بادلني الفرسان تحييتي.

رمى السيف الخشي من يدي وترك ساحة القتال وجميع
الفرسان واقفين كتماثيل عيونهم تتبعني ولم أحرك ساكنًا.. ولما اقتربت
من حيمان أدار ظهره ومضى ثم تبعته

قال وهو يمشى بخطى ثابتة:

. رأيت فيك الإيمان.. وأدركت أنك فارس القلب.. فعلمت أن ما
بجعبتك سيظهر سريعًا

. لكفي لدى تفسير لما رأيته

فتابع غير مكترث:

. لا أريد التفسير فأنا أعلم عنك الكثير

ثم باغتني بقبضته فتفاديته.. ابتسم قائلاً:

. حدسك يحركك يا شاكريم

. سيد حيمان أنا لا أفهمك

صمت برهة ثم قال:

. ماذا تريد أن تفهم؟

. أريد أن أفهمك.. لم تتصرف هكذا؟

. قلبي هو ما يحدثني

قلت متعجبًا:

. سيد حيمان هل أنت تنتمي إلى ذلك العالم؟!

أردف ساخرًا:

. بل أنني آخر المنتميين إلى هذا العالم.. وأنت في دربك لكي تعي.. لا أريد

الحديث بشأن تصرفي

أومأت رأسي قائلاً:

. حسناً ولكن سؤال أخير.. هل قصة تركك للجيش حقيقة؟

أوماً رأسه ثم قال:

. حقيقة

ثم أشار بسبابته وتابع:

. لكن ليس كل الحقيقة تُقال

. أنا لا أفهم

. دعني أخبرك.. بالفعل أنا لم أقتل النساء والأطفال.. ولذلك تم تسريحي من الجيش أما عودتي قالوا إنني خُدعت.. ولكنني كنت أخدمهم فأردت أن أعود وأنشر قيم الفروسية بالجيش.. وجميعنا نخطئ فقد أخطأت وعلمت أن نشر الفروسية لا يكون بجيش الكهنة بل خارجه

ابتسمت ثم أومأت رأسي متفهماً

. لا تتبعني يا شاكريم

. حسناً

مضي شهر وأنا أمزن جسدي وأقاتل يوميًا.. وكانت عادتي أن أجلس بوقت الحرّ بساحة القتال وأترك لهيب الحر يلفح وجهي وجسدي.. أنظر إلى الكائنات الطائرة فوق دواب الكون الصغيرة أمامي.. وعلى مضض أرتشف قطرات من الماء.. ازدادت قوتي وبراعتي بالسيف حتى أنني طلبت مغادرة المعسكر.. ولكن حيمان دائماً ما قال ينقصني الكثير.

توطدت علاقتي بحيمان وجميع الفرسان.. بل صرت مثلهم الأعلى بالتدريب. سرعان ما أصبح الفارس العظيم حيمان صديقي والمقرب إلى قلبي.. أيضاً تعودت أن أجلس مع كورماو ليلاً ببعض الأوقات نتحدث

بشأن المملكة وحروب الكلدان والغوفاًل والغوفاًل.. وكانت هذه الفترة هادئة بلا حروب ولا نزاعات.. كان يخبرني حيمان أنه الهدوء الذي يسبق العاصفة وكنت أيقن ذلك.

وعندما أهيت قتالي مع أحد الفرسان ناداني حيمان.. فذهبت ناحيته وكان واقفاً عند مدخل ساحة القتال.

قال حيمان:

. أشهد أنني لم أر من هو بمثل براعتك من قبل

. أشكرك يا مُعلمي

. بقي القليل ويمكنك أن تذهب

قلت فرحاً مضطرباً:

. حقاً

. لا تضطرب يا شاكريم.. فأنت ستصبح فارساً ويمكنك أن تختار

مصيرك

. ليس هذا ما جعلني مضطرباً

. إن لي أحياء فرحت لأنني سأراهم.. وحننت على فراقك

. لن أذهب بعيداً يا فتى.. فأنا هنا عون لك دائماً فيما تحتاج

. كم من الوقت تبقى؟

. مثل ما مررت به

أومأت رأسي متفهماً

مرّت أيام قليلة كنت أتابع تدريبي وزاد الأمر.. فكان حيمان يجالسنني كثيراً ويخبرني قيم ومبادئ الفارس الحق.. أخبرني ألا أتبع سوى قلبي.. وأن

أتقي هوى نفسي.. فقد زاد بأسى وزادت قوتي وحتى أنني كنت أبارز
حيمان العظيم ذاته وكنا متكافئين تقريباً.. غير أنه دائماً ما كان يجد
سبيل النصر والغلبة.

قد اعتدت مؤخراً أن أستيقظ بعد نوم الفرسان أتأمل الضباب فوقي
وأتخيله نجوم السماء بوطني.. بل تخيلت الساحة الخاوية أمامي شاطئ
الإسكندرية.. وعندما كنت هائماً أحد هذه المرات دنا مني كورماو

قال وهو يجلس بجانب جسدي الممدد.

. هل أجلس برفقتك؟

فعدلت جلستي وقلت مازحاً:

. لقد جلست بالفعل

. كثيراً ما تجلس وحيداً يا شاكريم

. لا برفقتي الضباب

. لا بد أن الضباب معجباً بالفارس شاكريم

. فضحكت وصمت.. ثم قطع صمتي وسألني.

. لم تريد أن تصبح فارساً؟

. لأنني أبحث عن الحق.. وهنا القوة هي قوة السيف.. حتى تجد الحق

. لا بد أن تحمل ما قد يجلبه

. ربما السيف يجلب الحق وأيضاً يجلب الكرب

. لا أعلم

. ثم أردف:

. أظن أن الحق والكرب لا يجتمعان

. صحيح

.ربما سي جلب سيفك أحدهما

قلت مبتسمًا:

قال حيمان إن القلب يغدو نحو الحق.. والقلب هو الطريق إليه

فأوماً رأسه ثم سألته:

.وأنت لم تريد أن تصبح فارسًا؟

. حتى أحارب لأجل ميسلان

. مع الكهنة؟!

. لا فسأتبع قلبي كما قال حيمان ثم عقلي

بساحة القتال بعد مضي شهر أو أكثر وقفت أنا وحيمان وتجمهر
الفرسان بشكل دائرة حولنا.. ثم قال حيمان بصوت جهور.

. اليوم هي المرة الأولى لحيمان التي سيبارز فيها أحد تلامذته.. لم
أفعلها من قبل.. ولكنها ستصير سنة من اليوم فصاعداً.. أخوكم شاكريم
أنا من طلبت نزاله لأنني لم ألتقي من هو بمثل براعته.. وأردت أن أعرف
هل ما زلت قويا بما يكفي أم لا.

ابتسمت ثم انحنيت تحية له.

تابع حيمان:

. لكن حيمان فارس وأحسب أن شاكريم فارس هو الآخر.. وحيمان لا
يتبارز سوى بالسيف الحديدي لا بالسيف الخشبية.. وإن قتلتني
بالمعركة عن خطأ أو عمد أشهدكم أنني سامحته وأشهد ميسلان العظيم
أيضًا.

ناولني السيف وتناول سيفه وبدأنا قتالنا.. وكانت معركة مريرة بل أن وصفها قد يطول لساعات.. وهي استمرت ما يقرب من الساعة وأكثر.

كنت كالأفعى أتلوى وكالأسد يزأر ولم يختلف عني حيمان.. ولكن مرونة جسدي شكلت الفارق الكبير.. كان السيف هو ما يحركني.. فنقرع السيوف بضربات متتابعة وكلما واتتني الفرصة لأسدد إليه لكمة أتذكر أنه معلمي فأعود إلى صوابي.. وقفت فجأة وقذفت السيف من يدي بالهواء بعد أن شعرت أنه يقول أطرحني أرضاً.. وعندما أراد حيمان أن يضربني بالسيف ضربة ضعيفة حتى لا يصيبني هوى سيفي وانغرس بالأرض واقفاً ناحية يدي اليمنى فتفاديت الضربة.. وعندما أراد أن يتوازن التقطت السيف ولامست به عنقه.

تعالت هتافات الفرسان وأشهبوا سيوفهم تحية لي فألقيت السيف وحييتهم برأسي وعندما أردت أن أغادر نادني حيمان..

عدت فجئنا على ركبتيه وناولني سيفه.. ثم قال:

. اليوم أشهدكم أن شاكريم ابن ملدن خيرة فرسان مملكة اليكسارنه

لحظات الوداع مريرة وعلى مرأى الفرسان المتبارين كنت احتضن ذلك الفارس العظيم قبل مغادرتي وقلت.

. كم سعدت أنني أمضيت ذلك الوقت برفقتك

قال مبتسماً:

. بل إن حيمان وصل إلى ما يريد عندما درب من هو مثلك يا شاكريم

. سأعود إليك قريباً

فقال:

. يمكنك أن تمكث وتساعديني

قلت مبتسمًا:

.لقد قطعت عهدًا على نفسي.. وقد عملتني أن أفي بما أعد

فريت على كتفي واحتضني ثانية ثم قال:

. سأنتظر رؤيتك ثانية.. وأمل أن تفي بوعدك الذي قلته لي تَوًّا وتعود

قريبًا

. سأفعل يا أخي حيمان

عند أحد المجالس الدائرية جلست برفقة حبيبي لوانا.. وقد بدت أشواقها ظاهرة يكاد يراها من يعبر الطريق أمامنا.. ابتسم إليها فتبادلني ابتسامتها قالت بشوق:

. اشتقت إليك يا قرة عيني

. أنا أكثر وأنتِ أول من وددت أن أراه يا حبيبي

. صف لي ما حدث بذلك المعسكر.. هل رأيت حيمان؟

. نعم وهزمته أيضاً

قالت متعجبة:

. كيف ذلك أنت لم تمضي سوى أشهر قليلة

. نعم ولكني تعلمت كل شيء سريعاً حتى أعود إليك

فابتسمت خجلة ثم أردفت:

. كان لا بد أن أعود إليك يا حبيبي.. وما تعلمته من حيمان أن

الفارس لا يخلف وعده.. فلن أخلف وعدي وسأغير قوانين المملكة بشأن الجواري قريباً

. كيف؟

. لقد وُضعت الخطة بالفعل.. وبعضكم سيعينني بشأنها

. أنا معك يا قرة عيني

فقلت مبتسماً:

. أحبك يا لوانا

. لوانا جاريتك يا قرة عيني

. لا يا لوانا أنتِ حرة.. هكذا خلقنا العظيم

فابتسمت وصمتت خجلاً ثم أردفت ثانية:

. دعينا نغادر فأني أريد أن أرى مارون وأوصلك إلى منزل سيدك في

طريقي

علا الضباب فوق الرؤوس وخيم الصمت بأرجاء المملكة.. وبعد أن
أوصلت حبيبتي لوانا ذهبت إلى حديقتنا الكبيرة عند منزل خاوث أسفل
الشجرة الكبيرة.. وناديت مخاطبًا مارون وأنا أقف أمام الشجرة الكبيرة..
سريعًا ما ظهر مارون وهو يبتسم.. بل أنني لم أراه سعيدًا بهذا القدر من
قبل

اقترب مني مارون ثم احتضنته وقلت:

. أخي مارون كم اشتقت إليك يا فتى

. كنت أحسب أنك لن تعود قريبًا.. تمنيت من ميسلان عودتك ولعله

سمعني فأتى بك إلى هنا

أومأت رأسي مبتسمًا وتابعت:

. هيا لنجلس يا مارون

. أجلس يا أخي هنا

قلت:

. أريد أن أجلس عند البحيرة

فابتسم مردفًا:

. هيا بنا

وسرنا حتى وصلنا إلى شاطئ البحيرة فجلسنا عند الشاطئ.. وعاد
مارون يسألني

. ماذا فعلت بالمعسكر

. أصبحت فارسًا

. أنت دائمًا فارس حكيم يا شاكريم

ثم أضفت:

. بل هزمت حيمان

فقال مندهشًا:

. كيف ذلك؟ !

. لا أعلم كيف.. حيمان علمني الكثير عن شيم الفرسان يا أخي.. وأول

شيم الفرسان ألا يخلفون وعودهم

. جميعنا نعلم ذلك

قلت مبتسمًا:

. لكنك لم تعلم بما وعدت

. ما هو وعدك يا أخي؟

قصصت عليه ما دار بيني وبين لوانا.. وما دار بيني وبين الفارس كمور

وما رأيته في منامي عندما زارني خاوث

ثم سألني مندهشًا:

. كيف ستغير قوانين المملكة بشأن الجواري؟ أما أمر الذهاب إلى

وادي سيال فيمكننا طلب الأمر من عليرآن فإنه يعلمه جيدًا

فكرت مليًا ثم قلت:

. لا بد أن آتي إلى قادة الجيش بنبأ عظيم عن تأمر الممالك عليهم ثم أصبح بعدها محل ثقة.. وأصبح من قادة الجيش وعند ذلك يمكنني أن أغير كثيراً

قال مندهشاً:

. أتريد أن تذهب إلى الممالك بمفردك وتندس بين شعوبها

. ربما أو أتمكن من استجواب أحدهم

أردف غاضباً:

. هذا انتحار يا شاكريم.. ولم يستطع أحد تغيير قوانين ميسلان قبلك

وكانوا أشد منك.. فكيف ستفعلها؟!

أومأت رأسي وصمت ثم تابع:

. شاكريم أنا أخشى عليك أن تموت.. وأنت تنفذ مهمة مستحيلة

. هل تؤمن بي يا مارون؟

. نعم يا شاكريم أنا أؤمن بك

. صدق إذن أنني سأفعل ما قلت

فابتسم ثم قال:

. غداً نقابل السيد عليرآن ونحدثه بشأن خطتك.. فهو سيكون خير

معين لك

. حسناً نقابله غداً

انهيينا عملنا قبل علو الضباب بساعات.. وكان مارون قد أخبر السيد

عليرآن أننا نودّ مقابلته.. فلم نذهب هذه المرة إلى المجالس الدائرية..

ولكن مرّ علينا السيد عليرآن فسلمت عليه بجرارة.. وذهبنا نحو حديقتنا الكبيرة ولم أخذه إلى كوخ خاوث السري.. بل جلسنا عند البحيرة.

قال مارون:

. سيد عليرآن لقد أراد شاكريم منك بعضاً من المساعدة

فقال وهو ينظر إلى مبتسماً:

. ماذا تريد يا شاكريم؟!

قلت بهدوء:

. أريد الذهاب إلى وادي سيال

. لماذا؟

. هناك عهد قطعته على نفسي وأن أوان التنفيذ.. فقد دفن هنالك كنز وأريد أن أحصل عليه ثم أعيده إلى صاحبه.. ولأن صاحب الكنز منحي ثلث هذا الكنز سأمنحه لك سيد عليرآن فليس لي حاجة بالمال

قال مارون بغضب:

. ماذا؟

قلت مبتسماً:

. أنا لا أريد المال يا مارون يكفي أن يساعدني السيد عليرآن في الحصول عليه

قال عليرآن بوجه جامد:

. الطريق وعمر جداً ووادي سيال ناحية المشرق المهيب عند أرض الغوال.. يبعد عنهم مسافة قليلة.. ويبعد عن غابة السيورنتاس مسافة يوم واحد فقط والرحلة ليست هينة كما تظن.. بل أن أحد أخطارها ربما يفتك بنا سوياً

قلت غير مكترث:

.لا يهم.. هل ستأتي معي أم لا سيد عليرآن؟

فكر ملياً ثم قال:

.سأتي يا شاكريم

أضاف مارون:

.وأنا أيضاً

فقلت:

. لا بل سنذهب أنا وعليرآن فقط.. ولا بد أن تنتظرنني هنا فأني أريد
منك شيئاً.. أن تحمي لوانا

قال بضجر:

.لكن...

نظرت إليه بعمق فتوقف عن الكلام.. وجلسنا نتسامر قليلاً من
الوقت قبل أن يغادرنا عليرآن ونذهب أنا ومارون في طريقنا إلى كوخ
خاوث

ولما كنا نمضي بالطريق قلت له:

.مارون أريد أن تنتظرهنا.. لأنني أريد أن أطمئن على لوانا

فأوماً رأسه ثم قال:

.متى ستغادر؟

. خلال أيام ولكن لابد أن أعود إلى حيمان قبل أن أغادر

بعد عدة أيام وصلت إلى معسكر الفارس حيمان العظيم.. وعندما
علا الضباب كنا نجلس سوياً عند الأكواخ الخشبية نتسامر ليلاً.. دار

بيننا حديث عن شئون المملكة وما يُحَاك من مؤامرات وأكمل حديثه
قائلًا:

. سعيد لعودتك يا شاكريم

. كان لابد أن أراك يا أخي حيمان

. فابتسم برفق مردفًا:

. نعم الفارس أنت يا شاكريم

. ثم أضاف:

. أتيت لتفي بوعدك أم أن هناك أمرا آخر

. كلا الأمرين

. كنت أعلم ذلك

. فقلت جادًا:

. لقد حدثك يا أخي حيمان عن المؤامرات التي تُحَاك على مملكتنا..

وأنت تعلم الآن لما أنا هنا

. لكن حيمان لا يغادر معسكره يا شاكريم.. تريدني أن أقاوم الجنود

الخائنين معك

. قلت مبتسمًا:

. لا بل ستفعل من دوني

. إذن ماذا ستفعل أنت؟!

. لدي وصية لابد أن أنفذها وهي الذهاب إلى وادي سيال.. ومن ثم

سأذهب إلى ممالك الغوال لأقتص أنباءهم.. ثم آتي إلى قادة الجيش

فيثقون بي ويمكنني أن أحدث تأثيرًا بالجنود عندما أصبح أحد قادته

. فقال ساخرًا:

. لم يستطع حيمان ذلك.. وهذه المهمة بمثابة انتحار.. فإن لم تقتلك مخلوقات الغابة سيقتلك الغوال.. وإن لم يفعلوا وعدت إلى المملكة ستأخذ منك الكهنة ما تريد.. وربما يلقونك بغيابة السجون

قلت مندهشاً:

. لماذا؟

. لأنهم سيخشون أن تتحدث أمام الشعب فتضعف عزيمتهم

. لكنني أثق بأنني استطيع

ابتسم برفق وقال:

. حيمان لا يؤثر بإرادة تلامذته.. امض إلى ما تريد أما أنا فلن أمضي

سوى إلى ما أريد

قلت:

. ألا تريد وئام مملكتنا؟

. بلى

. فلا تترك الشعب للجنود الخائنة.. وإن جهادك أمامهم أفضل من

تدريب جنود ربما يصبحون خدام الكهنة

ففكر ملياً:

. لكن يا شاكريم

. صدقني الفارس حيمان ليس أقل شأناً مني.. فأنا سأذهب وربما لن

أعود

ثم أضفت بحماسة:

. لأجل ميسلان يا حيمان.. لأجل اليكسارنه

. حسنًا أذهب يا شاكريم.. ولا تخف من شيء.. المملكة ستكون بخير
مادام حيমান بها

. هكذا ظننت يا أخي

. قلبك قوي يا شاكريم لم أر مثله من قبل بعالمنا.. وكأنك أتيت من
عالم آخر

. لا يا حيমান بل قلبي تعلم منك أن الموت في سبيل نصره الحق هو
أسمى الغايات.. ولأني لا ابتغي سوى الحق لن أكف عن لحاقه.. وإن
خسرت ما بقي من عمري

. ألم أقل لك إن حيমান وصل إلى ما يريد عندما دربك

عدت من معسكر حيমান وقد أرهقتني تلك الرحلة الطويلة.. فمكثت
بكوخ خاوث لأيام لا أفعل شيئاً سوى النوم والتحدث مع مارون بشأن
المملكة.. لم ألتقي عليراً ولم أخرج لملاقاة حبيبي لوانا وشعرت بأن قلبي
يخفق ويخاف هذه الرحلة.. ولكنني عقدت العزم على أن ارتحل.

ما شغل فؤادي حبيبي لوانا وهل سأعود أم لا.. ماذا إذا قتلت
عندما أذهب إلى مملكة الغوال.. هل هناك من سيهتم لأمر الجواري؟!
ماذا سأقول للسيد كمور الذي خالفت وصيته؟ الأسئلة الكثيرة التي لا
أجد لها جواباً كان جوابها واحداً فقط.. هو أن أعود سالمًا.

لا أنكر أن ما زال بقلبي القليل من الرهبة والخوف مما هو قادم.. أنا
ما زالت بشرياً قادمًا من عالم أوشك على نهايته.. لم ير سوى الخوف
أمامه.. هنا لم أر سواه أيضًا.. نظرات مارون تحدثني وجميع من رأيتم
كذلك.

خرجت من معتكفي وقررت الذهاب إلى المجلس الدائري لأرى حبيبي
لوانا وأودعها.. وعندما وصلت هناك وجدتها تنتظر وترمقني بعطف

ولمُهفة.. نظراتها غائرة ودودة.. حزينَة من شيء ما وكأنها شعرت أنني ذاهب
وربما لن أعود.

اقتربت منها وجلست بجانبها.. ثم قلت بشوق:

. عمري قليل.. فما مضى منه لا يحسب.. قبل أن أراكِ ذهاب عمري
هباء وعندما رأيتك كأني لحقت بنجوم السماء

فقلت ضاحكة:

. لكنه نجم واحد

. بالطبع فأنتِ نجم السماء

قالت مضجرة:

. لكنه نار ميسلان

. كان ناره قبل أن أصل إليه لما وجدته أنتِ وجدته جنان

ابتسمت برفق قائلة:

. اشتقت إليك يا قرة عيني

. ستشتاقين أكثر

قالت ببلاهة:

. لماذا؟

. لأنني ذاهب إلى وادي سيال

. بحق ميسلان عليك لا تتركني وحيدة

قلت بشوق:

. أتيت هنا إلى اليكسارنه لكي أراكِ.. فلن يود ميسلان أن يفرق بيننا..

بل أنني سأذهب لأفي بوعدني لكِ بشأن الجواري وأفي بوعدني للسيد كمور

. لا تتركني.. أتوسل إليك

انهالت الدمعات من عينيها ثم تابعت:

. ولدت وحيدة خائفة.. لم أعرف من أبي ولم أجد أمًا لي.. خادمة منذ
ريعان صباي.. خاضعة إلى أوامر.. خائفة من فراق الأحباء ولم أجرب هذا
الشعور سوى الآن

قلت بعطف:

. أعاهدك أنني سأعود

. إن لم تفعل

. سأفعل

قالت بغضب:

. وإن لم تفعل

صمت فتابعت:

. سأقتل ما بقي من روجي المهترئة

قلت خائفًا:

. سأعود أقسم لك أنني سأعود

ثم احتضنتها فمالت على كتفي.. وكم مرّ من الوقت لا أتذكر ولم أرد
أن أعلم عن الوقت شيئًا فقد توقف زماننا وإن لم يتوقف عن المضي
قدمًا.

عند علو الضباب وكان قوياً هذه الليلة تكاد لا ترى منه أي شيء..
وبعدما أوصلت عزيزتي لوانا صرت أمشي هائماً بالطرقات.. ربما لأنني
شعرت أن لا أحد يراني وعندها شردت بخواطري وعمّا ابتغيه.. ربما

سأضع نفسي بمحنة كبيرة فما زالت هواجس الماضي تلاحقني.. وروحي المهترئة تخشى ما قد يحدث لي.. عندما كنت بعالمي لاحقتني ذنوبي وأنامي والركض على رمال شاطئ كمثل الركض على جمر.. فهذا السارق الذي يهرب من كل شيء قبل أن يغادر عالمه كان منتشياً متوجساً.. خالي الوفاض.. لا أعلم الوقت الآن فهنا لا يوجد حساب دقيق للوقت وكلها تقديرات عقلية بحتة.. ولو أصيب الجميع بالسُّكر هنا سيزول الزمن حتمًا.

اقتربت من باب أحد المتاجر المغلقة وجلست أتأمل الضباب الأبيض الذي أحاط كل شيء.. مضى الوقت ومضيت معه.. تركت روحي لأنامله.. تعبت بعقلي وجسدي كأنني دمية تحركها فقادني نحو ما مضى وفات.

دنوت من خزانة كبيرة وحاولت مرات فتحها بعدما عبرت باب الشقة ليلاً وبخطوات متناقلة هينة حذرة دلفت غرفة المكتب.. فكانت غرفة كبيرة وعلي الجانب الأيسر من بابها موضوع مكتب كبير أمامه كرسيان.. وبالقرب منه "كومودينو" يحمل هذه الخزينة.. بينما على الجانب الآخر أريكة جلدية وثيرة.. وبعد عدة محاولات فُتح باب الغرفة فدخل أحدهم وصاح في

.سارق..

ألتفت إليه وقلت بفرع:

.سيدي

قال مندهشًا:

.سيدي شاكريم

.خاوث هل تكف عن ملاحقتي بأحلامي

.إن روحك طيبة وقلبك نقي.. وأنا رسول لك عندما تفقد إيمانك

ستجدني

. قلبي فاض بذنوبه وسواده أهلكه وجهاده أرهقتي

. بل نقي لكنك لا تعلم

. سيقودني نحو الهاوية يا خاوث

. سيقودك إلى الحق وإن كنت تحسبه الهاوية.. إن عمرك كحبات

الثرى لا بكاء عليه فهو بكونه تائه بالصحراء واهمًا بالخلد والبقاء

فقلت متعجبًا:

. أصبحت تقول كلمات قوية؟

. دفعت عمري ثمنا فهل تراها كثيرة على خاوث

ثم تابع:

. أمضي نحو قدرك وربما هذا ما خلقت لأجله

شعرت بيد توقظني كان رجلا عابس الوجه لا يرتدي شيئا بنصفه

الأعلى وقال غاضبا

. قم يا رجل.. لا نوم أمام متجري

. آسف يا سيدي

وغدوت مسرعًا بطريقي نحو عملي مع مارون

وصلت إلى العمل متعبًا واهنًا بل خائر القوى.. وكان مارون يحمل

المعدن إلى داخل المتجر وبدأ عليه التعب أيضًا.. فاقتربت منه مبتسمًا

قال مارون جامد الوجه:

. هل أتيت لتساعدني يا شاكريم؟

. متعب قليلاً يا مارون لن أقدر على العمل اليوم

ثم تابعت بحماس:

.أريدك أن تخبر السيد عليرآن أن يلقاني عند البحيرة ليلاً فر بما نغادر
غداً

. حسنأ سأخبره .

.أراك قريبأ .

. إلى أين ستذهب؟

. أنا بكوخ خاوث .

جلسنا سوياً أنا والسيد عليرآن ومارون على شاطئ البحيرة.. فقد أتى
مسرعأ عندما أخبره مارون أنني أريد رؤيته وكأنه كان ينتظر هذه المهمة
وقبل أن أشرع بالحديث قال عليرآن

. أخبرني مارون أننا ربما سنغادر بالغد

قلت:

. نعم سنغادر غداً .

. إذن سنغادر ليلاً عند علو الضباب حتى لا يرانا أحد الجنود

.أومأت رأسي وتابع:

. لكن الطريق وعر نحو وادي سيال

. فقلت غير مكترث:

. هل يبعد عنا الكثير؟

. يفصلنا عنه تلال موريشاه ثم سنمر بقرى تتبع المملكة لرتاح قليلاً

وبعدها صحراء..

قلت مبتسمًا:

. لا يبدو بعيد

. ليس هذا فحسب سنمر بغابة الأشجار القزمة وأنهار المياه السوداء..
ثم سنلتف نحو هضابها مرورًا بوديان مانيولا.. ثم نصل إلى وادي سيال
الأعظم

قلت ببلاهة:

. كم المسير؟

. ما يقرب من شهرين

. ثم تابع مشيرًا بسبابته:

. سيفصلنا فقط يوم عن غابات السورينتاس.. وعن الغوال بالمشرق
المهيّب

فأومأت رأسي قائلاً:

. تبدو الرحلة صعبة

. بالطبع صعبة.. ويجب الحذر حتى نجنب ما نريد ونعود سريعًا

فقال مارون:

. لكن شاكريم يريد أن يكمل طريقه نحو الغوال

قال عليرآن محذرًا:

. ربما يريد السيد شاكريم الانتحار

قلت:

. لقد اتخذت قراري

قال عليرآن عابسًا:

.إذن وادي سيال فراق بيبي وبينك.. ولا تطلب مني شيئاً بعدها

.كما تريد يا سيد عليرآن

وساد الصمت قليلاً وكنا جميعاً ننظر إلى المياه الراكدة بالبحيرة وكأن
على رؤوسنا الطير حتى قطع الصمت صوت مارون صائحاً

. حيمان المهيب بحضرتنا

قمت واتجهت ناحيته واحتضنته بقوة فقال مبتسماً:

.أخبرني مارون أن آتي إلى هنا يا شاكريم

فرمقت مارون مبتسماً:

.أحب مفاجأته

قال حيمان ضاحكاً:

.ستغادر المملكة غداً مع السيد عليرآن

عليرآن اقترب من الفارس حيمان.. وانحنى محيياً فربت على كتفه

قال عليرآن:

.نعم يا سيدي الفارس حيمان ستغادر غداً

.إذن ستحتاجان الاسترية سريع جداً

نظرت إلى عليرآن فقال:

.نعم

.بالصباح سيكون هنا اثنان منهما.. فقط أعدا المون

عند علو الضباب وغياب الموجودات بين ثناياه.. اختبأت الأعين المترصدة وغابت الهمهمات.. ولا يكاد يُسمع صوت شحیح حتى عند أبواب المملكة الموصدة ليلاً.. اكتفى الجنود بالوقوف طائعين لمصائرهم الليلية.. وإن لم يبدو سمة شيء من مهامهم الموكلة إليهم.. ولما كان باب مملكة اليكسارنه يغلق ليلاً فالعالم مشتعل والجميع يتريص بها.. بل تكاثر الجند عند البوابة الأمامية الكبيرة.. أيقنا أن العبور من أبواب المملكة ليس بالأمر الهين وربما تراق الكثير من الدماء إن أردنا ذلك.. كان اقتراح حيمان أن نذهب أنا والسيد عليرآن عابرين الغابة الكبيرة.. والغابة الكبيرة حيث كوخ خاوث هي متاهة وتعد أحد حصون المملكة فمن يريد عبورها لابد أن يمتاز بالحنكة والدهاء ويكون عبرها من قبل.

ليس هناك أفضل من عليرآن في هذه المهمة فهو يعلم كل شبر وصاع وذراع بالمملكة.. ويعلم مداخلها ومخارجها.. فباتت هذه أنسب طريقة له.. بل أنه وافق على اقتراح السيد حيمان وأخذنا الاسترية متجهين ناحية الغابة الكبيرة.

كم كانت غريبة هذه الغابة.. فعندما توغلت بها لم أر شيئاً أمامي سوى الأشجار العملاقة تحيط بكل شيء ولا تعلم هل تحاط أم لا.. فالأشجار عظيمة جداً وفروعها كبيرة تحجب رؤية كل شيء تقريباً.. الغابة ليس بها ممرات طولية أو جانبية حتى تتبين أين تقودك بل كنا نلتف حول الأشجار وكثيراً ما فعلنا.. حتى شعرت أنني أدور في حلقة مفرغة كمن ضاع في صحراء لا يرى على مرمى بصره سوى خواء.. بل كانت أدهى.. فربما بالصحراء تهتدي بالنجم.. أما هنا لا هداية وكأني ضللت طريقي أنتخبط إلى مصير مجهول.. بينما عليرآن كان ثابتاً.. واثق الخطى.. يعلم كيف يمضي وبحسب الخطوات.

فتارة يترجل من الاسترية ويتشمم الصخور ويعود ليعدل مسارنا.. تعجبت منه وكأنه يقتفي أثر أحدهم.. ظللنا على هذه الشاكلة حتى عاد

الصباح وانتصف اليوم التالي وقبل علو الضباب لاحت الأرض الفارغة على مرمى البصر فتنفست الصعداء.. وسريعاً وصلنا لنهاية الغابة فترجلنا بالقرب من شجرة كبيرة.. وأسندنا ظهورنا إليها وجلسنا سوياً نلتقط أنفاسنا للمرة الثالثة تقريباً.. ونرمق خواء الأفق المترامي بأعين غائرة

قلت لعليرآن:

.كيف تعلمت عبور هذه المتاهة؟

قال مبتسماً:

. جميع أدلة الجيش يعلمون.. نحن خططنا لكل شيء يمكن أن يحدث إذا تم احتلال المملكة.. فكيف سيفر الكهنة وقادة الجيش والأمير؟

. ماذا عن الشعب؟

فأردف برفق:

. الشعوب تنصاع إلى من يحمل السيف.. لكن الحاكم إن انصاع أصبح كمثل الشعب مغلوب على أمره

قلت ساخراً:

. جميع من هنا مغلوب على أمره حتى حاكمنا

. لكن ليس لعدونا.. أنه يستمع إلى الكهنة

. لن يشكل هذا فارقاً.. العدو من داخلنا ألد من عدونا المتريص والكائن بعيداً

فأوماً رأسه:

. صدقت يا شاكريم

وصمت هنيئة ثم نظر إلي مقطباً وتابع:

. أتعلم لماذا العالم أصبح قاسياً ويفضل الحرب؟

حركت رأسي يمنة ويسرة فقال:

. جميع من يحكم يريد الغنائم.. وكل مملكة تريد أن تقود العالم
. لا يا عليرآن الأمر ليس مادياً بحثاً.. وأظن الحرب الدائرة هنا حرب
عقائدية مفتعلة من الكهنة

ثم تذكرت عالمي وأضفت:

. أليس دور الكهنة إخماد نيران الحرب!

. لا أعلم شيئاً عما تقول

فصمت ثم قال وهو يمتطي الأسترية:

. هيا لنتحرك لنعبر الساحة الخالية قبل علو الضباب ثانية

عبرنا الطريق نحو تلال موريشاه حيث الوديان الذهبية.. ولم تكن
بالمسافة الكبيرة.. فقد تعمدت المملكة أن تترك مساحة خاوية كبيرة
تحيط بها على مرمى البصر حتى يتبين جنود الحراسة حركات الجيوش
القادمة من الأفق البعيد.. لم يكن الطريق وعرا بل كان طريقاً صخرياً
مستويًا وهين العبور.

عندما وصلنا تلال موريشاه جلسنا نرتاح قليلاً ناظرين نحوها
وسبحان من أبدع هذه الطبيعة كانت تلال متراصة غير مرتفعة كثيرًا
ولكنها تلمع لها بريق يجذب العين وأمامها أرض منبسطة ليست بها
وعورة أو صعوبة.. بل كان طريقنا هينًا إلى الآن.. لم نتحدث كثيرًا سوى
عن جمال تلك التلال ورونقها.. وبعد مداولة مع عليرآن قررنا أن نخيم
حيث جلسنا ورتاح إلى الصباح التالي فالغد يحمل لنا طريقًا وعرا
بصحراء شاسعة.

بالساحة الشرقية وفوق منصة الإعدام وقف كاهن الإعدام وبصحبته خمسة متهمين ينتظرون تنفيذ الحكم.. وقد زاد الجمع الغفير من الناس يتراقبون المشهد.. كان الذعر هو السمة السائدة بين وجوه كساها الفزع.. وبينما الكاهن يتحدث بصوت جهور يأمر الجندي بتنفيذ الحكم على الرجل الجاثي على ركبتيه يرتعد مما سيلقاه.. وما آلت إليه المملكة بعهد مراند.. كان حيمان يقف بصحبة مارون متقدمين الجمع.. زاد الفزع والرعب في عامة الناس.. أما مارون وحيمان تبادلا النظرات الناقمة.. إنها المرة الثانية التي تحدث في يومين منذ مغادرتي المملكة ولا أحد يعلم التهم التي تفضي لهذه العقوبة.. بل كانت جميعها التطاول على الحاكم مراند ومحاولة إحداث فوضى.. ولا شك أن الجنود أصابهم الجنون.. فكل من يتحدث بطريقة لا ترضيهم يقدّم لمحاكمة بتهم ملفقة وكما أعدم خاوث ظلماً الكثيرون يعدمون ظلماً أيضاً..

اقترب السياف ذو الساعد القوي وأطاح برأس الفتى فخر صريعاً وغمغم الناس خوفاً حول حيمان.. فزادت ثورته وفقد حكمته.. أراد أن يشهر سيفه ويقتل الكاهن وعصبته.. لكن عندما تحسس جانبه الأيمن حيث موضع السيف لم يجد غمد السيف فقد اقتلعه مارون خوفاً من ثورة آتية من العظيم حيمان.. حيمان هو حكيم في كل شيء لكن ثورته في الحق لا أحد ينكرها.. أما عن ردة فعل حيمان مما فعل مارون فكانت أشبه ببركان ثائر بقاع المحيط.. ثارت جوارحه لكن جمدت ملامحه ثم قال عابسا:

. لم فعلت هذا يا مارون؟!

. لأنني أعلم غضبة حيمان في الحق

فأردف برفق:

. أتريد حيمان أن يرى الظلم ولا يدفعه

. ماذا عن قسمك لشاكريم.. ماذا إذا قتل حيمان؟

. سيموت لأجل قضية

قال مارون بود:

. قضيتنا حماية الجمع من الجنود المندسة.. وليس حماية فرد

أوماً حيمان رأسه ثم قال:

. أصبت يا مارون

أشار مارون ناحية شجرة قزمة تبعد مسافة كبيرة عن منصة

الإعدام.. ثم قال:

. سيد حيمان هل رأيت ذلك المثلث الذي يعتلي الشجرة؟

أدار حيمان رأسه وإذ بالمثلث يلتقط قوسه ويسرع الرمي.. فنظر

حيمان ناحية المنصة ليرى الكاهن ومن خلفه من جنود والسياف صرعى..

تحرك حيمان.. ولكن الجمع حوله أعاق تقدمه ناحية المثلث لاسيما

الفوضى والذعر الذي أحدثهم في صفوف الجمع.. فغاب المثلث وكأنه

شبح لا يرى.. حاول مارون وحيمان تتبعه لكن لم يجدا له أية أثر.

بعد ثلاثة أيام من المسير لاحت قرية صغيرة من أكواخ خشبية

متراصة بنظام مُحكم فتشاورنا أن نزل كضيوف بهذه القرية لنقتص

منها الأبناء.. وكنا نعلم أنها تتبع مملكة اليكسارنه.. فنحن لسنا غرباء عن

أهلها اقترينا مسرعين ناحية القرية ولكن كان السكون هو الظاهر بها..

عبرناها مرات ولا سبيل حتى طرقتنا الأبواب مرات ولم نجد مجيب.. فقلنا

إنها مهجورة واتخذنا من كوخ خاو كمحل لمبيتنا حتى صباح اليوم التالي..

ونمضي بطريقنا ناحية وادي سيال.. كانت كلماتنا قليلة بل أن النوم هو

الحاكم فقد دنا منا التعب والوهن.. نمنا كما لم ننم من قبل ولم نأبه

بأمر شيء ولم نخشى شيئاً من قرية خاوية.

مضت ساعات وعلا الضباب كثيراً.. ولم أشعر بشيء سوى عندما
أيقظني عليّ أن يخبرني بالحركات السريعة بالخارج

قلت:

لعلك يخيل إليك يا عليّ أن

لا لقد سمعت أصوات بالخارج.. هناك خطب ما.. تأهب يا شاكر

فقمتم من مضجعي وبصحبي عليّ أن ومضينا بخطوات حذرة ناحية
طرق القرية وكلما اقتربنا كان يعلو الصوت ويزيد.

عدت أتحدث ثانية بعدما رمقت الخواء حولي بأعين غائرة

عليّ أن هناك شيء ما هنا.. أشهر سيفك

فأوماً رأسه.. ولما اقتربنا كانت عصبية من الرجال تعيثُ فساداً بالقرية
من ضرب بالسياط وسرقة لمؤنّها.. اصطف الناس وقسمات الرعب
غطت الوجوه.. فطلبت من عليّ أن الالتفاف حول الرجال المدججين
بالسيوف والسياط.. جميعهم كانوا ملثمى الوجوه.. ولما التففنا حولهم
أطاح عليّ أن برأس أحدهم.. وكانوا أكثر من عشرة رجال.. فصرنا نقتلهم
وبعضهم لاذ بالفرار لكن لم نتمكن من اللحاق بمن فرّ هارباً.. ابتسمت
وقلت لعلّ أن

نعم الفارس عليّ أن

ثم رمقت وجوه الرجال والنساء بعطف وأردفت:

لا تخافوا.. كل شيء على ما يرام

واقتربت من الجمع ثم تابعت:

ماذا يحدث هنا؟

قال أحد الرجال الواقفين بخوف:

. يأتون ليلاً ونختبئ منهم لكن اليوم أخرجونا عنوة من بيوتنا.. وأرادوا
جمع ما بالقريّة من طعام وسبي النساء

قلت مقطّباً:

. من هم؟

. هؤلاء الرجال لا نعلم من هم يا سيدي.. ولأن قريتنا قابعة هنا بلا
حراسة فأمر غزوها من عصابات مسلحة أمرهين

ثم أردف متودّداً متأثراً:

. نشكر المملكة أنها أرسلت فارسين لحمايتنا

فابتسمت وقلت:

. لم ترسلنا المملكة.. نحن عابرا سبيل

أوماً رأسه وقال بأسى:

. مرحباً بكما في قريتنا.. لكما حق الضيافة وحق السكنى إن أردتما

مرافقتنا

فربت على كتفه وقلت برفق:

. سننام اليوم هنا ونغادر غداً بمنتصف النهار

. كما تريد نشكركما على حمايتنا

عندما كان مارون يعمل بكد بالمتجر وتتساقط منه قطرات العرق
الغزير أتت لوانا مبتسمة وهي ترمقه بعطف عندما كان منشغلاً برفع
المعدن وإدخاله إلى المتجر.. فلما رآها بادلها بالابتسامة.

قالت لوانا:

. كيف يومك مارون؟

. بخير لوانا

فأردفت بلهفة:

. هل عاد شاكريم؟

قال مارون ساخرًا:

. الطريق نحو وادي سيال ربما يأخذ أشهر كيف يعود الآن لقد مضت
أيام قليلة فقط

تحركت لوانا وجلست على كرسي بجانب باب المتجر ثم تابعت

. اشتقت إليه يا مارون

. جميعنا مشتاقين

قالت مزحة:

. هل تحب جارية أنت الآخر؟

. لا أقصد جميعنا مشتاقين إليه

صاح مناد في الناس "الأمير مراند سيخطب بميدان الصراك"..
وميدان الصراك هذا لا يبعد كثيرًا عن المنطقة القابع بها مارون.. فتبادلا
النظرات قبل أن يتجها ناحية الميدان.

لما وصل مارون إلى الميدان لم يتقدم الصفوف.. وقف هو ولوانا
بعيدًا ينتظرون مراند الذي خرج بعد برهة عليهم من منصة خشبية تم
إعدادها بترف.. وصف الكهنة الواقفين خلفه كتمثيل يرمقون الناس
أمامهم بعين ثابتة.. بينما شكلت الجنود حلقة مفتوحة حول مراند
واتجاه فتحها ناحية جمع الناس.. فكان الناس بالكاد يرونه.

رفع يده محيياً الناس وقال برفق:

. أهلي وأحبي.. المملكة كما تعلمون تمرّ بفترة عصيبة والحرب المقدسة التي كتبها ميسلان العظيم علينا هي بركة وخير مملكتنا.. لم أكن أنوي أن أتحدث عن هذا الأمر ولكن لا بد أن تشاركوني ما يحدث

ثم تابع بحزن مصطنع:

.الأمير كولدو توفي صباح اليوم

علت الأصوات حتى أن بعض النساء بكين وكان أكثرهن جاريات..

أردف مراند:

. لم استطع إلقاء الخطبة من أمام القصر.. فجسد الفقيد قابع هناك يذكرني بقائد عظيم.. وملك أخضع الأرض من مشارقها إلى مغاربها.. الآن هو برفقة ميسلان العظيم

تهدد ثم قال:

. اليوم أردت أن أخبركم أننا نريد التبرعات لإعادة توازن الجيش ثانية.. وقد قررت أن نزيد الضرائب عليكم ضعفها فقط حتى نعبر الفترة العصيبة هذه ثم نلغئها

علت الأصوات الصاخبة حوله ثم قال مارون للوانا:

. إن هذه الفترة العصيبة منذ قديم الأزل.. يبدو أن شاكريم كان محقاً.. الكهنة يأخذون كوننا نحو نهايته

السهم القادم من بين الصفوف شق طريقه وكان أحدهم يحمله بدقه ناحية صدر القائد مراند فاستقر السهم بأعلى كتفه الأيسر.. وانشغل الجنود بأمر الملك بينما لاذ الفارس الملثم بالفرار ركبًا الاسترية وتتبعه جموع الجنود ناحية غرب المملكة..

مأدبة تجمع عليها ثلاثتنا أنا وعليرآن والسيد الذي خاطبنا من قبل..
لا أخفي عليك أنني تأخرت يوماً عن مغادرة القرية.. شيء ما رفض
المغادرة ولاسيما وجود ذلك الرجل البائس "السيد ميروان".

السيد ميروان هو كبير القرية وعمدتها.. وربما حماية القرية موكلة
إليه لكنه لا يستطيع حتى حماية نفسه من بطش العصابات.. كان
ميروان شخصاً هادئ الطباع وعلى النقيض مندفع الحديث.. فيحاول
مرات أن يدعي الحكمة بصمته ولكن عندما يتحدث لا يكف عن الكلام..
ربما كلماته تصيب الرأس بالصداع المزمّن ولكنه كان أشبه بمعجم بشري
يعلم الكثير عن المملكة والحروب الدائرة بها.

فكان السيد عليرآن يحب مجالسته ليحدثه بأمر الحرب وما حدث
بالقرية.. وسريعاً انتقلت عدوى عليرآن إلي فتأخرنا ليوم آخر.. الحقيقة
كان السيد ميروان كريم بشدة.. وقد أعد لنا أفضل الطعام لديه بل كان
يخدمنا بنفسه.. لعل ذلك نابع من شعوره بأنه ولي أمر القرية وحق
إكرام الضيف واجبه.

بعد تناول طعامنا رمقناه بأشمئزاز.. رجل قصير ممتلئ العضلات
طويل العنق يلتهم أصابعه هذا يبعث الأشمئزاز في النفوس.. لعله أدرك
ذلك فتنحى وفرك كلتا يديه ثم قال مبتسماً

. نحن نشعر بالفخر لنزولكما بقريتنا المتواضعة ومساعدتنا

فأومأنا رأسنا ولم نتحدث ثم استطرد:

. الكثير من العصابات الملتزمة تجول الأرض وتغور على القرى الأقل
حراسة.. فيهبون ما بها من مال وعدة وعتاد

قلت مقطباً:

. ربما يتبعون إحدى الممالك المعادية

قال بوجه جامد:

. لا أعتقد ذلك.. دائمًا عند الحروب يظهر هؤلاء وينتشر الأمر بباقي الممالك.. وليس اليكسارنه فقط.. لكننا نعلم قصة شبيهة لذلك حدثت منذ زمن بعيد

فقال عليرآن بحماسة:

. ما هي؟

فاستطرد قائلاً:

. سأخبركما

"عصابات عسباه"

عند الحروب يقل الإيمان في الناس وهذا أمر طبيعي.. لكن عندما يقل الإيمان تظهر مساوئ النفس وتظهر الخصال السيئة فينا.. فالجميع يعلم ربما النهاية قادمة.. ويظهر ضعاف النفوس ليحذو حذو قطاع الطرق والقتلة.. عندما كانت الممالك تحارب دائمًا كانت توزع القرى الصغيرة على كل مملكة فلكل مملكة قرى تتبعها ويزداد عددها بقوة المملكة.. ومن ثم تساعد المملكة هذه القرى بالمؤن والعدة فتزدهر القرى ويصير ولاؤها إلى المملكة التي تتبعها.. لكن كانت قرية عسباه لا يوجد بها ما يجذب أية مملكة على اقتنائها.. ولأنها أيضًا نائية فتركت لجهلها وفساد شعها وكانت قرية تحكم بقوة السيف والسي والقتل.. لم تعرف طريقة الحكم الذاتي فالجميع يحكم والجميع محكوم.. يصعد حاكم اليوم وبالغد آخر حتى ظن بعضهم أنهم أصبحوا كالممالك ولديهم قوة كبيرة.. وعندما كانت الرحي تدور أصبحت جنود عسباه تجول الأرض تبحث عن غنائم الحرب من القرى النائية مثل قريتنا وتقتل وتجمع الغنائم.. فكانت هذه القرية الصغيرة تشعل فتيل الحرب عند خمودها.. فالكهنة يهتمون

الممالك بفعل هذا بقراهم.. وتندلع الحرب ثانية.. أدرك الأمر ولكن ليس سريعاً وتمت إبادة جنود عسباه.. وفكرت الممالك في أمر القرى الصغيرة.. فجميع قرى العالم الآن تتبع ممالك.. وهذا الخطر الهين الذي لا تكاد تفكر به ربما يكون أشد الأخطار.. واليوم عندما ظهرت هذه العصابات أردت أن أخبركما القصة هذه فهي لا أحد يأبه بها سوى من عاش بعيداً عن أسوار المملكة.

قلت جاداً:

.ربما عادوا ثانية

فقال عليرآن:

. لا أظن أن الممالك تخطئ بشيء مثل هذا.. إن الملوك يعلمون جيداً عن كل شيء بكوننا.. ويحسبون الحسبة لكل شيء

فقلت ساخراً:

. ما يجعلك واثقاً هكذا

. لولا شدة حذرهم لانتهدت الحرب منذ قديم الأزل فلا راجح بها من شدة الحذر

فقال السيد ميروان بود:

. ما يقوله السيد عليرآن حقيقة تماماً

فقلت عابساً:

. إذن من يفعل ذلك؟

قال السيد ميروان بأسى:

. العدو فينا سيد شاكريم

فأضاف عليراً:

. معك حق سيد ميروان

عند الحديقة الكبيرة ليلاً كان حيمان العظيم يقف شامخاً أمام جندي مقيد اليدين إلى شجرة قزمة.. ويقف بصحبته مارون وبعضاً من رجاله مصطفين خلفه مباشرة.. أما الجندي الجاثي على ركبتيه ينظر إليهم بفرع نظرات خاوية غائرة فقال له حيمان مهدداً
لديك فرصة أخيرة لتخبرني عن الجنود الخائنين

قال الجندي بخوف:

. سيد حيمان هم كُثُر.. أنا لا أعلمهم جميعاً.. ولا أعلم من جندهم.. نحن نتلقى الأوامر دون معرفة صاحبها.. تنظيمنا كالشجرة.. ونحن محض وريقات صغيرة لا نعرف أين جذعها ولا متبها

.ربما تعرف أغصانك المجاورة يا فتى

. نعم أعرف

.أتحب المال؟!

. من لا يحب الحلي والجواهر النفسية

. إذن سأعطيك أكثر مما أرادوا أن يعطوك.. ولكن ترشدني إلى أماكنهم

ثم تابع مهدداً مقطباً:

. لكن إن خنت فلن نترك تمضي وشأنك.. فأى شيء ستختار أن تصبح فارساً أمام نظر عائلتك البائسة وغنياً أيضاً أم خائناً وتموت ميتة المقطوع بغابة تتوارى عن أعين الجميع

قال الفتى بود:

. نعم أن معك يا سيد حيمان العظيم

همس مارون بأذن حيمان:

. سيد حيمان هل ستتركه يمضي؟

. ما من شيء أخرجني حتى ننهي على الفتنة سريعاً

قال مارون بصوت متقطع يخفي بين طياته الغضب:

. سيدي هذا خطأ ربما يكذب

. لا تقلق يا مارون سيصبح كل شيء على ما يرام

خمسة أيام المسير من القرية.. وصرنا نقارب كثيراً من مفترق الطرق.. غادرنا القرية وسرنا في طريقنا نحو وادي سيال.. ولما بلغ التعب مني مبلغه من المضي بالصحراء الشاسعة هذه.. أردت أن أرتاح قليلاً.. فقد أخذنا بعض المون من القرية قبل مغادرتنا.. وتركنا أهلها بعد طقوس وداعية صعبة وكأننا ولدنا بهذه القرية.. الغريب بأهل هذه القرية لم يسألنا أحدهم أين سنذهب.. ولا عن وجهتنا.. فقد كانوا مهتمين بشؤونهم وبشأن أخبارنا بأمر قريتهم.. لعل هذه رسالة إلينا حتى ننقلها إلى قادة المملكة البائسين.

وبدت تلوح أشباح لمرتفعات بالأفق البعيد.. فأشار إليها عليراً وقال:

. تلال مملكة ميقولاي

. لم أسمع بها من قبل

. إنها رائعة وتبعد مسافة كبيرة جداً عن مملكة ميقولاي.. ولكن لا

أحد يغزوها.. ربما لأنها لا تدر شيئاً على أحدهم

فأومأت رأسي وكان أمام التلال أرض الصحراء قابضة هناك توشك أن

تخبرني بأنني سأمكث بهذا التعب لفترة طويلة فقال عليراً

لن نعبّر الصحراء.. سنعبّر الغابة القزمية حتى الأنهار السوداء ونصعد
هضبة المنبع.. ومن ثم وديان مانيولا وبعدها نصبح بوادي سيال

فقلت مضجراً:

هل بقي الكثير؟

لا بمجرد عبورنا غابة الأشجار القزمية سنصل هناك إلى الأنهار
السوداء

بأحد المجالس الدائرية حيثما جلس مارون ولوانا.. وقد طلبت لوانا
أن تلقاه هناك قبل أيام فأخبرها مارون أنه سيلقاها هناك.. وكانت لوانا
عابسة الوجه مضطربة المشاعر متخبطة.. وما بدا عليها جعل مارون
يحتار في أمرها فألقى عليها التحية مرات ولم تجب.. فتركها لشرودها
وشرد هو الآخر.. ما يدور بخاطر لوانا سوى شاكريم.. فقد مضى أكثر من
شهر الآن ولا تعلم عنه شيئاً.. وتشعر أنها ستفقد الحبيب الذي لطالما
أرادته في خلدتها.. وهو عندما دنا منها فقدته وغاب.. فتمنت لو استمعت
لما قاله وهجرت المملكة مع شاكريم غير عابئة بقوانين تجور عليها دون
ذنب.

أما مارون فكان شارد الذهن فيما سيقوله عندما تسأل عنه.. كان
يشفق عليها مارون.. وهو يعلم في خاطره أن ربما شاكريم لن يعود ثانية..
فقد اختار شاكريم مهمة انتحارية بالمضي قدماً نحو مملكة الغوال بعد
أن يجد كنز كمور.. هذه مهمة صعبة حتى أن عليراً رفض أن يكملها
معه.. وما سيفعل إن عبر الغابة وحده ونجا من خطر السيورنتاس.. فهل
سينجو من خطر الغوال.. ماذا سيخبرهم؟.. كيف سيدلف إلى المملكة
ويعود سالماً؟ يعلم أنه فارس قوي ولكن ما فائدة القوة أن كنت ستحارب
قوما وحداً.. أنت لست إله حتى تنتصر.. وهكذا خاطب مارون شاكريم
في نفسه قبل أن تقطع لوانا خواطره وتقول بخوف

.ربما لن يعود يا مارون. هل تخبرني الحقيقة؟!

.نعم ربما لن يعود يا لوانا.. شاكريم ذهب لقدره

فبكت لوانا وقالت:

.كيف تتركه؟! أأست صديقه؟!

.لوانا.. شاكريم فارس وليس طفلا يتلقى تعليمات من أحد

قالت بعين باكية:

.سيخلف وعده ولن يعود.. كنت أعلم ذلك

.ربما يعود ما زال هناك الكثير من الوقت

قامت من مجلسها ثم ألتفتت إليه قائلة:

.لن أسامحك يا مارون إن أصابه مكروه

قام مارون.. وركل إحدى الأشجار القزمة من غضبته ومضى في طريقه.

وبعد مضي شهرين كنا بالقرب من وادي سيال.. وكم أرهقتنا الرحلة وأتعبتنا كثيرا. فمشينا حتى أصبحنا داخل الوادي الكبير وتحوطنا مرتفعات من كل صوب.. صخور بنية وحجرية من كل صوب.. ولهيب حر ميسلان فوق رؤوسنا مباشرة. فنزل عليران من الالستية وترجل ثم جلس على الأرض فتبعته وجلست جانبه. فأخرج الخريطة وراح ينظر فيها ثم نظر إلي قائلاً:

.الخريطة تقول أن هناك كهفا هنا

وأشار بيده اليميني ناحية هضبة على يسارنا ثم أضاف:

.دعنا نصعد لنرى

فتحركنا وصرنا نصعد ونعلى فوق الأرض كثيرا.. فلم نجد كفهًا واحدًا
ولكن وجدنا الكثير فنظرت إلى عليرآن ببلاهة.. ثم أخرج الخريطة ونظر
فيها وأشار بيده ناحية واحد فوقنا بمترات وقال:

. هذا هو .

تحركنا ناحيته ودلفا الكهف.. وكان كبيرا جدا من الداخل ومنحدر
الأرض ناحية الأسفل.. ولم أبصر بعد المسافة من الظلام الحالك وسرنا
بالمناحدر حتى وجدنا صخرة كبيرة وقال عليرآن

. هذا هو المكان يا شاكريم .

فأخرجنا أدوات الحفر وحفرنا كثيرا حتى وجدنا صندوقا خشبيا على
بعد مترين من فوهة الحفرة.. أخرجنا الصندوق وفتحناه وكان به كثير
من الحلي وثروة كبيرة.. فربت على كتف عليرآن

. أحسنت يا عليرآن .

فابتسم وحملنا الصندوق وبالكاد كنا نتحسس طريقنا نحو الخارج..
وبينما نحن بالطريق تحركت قدمي اليميني فتعثرت وسقطت.. كنت
أحسب أنني أسقط على أرض الكهف ولكن هبطت حفرة كبيرة منحدرة
نحو الأسفل.. صار جسدي يتخبط بالصخور وسمعت صوت عليرآن
مناديا مرارا حتى تلاشى من مسامعي.. حتى لم أبصر شيئا حولي سوى
ظلام دامس.

عند علو الضباب ليلاً مضى الفارس حيمان بصحبة جنوده المدججين بالسلاح بأروقة المملكة.. وكان يصحهم ذلك الجندي الخائن فقاده كأسير حرب ناحية المبنى الذي يمكث به رفقته من الخائنين.. وما زال يدلهم هذا الجندي على أماكن الجنود الخائنة.. وبينما حيمان يمضي.. وبعد عبوره الممر الجاني المؤدي إلى ذلك المبنى المكون من ثلاثة طوابق سمع صيحات بالداخل.. فأخرج سيفه وصعد هرولة ناحية الصوت وتبعته جنوده وهم يقتادون الجندي.. فلما دخل وجد المثلث وقد قتل الجنود الخائنين جميعهم فتلاقت عيناهما وصاح به حيمان

.توقف

فرمقه المثلث بعين واثقة ثم قفز من النافذة.. فتحرك حيمان ينظر من النافذة.. وكانت المسافة تبعد عن الأرض كثيراً.. ففكر ملياً أن يقفز دون أن يصاب بضرر.. ولكن غروره دفعه فقفز خلفه.. وبالكاد سقط دون أن يتضرر وهو يهرول خلفه وكان الإعياء بلغ أشده بجسده.. وربما السن ما أبقده القدرة على العدو خلف المثلث فعاد أدراجه.

قال أحد جنوده:

.هل أنت بخير يا سيد حيمان؟

.نعم بخير.. لا تقلقوا

ثم ألتفت إلى الجندي الخائن وقال بغيظ:

.من أخبرت غيرنا بمكان هؤلاء الخونة؟

قال الجندي خائفاً:

.أقسم بحق ميسلان لم أخبر أحداً

.إن كنت تكذب سأقتلك يا فتى

وصب عليه غضبه من لعنات.. فما مرّ به يدل على أن صفه مخترق
وهناك من يعبث به.. بل هناك من يسبقه بخطوة.. ولا يعلم علتة هل
يسعى لما يسعى؟.. أم يسعى لشيء آخر!.. ومن أين أتى؟.. وهل هو من قتل
الكهنة بالساحة الشرقية؟!.. هل هو من حاول قتل مراند؟!.. أم أنه
تنظيم محكم يسعى لإحداث فوضى عارمة بالمملكة.. الكثير من الأسئلة
دارت برأسه وظل شارداً حتى قطع أحد الجنود شروده

. سيد حيمان ماذا سنفعل الآن؟

. هيا لنذهب من هنا

ثم أردف بعين ثابتة تنظر إلى جنوده:

. هناك الكثير يحدث حولنا.. لا تثقوا بأحد سوى بقلوبكم

فأوماً الجنود رؤوسهم وتبعوا حيمان حيثما ذهب.. وهم يقودون
الجندي بقسوة أمامهم.

عند منزل سيد لوانا وقف مارون لساعات ربما.. ينتظر أن تخرج فهو
لم ينم منذ ما حدث بينهما.. وحاول مرات لقاءها حتى سأل عنها بعض
الجواري وعرف مكانها.. وبعد تفكير طويل نحلّ خلاياه قرر الذهاب إليها
ومحاولة الأخذ بأزرها.. وهكذا وقف مارون يرمق الناس حوله حتى ثبتت
عيناه أمامه.. فمن يراه يشعر أنه ينتظر إلى شيء ما.. ولكن هو شارداً بأمر
ما.. شارداً بما أوصاه به شاكريم قبل رحيله.. وراح يحدث نفسه.

أوصاك شاكريم بلوانا فجعلتها تقنط من عودته.. ماذا سيحدث إن
كذبت عليها وأخبرتها بعودته قريباً.. ألا تعلم ما تمرّ به هذه البائسة..
يكفي أنها جارية ودون أهل أو سند.. كان شاكريم سندها.. فربما يغيب
إلى الأبد.. هو أيضاً مجنون يريد أن يغير المملكة لأجل من أحب.. لا هو
أفضل مني.. يكفي أنه فعل ذلك.. فماذا فعلت أنت عندما أردت

حبيبتك.. حاولت أن تعتدي عليها وحاولت أن تغضب ميسلان العظيم..
ماذا فعلت عندما لم تملك ثمن كوخ الزواج هل عملت؟ هل ذهبت
للحرب لتجني الغنائم وتصبح غنياً؟.. تدعي أنك شجاع بل أنت جبان..
شاكريم أفضل منك.. شاكريم سيموت مدافعاً عن قضيته.. شاكريم لا
يهاب أحداً.. ترى هذه المسكينة إن علمت موته ماذا ستفعل؟!.. ربما حان
الوقت لك أن تفعل شيئاً صائباً بحياتك المزرية.. وتمضي نحو وادي
سيال.. ألم تتعلم أن تكون دليلاً من أبيك ولكن خوفك جعلك لا تريد
العمل بذلك.. لماذا لم تصحب شاكريم بهذه الرحلة!

أنت فاشل بل أضل..

أنت ضعيف وهين..

دواب الكون نافعة عنك..

وكون ميسلان لا يهتملك..

نعم لا يتحمل من همّ مثلك..

كفى.. كفى.. كفى

وصرخ بصوت عالٍ سمعته الناس وحسبته يصرخ فيها.. كانت لوانا
قد رأته وأنت لتسأله ماذا أتى به.. لكنه لم يلحظ سوى خواطره
فاستفاق على صورتها أمامه..

قالت غاضبة:

. من يقال له كفى؟

. آسف لوانا .

ثم أردف بود:

. أتيت لأعتذر عما قلت .

.لا شيء.. لا عليك

نظر إلى وجهها.. منتفخة العينين وهالات عيونها سوداء.. وضعف جسدها.. ربما لم تأكل.. ربما تتعذب.. جمالها يختفي وقلها يموت.

فقال بعطف:

. سأذهب بحثًا عنه يا لوانا

.كيف؟

. لا يهم ولكني سأغادر.. ولن أعود سوى عندما يعود

فابتسمت وقالت برفق:

. أشكرك يا مارون ولكن..

. لا تقلقي سأعود به

. عليران.. عليران..

ثم يرد الصوت ناحيتي ثانية.. فأصيح مجددًا

. عليران أين ذهبت؟!

أتحسس الصخور بيدي عسى أن أجد نتوءات أو أسنان مديبة تساعدني في الصعود ولكن لم أجد سوى صخور ملساء.. لا أعلم كم مضى من الوقت؟ لقد نمت.. بل على غطيطي كما لم أفعل من قبل.. ربما ذهب عليران ليأتي بالمساعدة وربما فرّ هاربًا بكثر نكتام.. ربما انتظرني هنا لأيام ولم أجب فظن أنني مت.. إن افترضت صحة أنه انتظرني لأيام معنى ذلك أن المسافة للسطح بعيدة جدًا.. لمّ لم أمت؟!.. أنا مرن الجسد.. فربما لم تهشم عظامي لذلك.. ولكن كيف الخروج الآن!.. ربما سيدنو مني الجوع والعطش قريبًا وسأموت.. سأخلف وعدي ولن أغير قوانين المملكة.. ولن أحضر كتر كمور.. ولن أفعل أي شيء سوى

الموت بعالم ناء ربما يبعد عن كوكبي الكثير ويمكن أن يكون على أطراف الكون.. ما هذه الميتة؟ !.. ألا يوجد أقل عقابًا من هذا يا الله حتى تعاقبني على أثامي.. موت بكوكب ناء بحفرة نائية بعيدًا عن الناس.. على أية حال ليس لي أهل ليحزنوا علي..

ما يمكن لبشر فعله بالوحدة سوى حديث نفسه أو حديث الجماد..
ربما خلق الله لنا النفس لتغنيننا عن الناس.

حسنًا تقبل الأمر.. أنت لديك نفسك لتغنيك عن الناس لتمت بسلام
ولكن لن أسامحك يا عليرآن..

.شاكريم

.عليرآن

.أنا بالأعلى.. لم أذهب دونك ولكنهم قادمون.. فماذا تريدني أن أفعل؟
فقلت مستفهمًا:

.من هم؟!

.السيورنتاس يا شاكريم.. نحن نبعد يوما عن موطنهم وإن علا
الضباب ربما يروني عندما يقتربون.. لقد أبصرتهم قادمين.. بقى القليل
ويعلو الضباب

فقلت بصوت متردد:

.غادريا عليرآن واتركني لكن أبحث عن نكتام وأعطيته ماله.. ولك ثلث
المال

.لن أتركك وحدك

.هيا يا عليرآن.. لا تعبت أنت تريد المغادرة.. هيا قبل أن تقطع قطعاً
صغيرة مثلي

. حسنًا سأعود ثانية يا شاكريم.. حاول الاختباء منهم قدر المستطاع

. لا تقلق

وناديت ثانية:

. عليآن

فقال بصوت عالٍ:

. نعم

. لا تخبر لوانا بموتي أتوسل إليك

. لا تقلق ولن تموت سأعود إليك قريبًا

بمعسكر الفارس حيمان الجديد داخل أحد الحدائق النائية على أطراف المدينة.. كان الجنود منشغلين بأمر التدريبات اليومية.. بينما الفارس حيمان وقف كعادته يرمقهم بثبات ولا يتحدث.. بل كانت عيناه هي ما تقول الأوامر ويومئ رأسه إلى بعض من الفرسان المتبارين.. فهمس مارون بصوت خافت:

. سيد حيمان

فقال دون أن يدير ظهره:

. مارون أعلم لم أتيت

قال مارون متعجبًا:

. كيف؟

. أتيت لتطلب مني العون لأنك أردت أن تبحث عن شاكريم.. وتشعر

بخيبة أمل وضعف

قال مارون متلعثمًا:

. كيف تعلم ذلك؟!

. حيمان يقرأ ما بداخل نفوسكم الخائبة.. وأنت يا مارون روحك
طيبة.. لكن خشية الفقدان أفقدتها كثيرا من النعم.. فلما فقدت تحررت
وثارت.. ثم تابع بعدما أدار جسده ونظربوجه مارون بعين واثقة:

. منذ الوهلة الأولى.. وقد علمت أنك تعلم الكثير عن علم الدليل..
علمت أنك تستطيع أن تصحب شاكريم برحلته.. ولكن حيمان لا ينطق
بما يرى.. فقلت ربما يخاف من شيء ولكن تأكدت من أنك ستريد اللحاق
به عما قريب.. وها قد أتيت طائعاً لقدرك مطيعاً لضميرك

فقال مارون بأسى:

. لا ترهقني سيد حيمان

ربت حيمان على كتفه وقال بود:

. الرحلة ليست هينة.. وربما لن تعود

قال مارون عابساً:

. لا يهم.. ماذا عن شاكريم؟

. لا أعلم الغيب يا فتى.. فتلك أقدار ميسلان.. فربما يعود وبالأحرى لن

يعود

. إذن سأصبح راضيا عن قدرتي لأنني لم أمت جباناً

ابتسم حيمان وصاح:

. أيها الفارس أحضر الاسترية خاصتك هنا لأخيك مارون

وعاد ينظر إلى مارون.. ثم أضاف مبتسماً:

. اليوم ستغادر عند الضباب.. أسلك طريق شاكريم وعليرآن

هرول الاسترية وفوقه عليراً فاراً من السيورنتاس.. زاد عددهم.. هم سراع جداً.. فلما بلغ هضبة المنبع للأنهار السوداء.. وقد اتخذ طريقاً مختصراً لكنه شديد الخطورة.. وقف الاسترية وعلم أنها النهاية الآن.. فلن يقفز الاسترية ولن يتحرك قيد أنملة.. فأما أن يستسلم.. وأما أن يقفز وهو بحوزته الصندوق الخشي الذي سيعينه على التثبيت بالحياة.. ربما لبرهة قليلة..

دنت تلك المخلوقات منه.. وكادت أن تلتقطه حتى قفز من فوق هضبة المنبع بالماء الأسود أسفله.. وصاحت تلك المخلوقات القصيرة غضباً.. فلما وصل إلى الماء قال في نفسه "ليكن ميسلان برفقتك يا شاكريم".

نائماً على ظهري أنظر إلى الظلام فوقي وأشعر برغبة عارمة في الفناء.. هذا مصيري المحتوم.. فلم القنوط ولم الضجر.. لتمت بسلام بعيداً عن وطنك.. ولا تنسى أنك وجدت الحب الذي لم تره من قبل بكون ميسلان هذا.. على أية حال فالجميع سيباد قريباً.. الحرب ستقتل الجميع وستبيد هذا العالم الهين.. الرحلة أوشكت على نهايتها للجميع. وهناك بعالمي ربما الحرب أيضاً أبادته.. فما الفائدة من البكاء.. لتمت بسلام يا سيد شاكريم..

وغنيت أنشودة كتبها قبلاً.. وأخذت أصبح بها حتى يسمعي السيورنتاس ويأتون لقتلي
لا أخشى الموت أو الحياة..
أخشى ألا تُسمع مناجاة
فيلفظني الأمل وأسقط..
كحلقة تسقط في فلاه

فإن كنت لا تعلم أين المصير..

فكلُّ يصير بيد الإله

فلم القنوط يا عبد يموت..

ولن يبقي في الكون حي سواه

أردد الأنشودة وكما نفعل جميعًا عند اليأس نسأل القدير العون..
وإن كان العون حتى يثبتني في سكراتي.. ويجعل السيورنتاس يجهزون على
مسرعين دون عذاب.

سأراك قريبًا يا خاوث.. سأراك يا فتى ويمكنك أن أكذب عليك ثانية..
وأخبرك أنني قتلت بمعركة حاسمة.. وليس مقطوعًا أربًا من مخلوقات
همجية..

حاولت مرات أن أنظر حولي لأتبين أي شيء.. ولكن لا شيء سوى
ظلام.. وبدأت أشعر بحركات حولي.. فربما عقلي يخيل لي ما يحدث.

في مكان ناءٍ بمملكة اليكسارنه كانت هناك معركة دامية بين جند
حيمان العظيم والجنود المندسة الخائنة.. في هذه المرة لم يرشدهم
الجندي الخائن لذلك.. ما حدث الأيام الماضية جعل الفارس حيمان
يجول ليلاً بطرقات المملكة يقتص الأنباء.. ويرى ما قد يحدث من هؤلاء
الخونة.. فلما سار حيمان بأروقة المملكة رأى ما رأى.. فدارت الرحي..
وزادت القتلى من جنود المملكة.. لكن ما رآه حيمان وجعله يفقد
صوابه! الجنود الآن يجلدون الشعب ويسرقون المؤن.. وكم تعجب
حيمان مما يحدث.. لم لا يخبر الشعب الكهنة عما يحدث.. لكن سرعان
ما علم ذلك عندما رأى الصرعى أمامه.. فعلم أن أولئك الجند يقتلون
الشعب.. ولا يتركون شاهدًا خلفهم حتى يخبر أحدا عما رأى.

كان حيمان يطيح بالرؤوس ويضرب بلا هوادة.. وذّ لو فتك بالجميع..
وحيمان الفارس الآن أطلق العنان إلى سيفه ليجز الأعناق ويقطع
الأوصال.. بينما جنوده منشغلين بأمر القتل أيضاً.. وعندما فرغ حيمان
من بطشه بأولئك الجند الخائنين.. انقلب كل شيء حوله فتبدل السكون
إلى صياح عارم ورأى جمع الجند يطوقهم.

فرأى الكهنة أمامه في دهشة.. وقال أحد الكهنة زهري الملابس حليق
الوجه والرأس

. حيمان العظيم يقتل الشعب والجنود

فخيم الصمت لبرهة قبل أن يريد أحد فرسان حيمان الدفاع.. فأشار
حيمان له.. طأطأ الفارس رأسه وصمت

قال حيمان بشموخ:

. حيمان لا يقتل بريئاً.. لا تحاولوا الإيقاع بحيمان لأن كيدكم سيرد

قال الكاهن ساخراً:

. إذن من قتل هؤلاء

. قتلت جندك ولم أقتل الشعب

ولما شعر بأحد جنوده يريد المقاومة قال:

. كفوا يا رجال حيمان.. حيمان العظيم لا يهرب من ميدان المعركة..

أحضرتني ما أتيت به يا كاهن الشؤم.. خسئتم وتحيا اليكسارنه أبية رغم
عبث الكهنة

فردد رجال حيمان ما قاله ثم تابع:

. لا تقاوموا يا رجال.. لا يفرّ رجل في قلبه مثقال ذرة من إيمان من

قدره وهذا قدرنا

مضى حيمان وجنوده مع الكهنة وجنودهم ناحية مصيرهم المحتمل..

رأيتهم.. هم هنا.. نعم هم في كل مكان حولي..

صحت مرددًا بهذه الكلمات.. وشيء ما حدث أحال الظلام الدامس إلى ضوء ساطع.. فرأيت السيورنتاس وقصر قامتهم.. كانوا قصيري القامة لهم عينان كبيرة وبشرة ناصعة البياض.. حيوانات قزمة ذوي أسنان مدببة.. لم أعد أرتعب من شيء.. كل ما مررت به هنا جعلني لا أخشى شيئًا.. وعندما دنت مني هذه الأجساد أخذت تلطمني بقوة في جميع أنحاء جسدي.. لطمات متتابعة وكأنهم يكتشفون هذا الجسد المسجى أمامهم.. لم أقاوم بل ابتسمت.

أنتظر المصير القادم فصحت "هيا أقتلوني شاكريم يموت فارسا..
أقتلوا فارسًا أعزل"
فتلاشى كل شيء..
وعادت العتمة ثانية..

بالساحة الشرقية خيم الصمت فوق الرؤوس.. فاليوم يشهد لحظة فارقة في عمر مملكة اليكسارنه.. اليوم يحاكم حيمان العظيم ومن لا يعرف حيمان وخدماته الجليلة وحبه للحق.. الجميع يعلم أن هناك خطأ ما.. وربما التهم التي يُحاكم بها هو وجنوده ملفقة أيضاً.. بل تؤكد الجميع من ذلك.

نظرات مترقبة في أعين الشعب الواقف دون نظام أسفل المنصة.. ونظرات الرعب تترقب الإعدام.. حيمان سيعدم اليوم ومن كان يصدق ذلك.. أتى اليوم الذي سيعدم فيه أفضل فرسان المملكة وأشدهم قوة.

حرص الكهنة على تقديم حيمان للإعدام قبل جنوده حتى يموت اليأس بداخلهم.. ولما سأل الكاهن حيمان العظيم عن التهم المسندة إليه أجاب بكلمات مقتضبة

. حيمان لا يموت بالسيف.. حيمان هو فكر وإيمان وعمل.. ومن ودّ قتله عليه أن يدحض أفكاره من عقول من يؤمنون به

ثم أضاف وهو ينظر إلى السيف ساخرًا:

. أسرع يا فتى أم أنك لم تتعلم استعمال السيف بعد

الحقيقة أن السيف فقد رابطة جأشه عندما كان بحضرة حيمان.. فمن يقدم على قتل الفارس حيمان!؟

ولما كان حيمان يبتسم إلى الجموع الواقفة.. كانت السهام تشق طريقها ناحية المنصة لتقتل جميع من فيها من جنود وكهنة والسيف.. رغم الحادث الأخير وزيادة الحراسة حول منصة الإعدام حدث الأمر ثانية.. ربما غباء الكهنة جعلهم يقدمون على تنفيذ أحكام الإعدام بذات الساحة الشرقية..

أبصر حيمان المثلثم فصار يركض خلفه غير عابئًا بقول البعض أن حيمان فرّ من منصة الإعدام.. ما شغله حقًا هو تتبع هذا المثلثم.. امتطى المثلثم الاسترية.. وتبعه حيمان بعدما امتطى آخر يخص أحد العامة وخلفهما بعض من جنود المملكة..

ركض حيمان خلفه والجنود تتبعهما فيدلف المثلثم الحقائق والغابات لتضليل الجنود.. وحيمان لا يكل عن ملاحقته.. تمكن المثلثم من تضليل الجنود لكن حيمان أضحى قريبًا منه بما يكفي كي لا يستطيع تضليله..

أيام كثيرة مضت وأنا مقيد بالقرب من شجرة قزمة وبالقرب مني بركة مياه.. لم أحسب الأيام.. ولا أعلم كم مضى من الوقت.. فكنت أكل الثمار وأدنو من البركة لأرتشف قطرات مياه ملوثة.. ولا أعلم سبب تركهم لي حيًا حتى الآن.. وكم المعاناة التي رأيتها هنا بهذا العالم لا يوصف.. مقيد اليدين.. بلا صديق.. ولا أحدث سوى مع نفسي.. ما يزيد سخطي هذه المخلوقات الدميمة القزمة.. ربما هي قردة هذا العالم.. يتشابكون بالأيدي.. ويسرقون الطعام من بعضهم البعض.. وعلى مرمى البصر من الغابة المترامية رأيتهم.. هم كثر ويملأون الأشجار.. عندما أتيت هنا من عالمي.. وأخبرني بعض الجنود بشأنهم ظننتهم مخلوقات أليفة بائسة.. ولما رأيتهم الآن أدركت أنهم حيوانات قاتلة فتاكة.. هم همج وحمقى.

يقترب مني هذا السيورنتي القصير ويكشر عن أسنانه المدببة.. لم أتبين أهي ابتسامة أم عبوس؟! ثم يمدد يمينه نحوي ببعض من الثمار.. لم التقطها منه فوضعها بجاني وجلس هو الآخر..

سويغات قليلة وغادر نحو شجرة بعيدة قليلاً وجلس تحتها.

وصل مارون القرية التي عبرناها.. وعندما رآها أمام ناظريه ترجل من الاسترية وذهب ناحية الأكواخ المترابطة.. فلما وصل راح يسأل أهل

القرية عن صديقه شاكريم وعليرآن.. أخبروه أنهما كانا هنا.. ودله البعض على الذهاب إلى السيد ميروان.. فذهب مارون.. وقابل السيد ميروان وبعد المصافحة جلسا بالقرب من كوخ السيد ميروان.

قال مارون:

. متى ذهبنا؟

. منذ أيام كثيرة أكاد لا أتذكر؟

. هل أخبراك أين سيذهبان؟

قال ميروان بعدما حرك رأسه يمنة ويسرة:

. لا.

. أشكرك.

همّ مارون لكي يغادر فصم السيد ميروان أن يقضي اليوم معهم في القرية ولم يشأ أن يتركه يمضي.. وسيعلو الضباب بعد ساعات.. ما فعله عليرآن وشاكريم من أجل القرية جعله ممتناً.

بأحد حدائق المملكة عبر المثلث بين الأشجار والتف مرات وحيمان يتبعه.. فسعى المثلث لتضليل حيمان ولكن حيمان أبي أن يتركه.. ألتف المثلث حول شجرة كبيرة وخلفه حيمان.. ودنا منه بقدر كاف كي يلحق به.. فقفز من الاسترية الذي كان يمتطيه فوق جسد المثلث ثم طرحه أرضاً..

أراد حيمان أن ينزل عنه وشاحه ولكن المثلث كان يستبسل حتى لا تكشف هويته.. راح حيمان يكيل إليه اللكمات المتتابعة.. والمثلث يتفادها عندما كان مسجياً على أرض الحديقة بالقرب من الشجرة وحيمان فوقه..

فصاح المثلث:

.توقف يا حيمان. ليس بي وبينك عداوة

. من أنت؟

.أنا من جند ميسلان أحب الحق مثلك.. فلا تكشف ستري

قال حيمان واجمأ:

.يخيل إلي أنني أعلم من أنت!

.الأرواح الطاهرة تتلاقى بكون ميسلان وإن لم تتقابل

فابتسم حيمان قائلاً:

. لا أريد أن أعلم من أنت يا فتى.. أحسب أن قلبي سيدلني قريباً

بحقيقتك.. انحنى المثلثم محيياً ثم أردف:

. أرجو من العظيم حيمان ألا يحاول أن يبطش بي ثانية فأنتي لست

عدوًا لك.. وأسعى إلى ما تسعى إليه

ثم تابع وهو يمتطي الاسترية:

. استأذنتك في المغادرة

لم يتحدث حيمان ورمقه بجمود بينما مضى المثلثم في طريقه

لم يغادر مارون القرية وجلس بها لأيام.. فلا أعلم.. أتردده ما دفعه إلى

ذلك؟ أم توطد علاقته بالسيد ميروان على مدار أيام.. ولما علم مارون

عن مكان جلوسنا قبل مغادرتنا صمم على الجلوس بذات المكان.. فكان

يحضر ليلاً ويجلس برفقة السيد ميروان.. وعندما كانا جالسين بالقرب

من الأكواخ الخشبية عند علو الضباب انتهى مارون من تناول طعامه ثم

استطرد قائلاً:

. ما رأيك بالفارسين؟

قال ميروان:

. تقصد السيد شاكريم وعليرآن

. نعم

. رائعان.. لم أر من هم ببأسهما من قبل

فأردف مارون ساخرًا:

. سيد ميروان أنت لم تحارب قط حتى ترى الفرسان

فصمت ميروان هنيهة ثم قال:

. ألا تعدو قصة وادي سيال هذه انتحار.. ما بالك بما أراه السيد

شاكريم عندما قرر الذهاب إلى مملكة الغوال.. ماذا يريد من هناك؟

. يقتص أخبارهم ويعلم المكائد التي تُحاك ضد مملكتنا

فقال ميروان بحماس:

. أهو من رجال الجيش؟

. لم يدخله قط

فأضاف ميروان ببلاهة:

. إذن ما شأنه بذلك؟

. شأنه شأن من أراد الحق وبحث عنه غير الذي فضّل الجلوس

والاختباء من عدو يعلم أنه قادم ليجهز عليك وينتظره

أوماً ميروان رأسه وقال:

. صدقت

قال مارون متأثرًا:

. أريد أن أخبرك بقصة بشأن أحد الأصدقاء.. وأريد أن استمع إلى رأيك فيها
أخبرني.

فشرّد مارون قليلاً وهو يستحضر قصته ليخبرها للسيد ميروان.. لم يشأ مارون أن يخبره أنها قصته.. وربما ميروان أول من يخبره بقصته.. ولم يخبر بها صديقه شاكريم فقد نساها أو ظن أنه نساها.. لما رأى ما فعله شاكريم واستبساله حتى ينال من يحب تذكر كل شيء.. فأراد أن يحكي إلى أحدهم ولم يجد أمامه سوى السيد ميروان.. هو بلا شك يعشق الحديث وثرثارولا يمل من سماع الآخرين..

"قصة مارون"

ربما عندما يكون لدى البعض شيء يلممه أن الغد سيكون أفضل يسعى حينها جاهداً أن يفعل شيئاً عظيماً في حياته.. هذا ما ظن أنه سيحدث.. عندما أقصص عليك نبأ ذلك الفتى ستتعجب مما فعل.. ولد فقير مدقع وعمل منذ الصبا قبل أن يلتحق والده بالجيش.. ويعمل كدليل ويعلمه بعضاً من علمه.. ربما تغير حاله قليلاً فأصبحت الأسرة ميسورة الحال.. ورث علم الفراسة والدليل من والده.. وطلب منه والده أن يعمل كدليل بالجيش ويحصل على أموال كثيرة.. فبعد مرض الوالد وملازمته للبيت قل الدخل لكن الخوف من أهوال الحرب جعله يخشى أن يعمل بالجيش.. ومضت الأيام واشتد مرض الأب.. فعمل كحمال ليلاً نهاراً.. كان يمكنه أن يجمع المال إن التحق بالجيش لكنه رفض وفضل عمله كحمال.

ومضت أيام قليلة حتى وجد العشق الذي بحث عنه طويلاً ولكنه لم يملك ثمن كوخ زواجه.. فعمل أكثر ولكن جنى القليل أيضاً فأصبح بين نارين مرض أبيه وعشقه.

هنا كان عليه الاختيار أما أن يعمل بالجيش ويصبح كدليل وأما أن يظل على حالته فيرى كل شيء يضيع من بين يديه.. لم يستطع العمل بالجيش ولكنه أراد أن ينال الحب الذي حلم به.. حاول الاعتداء على حبيبته فخرها وأغضب ميسلان العظيم ولعل ميسلان عاقبه بفقدان الأب بعدها.. أصبح وحيداً بلا هدف في حياته فقط يعمل لأجل أن يحيا..

وما لم تغيره الظروف الكثيرة يكفي لشخص واحد تأخذه كقدوة وتتغير شمائلك.. ربما لا يخاف الآن من الحرب أو الموت.. ربما رأى شخصاً لديه قضية مؤمن بها فأمن هو الآخر.

وربما تجاربه جميعها جعلت الإناء ينضح بما فيه ويخرج ما حمله سنوات طويلة فتحرر من خوفه وقرر أن يتغير.

قال ميروان:

. من هو هذا الشخص الذي أثر به؟

. لا أعلم من هو

فأوماً ميروان رأسه وقال:

. رائع أن تتغير ولو بعد حين

ثم تابع:

. لكن من لم تغيره مصيبته في أبيه وفقدان حبيبته.. هل سيتغير لأجل

شخص يحسبه قدوة؟!!

أردف مارون غاضباً:

. لكنه كان على صواب في تجنبه الحرب

. حقيقة ولكن هو تجنبها لخوفه ليس لإيمانه بأنها خراب

ما زلت قابعًا عند الشجرة الكبيرة لأيام.. ولكن هذا السيورنتي القصير كان دائمًا ما يجلس بجاني ويناولني الثمار والمياه.. على مرمى البصر أرى جموع السيورنتاس لكن عند الصباح يختفي الجميع.. وأترك وحدي مقيدًا بقوة في الشجرة الكبيرة.. السيورنتاس كانوا يرفعون جسدي عليًا قبل تركي وقبل اختفائهم.. ربما خشية على من مخلوقات الغابة.

بقى هذا اللغز المحير أين يذهب السيورنتاس في الصباح.. وما أراه من هذا السيورنتي القصير بدأ العبث بنفسه.. فتساءلت مرات عن حقيقتهم أهم حيوانات أم ماذا؟!.. كيف يفكرون؟!.. ربما السيورنتي لديه طفرة جعلته ذكيًا قليلًا.. ما كان يبدر من أولئك القوم لا يوحي بأي ذكاء.. غير هذا السيورنتي القصير الذي أعطاني الطعام مرات دون علم قومه بذلك.

مضت أيام كثيرة هنا بهذه الغابة لم أعد أحسب الوقت.. لمّ لم يقتلني السيورنتاس؟! ولمّ لم يتركوني أمضي وشأني؟!.. جميعها أسئلة أرهقتني ولم أجد جوابًا في نفسي.. ارتضيت أن أعيش بين هؤلاء القوم حتى يتضح لي ما يحدث..

بالحديقة النائية أقصى غرب مملكة اليكسارنه وعلى أطرافها وقف حيمان أمام جنوده المصطفين ليخطب بهم بشأن ما حدث وإنقاذ المثلثم لهم.. كان حيمان بين نار المغادرة والبحث عن إتمام قضيته بالعالم.. وبين المكوث بمملكة اليكسارنه والخروج ليقترض الأخبار ليلاً عندما يعلو الضباب.. حيمان الآن مطارد أكثر من أي وقت مضى.. متهم بقتل الكهنة والجنود والهروب من المحاكمة العادلة.. هذه التهم تكفي كي يصدر الكهنة أمر خلوده بنار ميسلان.. هنا لا تباع صكوك الغفران.. ولا يعطيا الكهنة سوى لمن ينفذ الأمر.. الأمر فقط وإن مضى بك نحو سوء المصير.. لم يصاب حيمان بالجزع وكعاداته لا يكل عن التفكير بكل شيء.. حذر هو.. لكن الآن بات أكثر حذرا.. فلا بد أن يفكر مليًا قبل أن يقدم على شيء ربما يضر جنوده.

كان شاردًا بأمر الجنود ربما يمضي بمن يتبعه نحو الهاوية وما طلبه منه شاكريم لم يكن سوى ما أرادته لسنوات طويلة.. غرور حيمان رفض أن يجعل من شاكريم أفضل منه.. كيف وشاكريم ذهب في رحلة قاسية وربما تكلفه حياته!.. كيف يهاب حيمان حماية الشعب؟!.. لم يخلق حيمان هكذا..

نظر أمامه يرمق الجنود المصطفين وبالكد أنهما تدرباتهم.. فأومأ رأسه وهو ينظر إليهم بعمق ثم قال:

. لا أريد من أحدكم أن يتبعني إن بقى في قلبه مثال ذرة من الخوف.. حيمان لا يختار مصير أحدهم

فأراد جندي أن يتحدث نظر إليه حيمان بعمق.. فصمت الجندي وتابع حيمان:

. مصيركم ملكاً لكم يا أحبتي.. ربما ما مررنا به ودنونا من الموت جعلني أعيذ الحسبة.. حيمان كان بين فكي الإهانة كما لم يكن من قبل.. لا يهم أمر الموت فحيمان خلق لكي يكون بين فكيه.. ولو أراد الموت من قبل النيل من حيمان لفعل وهو بين فكيه دائماً

. إن اتبعتموني فأعلموا أن الموت سيرافقكم أينما ذهبتم.. وربما يدنو منكم بقدر لم تتوقعوه.. ولكن إن صحبة حيمان فيما هو قادم تعني القليل من السؤال الكثير من الفعل

. اليوم اختاروا مصائرهم.. وأي ما كان قرار بعضكم فهو يرضي حيمان

صاح الجنود مردين اسمه وأشهرها سيوفهم فابتسم حيمان برفق.

بعد مضي وقت كبير.. الحقيقة لم أحسب الوقت بالضبط.. ما مررت به وحياتي بين هذه المخلوقات المقيتة جعلاني في حيرة من أمرهم..

وكم من مرات حاولت الصياح فيهم وكأنهم يسمعونني.. هكذا كانت تمضي بي الليالي بغابة السيورنتاس.. لم أكن أعلم حينها ما يحدث بالمملكة.. كم اشتقت إلى حبيبي لوانا.. ونصائح الفارس حيمان.. مارون افتقدته كثيرا.. فأصبحت حبيس هواجسي ومخاوفي.. ليست مخاوف الموت من السيورنتاس.. بل مخاوف على أحبتي ومن افتقدتهم بمملكة اليكسارنه.

الآن الكهنة يتحكمون بكل شيء تقريبا.. والرحلة التي حسبها هينة كانت أصعب مما أتخيل.. أنا شاكرهم كما يقولون من أراد أن يغير بعض مما يحدث حوله.. ولكن الأمر كان صعبا.. وبكل منا فارس حتى وإن بدا فاسدا.. جميعنا نريد أن نتارقصتنا بالمجالس ولكن..

ما حدث برحلي جعلني لا أصل إلى غوال الحسنات.. فقد أسرني أولئك القوم.. ولم يكن في حسابي هذا الأمر.. لا أعلم ماذا كنت سأفعل عندما أصل إلى مملكة الغوال.. ربما حركتي قلبي نحو هاويتي وهي أسر السيورنتاس.

مازال هذا السيورنتي الصغير يجلس بجاني ويناولني الطعام والماء.. عاملته كحيواني الأليف وشعرت بحبه لي أيضا.. ولما مضت الأيام هنا بدت الأمور تظهر جلياً أمام ناظري.. فرأيت السيورنتاس يتشابهون معنا نحن البشر كثيراً.. وما بدا منهم من سلوك عنيف تلاشى مع الوقت.. كانت عيني تدون ما يحدث وقلبي يتحدث.. ربما أخبرني مرات أنهم بشر مثلنا.

في بادئ الأمر شعرت بأني أهوج ولكن زاد يقيني بأنهم مثلنا.. رأيت أولئك القوم يتسامرون ليلاً ويتحدثون.. لم أفهم ما يحدث ببادئ الأمر وفي أحد المرات بينما أنا مقيد ويجلس أمامي جمع من السيورنتاس يجلسون بشكل دائري ويضحكون ببلاهة تغير كل شيء..

سمعت بقلبي أم بأذني ما يقولون وقال كبيرهم:

. لقد طال أسره يا رفاق.. لا فائدة منه أطلقوا صراحه.. فلنخبر القائد بذلك

ثم تابع ضاحكًا:

. إن شيمف الأخرس يريد مصادقته

ضحك الجمع ثم قلت:

. يا هذا هل تتحدث عني؟!

نظر الجمع لي بعين جزعة وفزعة.. ثم قال كبيرهم متعجبًا:

. هل تدرك ما نقول؟

. نعم

قام من مجلسه واقترب مني وجحظت عيناه ثم قال:

. كيف هذا؟! من أنت يا رجل بحق ميسلان!

. أنا الفارس شاكريم بن ملدن جند من جنود مملكة اليكسارنه ولا أتبع الهوى ولم أتبع الكهنة..

فك وثاقي وأردف:

. اتبعني يا سيد شاكريم فهناك من يريد أن يراك

وبمملكة اليكسارنه كان الفارس حيمان يخوض معارك دامية مع الكهنة وجنودهم.. بل فاق الأمر ذلك.. فبدأت العصابات المسلحة تشق طريقها نحو المملكة وعاثوا بها فسادًا على مرأى ومسمع من القائد مراند وكهنته.. بل أن بعضهم حاول تجنيدهم بالجيش الكبير كمرتزقة والتهبت الخطب الحماسية في صدور الناس.

أطلق الكهنة صفير نهاية العالم وقالوا إنها المعركة الفاصلة.. كون
ميسلان الآن يوشك على نهايته.. ومملكة اليكسارنه لا بد أن تصبح جنة
ميسلان ويصبح شعبه المختار.. وما أروعها قصة ملققة لتلهب حماسة
الشعب المنتشي بالوهم..

رأى الفارس حيمان المثلث مرات ولكن تركه وشأنه.. بل حياه كثيرًا
وقاد المثلث أيضًا جمعًا من الشباب يحاربون العصابات المندسة في أروقة
المملكة وطرقاتها.

عبرت مع السيورنتي مسيرة ليست بالقليلة.. ومن ثم عبرنا خندقا كبيرا.. لم أتبينه من قبل.. ولربما هو درب من السحرام هي طقوس هذه المخلوقات.. هم يعرفون كيف يخفون أماكن وجودهم ولما وصلنا إلى نهاية الخندق كان هناك ممرات متعددة.. فعبرنا واحداً على يميننا وسرنا به مسافة كبيرة نحو الأسفل في ممرات صخرية متعرجة منحدره.. ومن ثم رأيت مدينة كبيرة.. فغر الفاه من الدهشة وقلت لهذا السيورنتي

. ما هذا يا رجل؟

. هذه مدينتنا

قلت متعجباً:

. كنت أحسب أنكم حيوانات متوحشة

فابتسم قائلاً:

. ستعلم كل شيء بوقته..

ومضينا معاً بأروقة المدينة الكبيرة فكنا نهبط نحو الأسفل تبعاً ونصعد.. وكنت أرمق المباني الصخرية حولي بعجب.. مبان صخرية مكونة من طوابق متعددة جميعها صخرية ونوافذها خشبية.. مخلوقات السيورنتاس بادلتي نظرات العجب وتجمعوا حولنا.. فرمقهم السيورنتي بثبات.. ثم غادروا.. وبعد مضي حين من الزمن رأيت قصراً صخريا عملاقاً لم يكن كقصر مملكة اليكسارنه ولكن قصر ضخيم أيضاً.. لم يكن هناك جند يحرسونه.. وكانت أبوابه مفتوحة على مصراعها.. فلما عبرنا الباب سألتنا السيورنتي الجالس على كرسي صخري على يسارنا عن جياو ثم أشار بأصبعه ناحية مخلوق منهم يجلس على أرضية القصر بعيداً بمسافة قليلة عنه

لما دنونا منه حياه مرافقي وقال:

. جياو أنه هنا

فابتسم جياو قائلاً:

. هل تعي ما قلتة؟

فقلت بازدياء:

. شاكريم بن ملدن يا سيورنتي

فأوما رأسه وقال:

. لا يهم اسمك.. ولا تحاول التصنع مثلهم.. فأنت تعلم من نحن.. ولولا

أن قلبك نقي لما علمت

ثم أشار لي بالجلوس مبتسماً:

. أجلس يا سيد شاكريم

وأشار لمرافقي فغادرنا

بالحديقة النائية عند علو الضباب مشى حيمان شاردًا بخواطره بأمر المملكة والحروب الطاحنة. وفكر ملياً في أن يجد سبيلاً لحل ما يحدث بالمملكة.. مطارده هو ولولا قضيبته لسلم نفسه للكهنة.. لكن حيمان اعترف أخيراً وتنازل عن غروه.. اعترف أن الكهنة لا يمثلون العدالة.. فلم يذهب إليهم ويطلب محاكمته.. وكأنما ساقته قدماه وغفلت عيناه.. فمضى كثيراً وابتعد عن معسكر الجنود.. بل مشى مسافة شاسعة.. وكان أحدهم يتبعه.. فاستدار بحثاً ولم يجد أحداً.. فقال بصوت أجش

. اخرج فإنك سالم

خرج المثلثم من خلف شجرة وقال بود:

. سيظل العظيم حيمان كأنه يرى كل شيء

ثم أضاف وهو يقترب منه منحنيًا:

. أتيت إليك محيياً.. وقد أرهقتنا الحروب التعيسة بمملكتنا

فقال حيمان:

. وماذا سنفعل؟ إن الحرب تستبيح وتقتل نساءم بنفوس عاجزة

فقال المثلث بأسى:

. ولرب هجرة عن ممالك زائلة أفضل من حرب نعرف نهايتها

قال حيمان بغضب:

. منذ متى وحيمان يهرب؟

قال المثلث بود:

. لما لا يهاجر من أراد الحق مع جنودنا.. إن حماية مملكتنا وكوننا تأتي

من خارج الباطل

اقترب منه حيمان وجذبه بقوة:

. أين الباطل يا رجل؟

. هنا يا حيمان باليكسارنه

قال واجمًا:

. اليكسارنه ليست باطلا

. علمنا حيمان أن الباطل واضح للعيان.. ومن يحكم اليكسارنه الآن

الباطل فلم لا يهاجر

قال حيمان متعجبًا:

. علمنا حيمان.. من أنت؟

فأزاح المثلث كاشفًا عن وجه وقال مبتسمًا

. تلميذ للعظيم حيمان

. كورماو

قال مبتسمًا:

. نعم يا سيد حيمان.. كانت وصية شاكريم أن أتبعك كالظل ولا تراني
ولا أشتبك.. شك أن تتعرض لشيء ما وكأنه علم ما سيحدث

جلس حيمان على أرض الحديقة تحت شجرة عتيقة.. وجلس أمامه
كورماو

تابع حيمان:

. أتيت لتطلب مني مغادرة المملكة

. سيد حيمان إن الكهنة أشعلوا الحرب.. وسيمضي العالم نحو
نهايته.. فدورنا الآن نصحب من هاجر.. ونذهب إلى القرى الفقيرة
لنخبرهم بما يحدث.. فنكون جيشا ذا عقيدة يريد الحرب لأجل الحق.. لا
لأجل فناء كوننا

ابتسم حيمان وأردف:

. دعنا نرى الأمر فيما بعد.. ارتدى قناعك يا كورماو.. ولا تظهر وجهك
لأحد ثانية أنت أوجالك

عندما جلست بالقرب من جياو قال مبتسمًا

. أنا حاكم هذا الشعب.. ونحن لا نسمى السيورنتاس.. بل نحن بشر
مثلكم ولكن أقزام. الكهنة كانوا يسخرون منا ولذا نحن نعامل من
الشعوب الأخرى كدواب

قلت ساخرًا:

. كيف إذن لم يعلم الناس أنكم تتحدثون مثلهم؟

. هذا بفضل الكهنة

فأردفت متعجبًا:

. كيف ذلك؟

. ميسلان خلق أرواحنا تتلاقى وتتحدث.. وبين كوننا وبيننا اتصال..
لكن الكهنة رسخوا مع الوقت فكرة عدائيتنا.. فأبينا أن نكون معهم
واختارنا العيش بعيدًا عن أهوال حروبهم
قلت:

. تعي أن بيننا وبيننا الجماد وبين الجميع تواصل

. لقد خلق ميسلان الجماد متحدًا.. ولكن قليلا من يدرك.. وخلقنا
كذلك جميعنا.. لكن الكهنة رسخوا فكرة أنه لا يمكن التواصل سوى
بين البشر فقط.. ونحن لسنا بشرا كما يروننا لذلك لم يستطيعوا
الحديث معنا

تساءلت وقلت:

. لماذا فعلوا ذلك؟!

. إنها قصة طويلة

. دعني أعرفها

"شعب الأقرام"

كنا نعيش بسلام جميعنا قبل قدوم الكهنة.. ونحن كالجميع لا نعلم
متى قدم الكهنة.. قبل الكهنة عاش عالمنا بسلام وتبادلنا الموارد
والعلاقات الطيبة مع الممالك جميعها.. قادنا أميرنا الأمير سيش نحو
عصور رائعة.. ولكن بعد الشروق الثامن.. وظهور الكهنة تغير كل شيء..
لقد خيرنا بين أن نتبع الكهنة ويصبح لدينا كهنتنا أيضًا.. وبين أن نشترك
بالحرب وإما نصير غير منتمين إلى هذا العالم.

الحقيقة كان الأمر صعباً علينا.. وفي نهاية الأمر لم نشترك بحرومهم.. ولم تكن لدينا كهنة أيضاً.. بعد مرور أعوام قليلة بدأت الكهنة تثير الباعث في نفوس الناس على أننا ندعى مخلوقات السيورنتاس.. وأننا قتلة متوحشون.. ولا نمت للشعوب بصلة.. هربنا وبعد مضي سنون أصبحنا مخلوقات السيورنتاس الهمجية.. والجميع يرانا نحن كدواب متوحشة.

كنا نحاول أن نظهر أمام الجميع كدواب حتى لا يفترسوننا.. كما تعلم الحرب تدور والحل أن تصبح قويا في نظرهم.. ولكن نحن بنينا مدننا بعيداً عن عالمهم.. وعشنا حياة طيبة لا نرجو منها سوى رضا ميسلان.. وما دمت ترى أن الشيء أمامك لا يمكنه التحدث فلن تسمعه.. لذلك لا أحد كان يسمعنا لأنهم يروننا دواب.

قلت:

لما احتجزتموني؟!

الحقيقة أردنا تركك ولكن كنت ستموت

أردفت ممتعضاً:

إذن تخبرني أنكم أختيار واحتجزتموني لحمايتي؟!

فقال مبتسماً:

. سنتركك إن عبر أحد أفراد قومك الغابة ولكن لن نترك هكذا.. بل سنجعلك تهرب.. وتخبر الجميع عن همجية مخلوقات السيورنتاس.. لكن ما حدث غريباً حقاً.. أنت أدركت أننا نتحدث ولعل ذلك نابع من إيمان قلبك.. وربما آمنت أننا مثلكم بهذه الأيام التي مكثتها هنا

فأومأت رأسي مبتسماً ثم تابع:

.يمكنك المكوث معنا إن شئت

.أشكرك يا سيدي ولكني أريد المغادرة

.إلى أين؟

.مملكة الغوال

.دعنا نساعدك

لعل ما قاله جياو عبث بنفسه قليلاً.. وشردت بخواطري متذكراً حديث حيمان عن أنه آخر المنتمين إلى هذا العالم.. وكيف أنه يرى الألوان.. لعله تخلص من سطوة الكهنة.. وما عجبت له حقاً مقدار تأثير الكهنة في أولئك القوم.. وإقناعهم لهم بأنهم لا يرون الألوان سوى بعدسة اللون.. بل تأثيرهم عليهم وإقناعهم بأن قوم الأقزام هم مخلوقات السيورنتاس الهمجية.. وما فاق ذلك ما قاله حيمان من قبل عن تواصل كل شيء بكون ميسلان.. ولكن قليلون من يدركون ذلك.. هو طلب مني أن أستمع لسيفي وطننته يحفزني.. ولكن الأمر بات جلياً أمامي الآن.. هذه حقيقة هذا العالم.. الكهنة وصلوا من شدة إيمان الناس بهم وتأثيرهم بهم أن يكونوا عقائدهم ويجعلوهم يصدقونها.. لكن بعد ما علمته من جياو ماذا سأفعل؟!.. إن الأمر الآن فاق السحر.. بل هو عقائد مرسخة على مدار أعوام كثيرة بات أمر تغييرها مستحيلاً علي.. والحرب مثلها يا صديقي باتت عقيدة هي الأخرى.. إن كان علي إثبات أن ميسلان لا يريد الحرب لا بد أن أتصدى للكهنة.. ولكن كيف ذلك؟! ماذا علي أن أفعل؟! ربما قوم الأقزام لديهم حل المعضلة.. وربما لدي بعض من الوقت للمكوث بمملكتهم..

بالغابة النائبة عند علو الضباب وقف حيمان أمام جمع جنوده الغفيرة برفقة كورماو ورجاله المثلثين.. كان الرجال يقفون أمامه بساحة

القتال الفسيحة وتحوطهم الأشجار.. رمق حيمان جنوده بثبات.. ثم نظر إلى كورماو.. وعاد ينظر إليهم قائلاً

. أخواني وفرساني أدركنا أن مكوثنا بالمملكة لا يدفع الشر عنها.. وماذا سنفعل ونحن قلة.. ربما يأتي الغزاة بوقت ونجد أنفسنا نحارب في صف الكهنة منفذين إرادتهم في حكم المملكة والحرب المستمرة

ثم استطرد:

. هل سنمكث هنا لنحارب في صف الكهنة.. وددت إخباركم أن جيوشهم بلا عقيدة.. مخترقة الصف.. ونحن كم حاربنا من جنود خائنين.. فماذا عن القرى الصغيرة وماذا عما يحدث بالعالم؟ ربما لدينا فرصة تجنيد بعض من الأتباع وتكوين جيش ذي عقيدة يقاتل لأجل الحق.. جيش من المستضعفين.. جيش من الرجال الأقوياء.. جيش يحارب الغزاة.. ويحاول تغيير عقيدة الجند.. إن السلام خير لعالمنا

. لقد قررت المغادرة بحثاً عن الحق في كون ميسلان الفسيح.. غادر أخوكم شاكريم.. وغادر مارون.. واليوم سنحذو حذوهم.. من معي؟

أشهر الجنود سيوفهم لتحية حيمان وجنود كورماو أيضاً.. فابتسم حيمان برفق وأوماً رأسه بينما كان ينظر إلى كورماو

كلمات قليلة كانت كفاية لإخبار جياو بمكوثي معهم داخل مدينتهم.. الأمر أصبح غريباً حقاً.. فتبدل حال مخلوقات السيورنتاس أمامي إلى أقزام البشر عبث بعقلي.. وكلما ترسخ معتقد بداخلي بدأ يتغير.. ربما لم يفرق هذا العالم كثيراً عما أعتقد فهنا المعتقدات بعضها كاذب أيضاً.. وهناك فئة لعنت لأنها لم ترد تحقيق مبتغى الكهنة بإشعال الحرب بينها.. هذه فئة البشر الأقزام التي أثرت الهرب مما يريد الكهنة.. فلعنت وأصبحت مخلوقات عدائية كما تراها عامة الشعوب.. ربما بصيرتي

لعبت الدور الكبير في اكتشاف عظم هذا الهول.. وأصبحت مثل حيمان أفكر بقلبي ويقودني نحو حقيقة الأمور.

ولما مضت أيام كثيرة علي بغابة السيورنتاس وتعظم علاقتي بهم.. الحقيقة لم أجلس كثيراً مع القائد جياو.. بل انخرطت بين الشعب.. أما عن شيمف الأخرس فكان كظلي.. وأحبني كثيراً.. الحقيقة حيرت بأمر هذا القزم الصغير.. هو لا يجلس كثيراً مع أفراد قومه.. وأثر مصاحبتي بكل موضع أذهب إليه.. وما زاد دهشتي عندما علمت أنه مساعد لعالم يدرس تحولات الكون.. وأسباب اندثار شمس ميسلان.. فكان يعود من عمله ليجلس معي ولا يتحدث.. أحدثه فيوماً رأسه ببلاهة..

وبداخل أروقة المدينة أسفل سطح الغابة جلست مع رجل يدعى "ثيزس" من عامة الشعب.. دلني بعضهم عليه.. وأخبروني بحكمته.. كان كبير العمر.. مرّ عليه الكثير من قصص المملكة.. وحسبته راوياً.. ان قزماً صغيراً مثل الجميع هنا.. صاحب حكمة وكلمات قوية.. فأردت أن أسأله بشأن شيمف وشأن مصادقته لي.

أما عن مجلسنا كان بالقرب من البيوت المحفورة بالصخور.. وعلى متكأ صخري جلس ثيزس.. بينما جلست على الأرض الصخرية لصغر المجلس

قلت بود:

. سيد ثيزس إن شيمف يرافقتي كثيراً.. وقد بدأت أشعر بالضجر منه . شيمف لم يرافق أحدا من قبل سواك.. ونحن نشعر بالعجب مما يفعله

ثم تابع ساخراً:

. ألم يحدثك من قبل؟

. هو أخرس يا سيدي

. لا بل هو يائس

. من ماذا؟!

"يتبعون الوهم"

شيمف امتاز بالعبقرية المفرطة منذ نعومة أظفاره.. وكان رائعًا بكل شيء.. أعطى لنا تفسيرات جمة عما يحدث حولنا من حروب.. ومن مؤامرات تحاك.. بل أنه ساعد أيضًا في وضع نظام لحساب الوقت والتقويم بكون ميسلان هذا.. فضلًا عن ذلك كان محبوبًا من الجميع والفتى المدلل للقائد جياو.. لكن مرّدهًا من الدهر.. وبدأ يتغير كثيرًا عن ذي قبل.

تغيرت معتقداته وأراؤه.. وصار ناقمًا على أسلوب حياتنا.. فأمتنا لا تفرق كثيرًا عن مملكة اليكسارنه.. ولدينا من العلم أيضًا الكثير.. كيف نظل نختئ في الأنفاق.. كان يريدنا أن نظهر للعالم ونخبرهم أننا قوم عاقلون مثلهم.. بل نحن أفضلهم.. نحن لم ننجرف وراء الكهنة في حروبهم.. ولم نغضب ميسلان العظيم.. لكن الجميع رفض ما قاله.. فربما خوفهم من مواجهة البشر العدائين بالخارج.. وربما لأنهم أحبوا العزلة.. وظل شيمف يحاول جاهدًا وتزداد شطحاته.. مع مرور الوقت بدأ يفقد إيمانه بنا.

الأدهى أن الجميع فقد إيمانه به.. وطنناه مجنونًا.. أختار شيمف عزلته عن الجميع.. وظل سنون لا يتحدث مع أحد.. بل يعمل بكد فقط ويلزم أستاذه حتى توقف عن الحديث تمامًا.. ظنناه يرفض الحديث معنا.. ولكن طبيبه أخبرنا أن روحه فقدت القدرة على التواصل مع أرواحنا التي لفظته.. ولم تعطيه اهتمامًا.. وظل شيمف المسكين فاقداً للتواصل إلى اليوم..

قلت:

. إذن لم سألتني عن حديثه معي؟

. لأنه يرافقتك.. فربما روحه تحبك.. ويتمكن من التواصل معك

فأومأت رأسي ثم قلت مبتسماً:

. لم يحدث هذا إلى الآن

. لا تقلق ربما سيحدثك قريباً

. أشكرك سيد نيزس ربما نلتقي بالغد

فقال مبتسماً:

. أراك بالغد ليكن ميسلان برفقتك

بمملكة اليكسارنه جلست السيدة صاحبة الشعر الأشعث.. وددت أن
أنعتها بالعجوز الشمطاء.. ولكن صعب ذلك.. فالجميع هنا لا يكبر.. كانت
صاحبتنا شعناء الشعرات.. سوداء البشرة.. ممتلئة القوام ومترهلة
الجسد.. بينما جلست بصحبة فتيات دنا منهن القبح بالكثير.. وعيونهن
تشع غضب.. ثلاث فتيات قبيحات دميمات يجلسن بالمجلس الدائري قبل
علو الضباب بساعات قليلة.

قالت أقبحهن وهي تنظر إلى الشعناء:

. سيدة لجلالة هل تخبرينا بقصة الخادمة الهوجاء

فقالت ضاحكة:

. لقد لفظتها منذ زمن.. فلم نعود لسيرتها؟!!

فقالت إحداهن:

. دعينا نتسامر

ابتسمت لجلالة وقالت:

. سأخبركن على لسانها ما قالته

حدثتني لوانا ابنة سيسان عن حديث مولأه ابنة قيصرورم عن قصة

عجيبة

"الجارية المتزوجة"

قالت صديقتي مولأه قصة عجيبة.. ربما لم يسمع بها أحدهم من
قبل.. عن جارية تزوجت من تاجر وأنجبت منه طفلا.. ولكنه لم يعيش

كثيرًا لأنه ملعون من ميسلان العظيم.. الجارية تدعى روفالية.. وهي خادمة لأحد قادة الجيش.. وكان قائدا حاد الطباع.. وقوي الشكيمة.. تردد عليه التاجر عيصما كثيرا.. فكان يجلب له الحلي والأزهار النادرة.. ويبادلها بها.. وعلى مدار ثلاث سنوات من كون ميسلان تعددت اللقاءات بينهما وزاد ولعه بروفالية.. يتسامران ويخرجان معًا كثيرًا.. وكعادة الرجال يعشقن الحسن.. فحبها وزاد ولعه بها.. وكان بين عيصما والقائد رهانًا على زهرة برية شديدة الندرة.. فقال له القائد إن تمكن من إحضارها له سيعطيه أي شيء يطلبه مقابل هذه الزهرة.. وكان عصيما وجد ضالته.. فجال العالم بحثًا عن هذه الزهرة.. غاب عامين وعاد بالزهرة.. وبالطبع كانت المفايضة بروفالية.. وافق القائد أن يبادلها روفالية بزهرته.

ترك عيصما اليكسارنه هو وروفالية وعاشا سويا إلى أن تزوجها.. وأنجب منها ولدًا.. ولم يعيش الولد كثيرًا.. مات الولد وحزن عصيما حزناً شديداً لموت ولده.. فكان يجلس أمام مدخل الكهف الذي يقطنانه كثيرًا يبكي.. لم يدم أمره كثيرًا حتى علم أن ميسلان يلعنه.. وترك زوجته روفالية الحبلى وعاد يسلم نفسه لمحاكمة الكهنة. فعادت الكهنة تبحث عنها ولكنها اختفت.. ولا نعلم عنها شيئًا إلى الآن لكن نعلم أن عصيما تم إعدامه..

قالت إحداهن:

.لماذا قصت عليك هذه القصة الكاذبة يا سيدة لجلالة؟

فقالت لجلالة ضاحكة:

.لوانا أحببت أحدهم.. وكانت تخبرني بهذه القصة لتمني نفسها أن من الممكن أن تتزوج الجارية.. وكنت أستمع لما تقوله.. وأنا من شجعته على هذا الأمر

ثم أضافت بحنق:

. الجاريات حمقاوات.. يظن أن هذه القصص حقيقة.. لقد طردتها منذ أشهر.. ولا أعلم عنها شيئا خفت أن يكشف أمرها فأصير ضحية حماقتها.

فقالت أخرى:

. من الذي أحبته؟

قالت لجلالة:

. فارس قوي من الشمال يدعي شاكريم.. كان من تلامذة حيمان الخائن.. وهذا الفارس ترك المملكة منذ زمن ولا نعلم أين ذهب

ثم تابعت أخرى:

. خير ما فعلت يا سيدة لجلالة.. فتلامذة الخائن حيمان لا يؤمنون.. هذا الرجل عصى الكهنة.. وأخذ رجال المملكة وتركها بحروبها.. قال الكهنة أنه يعد جيشا لمحاربة اليكسارنه مع الكلدان والغوفال والغوال والشعوب الأخرى

أضافت لجلالة بأسى:

. كان عظيماً ولكن الثروة جعلته يريد محاربة مملكته لأجل الحكم والمال.. لعنه ميسلان هو وتلامذته

مضى حيمان برفقة فرسانه بطريق صخري.. ولاح شيخ القرية الصغيرة أمامهم.. غادر حيمان مملكة اليكسارنه برفقة فرقة المثلثين وزعيمهم كورماو.. وأيضاً بصحبه فرسانه.. الحقيقة قبل أن يغادر حيمان المملكة جند بعضا من الرجال أصحاب المبادئ من الجيش وعامة الناس.

وعندما عرض حيمان الأمر على الناس لم يجد من الترحيب سوى القليل.. وذلك ما زاد تصميمه على المغادرة.. فقد تأكد من جهل شعب اليكسارنه.. وبينما كان يمضي حيمان راكبًا دابته وجاره كورماو دون أن ينتزع قناعه شرد بخواطره وقال محدثًا نفسه:

لقد مرت أيام كثيرة يا حيمان ولم تجند سوى القليل من الأتباع.. يبدو أن الخوف يأكل إيمان الناس.. أعلم أنهم يدركون قرب الموت لكن حب الحياة جعلهم يخافون.. أظنك تبحث عن وهم يا رجل.. ماذا ستفعل وقد ابتعدت عن مملكتك كثيرًا.. وصرت مطاردًا من جنودها.. لقد عبرت الصحاري ومررت بقرى كثيرة نحن سبعة آلاف الآن.. ربما هو رقم ضئيل لكنه أفضل من لا شيء حتى لا يقال فشل حيمان.. لا أظن أن حيمان فشل من قبل.. ولكنه لم ينجح أيضًا

قطع كورماو خواطر حيمان الجمّة وقال مداعبًا:

. ألم يكف فارسنا العظيم عن الشرود؟!

فقال حيمان بأسى:

. ألم يحن بعد لصوتك خفوت؟!

. أنا صامت يا سيد حيمان.. وقلّت كلماتي كثيرًا.. لكنك لم تعد تريد

أن تستمع سوى للصمت.

فقال حيمان:

. يا رجل الصمت كلام.. ولا يفهمه سوى نقي القلب

. وإن قلت لك إنني لا أفهم صمتك

. لن أقول إن قلبك غير نقي.. ولكن سأقول إنك لا تحبه

فقال كورماو بغير اكتراث:

. افعل ما شئت

صمت حيمان قليلاً ثم قال:

. كورماو إن صمتي زاد لأن عقلي شُغل بأمر الوطن وما يحاك.. وقلبي
تعلق بذرات الثرى باليكسارنه.. وكلما أردت الحديث تذكرت مهمتنا
المستحيلة.. بل لا نعلم أيضاً متى سيحين موعد الحرب

. لدينا قضيتنا يا سيد حيمان.. يكفيننا أن نؤمن بها وكفى

. الإيمان وحده لا يكفي.. لابد من وجود سبيل

. هذا سبيلنا

ثم أشار كورماو ناحية القرية التي تقع على مرمى البصر وتابع:

. لنكمل ما بدأناه يا قائد

بينما كنت أجلس ليلاً بداخل مدينة أقزام السيورنتاس.. وقد
ابتعدت بضعة مترات عن قصر القائد جياو.. فقادتي قديمي بعد المشي
الكثير والتسكع بأروقة المدينة إلى متكأ صخري.. وكان قصر جياو على
يساري.. شردت بخواطري عما يحدث بكون ميسلان هذا.. وعن علم
مخلوقات السيورنتاس الذي رأيته.. هم وجدوا طريقة لحساب الوقت
والزمن هنا.. ولديهم من العلوم ما فاق علم اليكسارنه ذاتها.. لعل علمهم
ما دفعهم لتجنب الحرب.. وكلما زاد العلم كلما ابتعد الإنسان عن
الجهل.. والحرب هي قمة الجهل والضلال.. الجميع هنا متساوون.. جياو
القائد يجلس برفقة شعبه.. ولم ألاحظ أي اختلاف بينهم على نقيض ما
رأيت باليكسارنه.. ولأنني بحثت يوماً عن سبيل لمساعدة هذا العالم.. ولا
أعلم ما دفعني لتحمل هذه المسؤولية.

ولما زاد شرودي بخواطري حتى أنني انعزلت تماماً عن حاضري..
وجدت القائد جياو يجلس بجاني على متكأ.. فابتسمت له قبل أن
يتحدث.

.لم أرك منذ أيام يا سيد شاكريم

فقلت مبتسمًا:

.لعل هناك ما يشغلني يا جياو

فأضاف مازحًا:

.هذا ما حسبته أيضًا

قلت ساخرًا:

.وما سيشغل غريب عن داره بأرض غريبة

.ربما أراد أن يستكشفها

قلت بأسى:

. ما يشغلني حقًا أمر اليكسارنه.. ولم أخبرك من قبل بقصتي.. ولماذا

أردت أن أمكث بمدينتك قليلاً

. اعتبر نفسك بأرضك يا سيد شاكريم

. دعني أخبرك ما دار معي لعلك تساعدني.. فما وجدته في شعبك الأبي

في هذه الأيام.. والعلم الذي لديكم يجعلني أطلب منك العون.. وأعلم

أنك ستساعدني

. بالطبع سأفعل..

ثم قصصت عليه ما دار معي بمملكة اليكسارنه.. وأمر لوانا وكنز

كمور.. والمؤامرات التي تُحاك ضد مملكة اليكسارنه.. قصصت عليه ما

أصبح عليه العالم بالخارج وتنبؤ الكهنة بنهاية العالم.. وما شعرت به من

واجب فُرض علي لحماية المملكة.. وكلما قصصت زاد الأسى على وجهي..

ولم يكن جياو أفضل مني حالًا.. بل أن قوم السيورنتاس عاطفتهم أقوى

منا وزاد بكأؤه ونحيبه.. الحقيقة لم أعرف كم مضى من الوقت ونحن

جالسين نتسامر. فالقصة أخذت من وقتنا الكثير.. وكان جياو منصتًا
بهم لها ويتألم.. كأن ما يحدث يمس قلبه ويزيد هواجسه من الحرب.

دنا حيمان ورجاله وفرقة الملتمين من الأكواخ المتراصة بالقرية..
وسرعان ما خرج بعضهم من الأكواخ وزادت الأصوات المنددة بالخوف
وزادت نداءات الاستغاثة.. ببائئ الأمر ظن أهل القرية أن الجيش الذي
حضر أمامهم قادمًا للغزو والفتك لاسيما فرقة الملتمين التي تثير الرعب
بنفوس من يراها.. ولما اقترب حيمان من أحد الرجال.. وكان رجلا مفتول
الجسد أبيض البشرة وطويل الشعر.. رجلا بدا عليه اليأس والقوة حتى
أن الجيش الذي أمامه لم يجعله يحرك ساكنًا.. وقف الرجل أمام
حيمان ونظر إليه بعين ثابتة ثم قال

. أتيت غازيا أم مساعدا؟

قال حيمان بود:

. حيمان لا يغزو.. ولا يا خذ ما ليس له

فقال الشاب بذهول:

. الفارس حيمان بحضرتنا

. نعم ما اسمك يا فتى

. أنا جواين من شباب القرية

قال حيمان:

. أين كبير القرية؟

. أنه مريض بفراشه.. ولكن يمكنك أن تخبرني ما شئت

. جئنا نعرض على فتيانكم الانضمام إلينا والتدريب معنا

فقال الفتى:

.وما المقابل؟

. لقد سطر الكهنة نهاية العالم.. وأنتم لستم بمنأى عن الإبادة.. فإن
انضممتم إلينا وحاربتهم معنا.. ربما نستطيع أن نجابه ما يحدث

قال الفتى بود:

. يسرني أن أصير من رجال حيمان.. ولكن قابل كبير القرية.. لربما له
رأي آخر.. وأنت تعلم ما يقال بشأن العظيم حيمان من الكهنة

قال حيمان غير مكترث:

. لا يهم ما يقال.. نحن نفعل ما نراه صوابا

. سأخذك إليه يا سيد حيمان

تبع حيمان وكورماو الفتى جواين نحو كوخ كبير القرية.. بينما وقف
الرجال بعيداً ينتظرون ما سيحدث بعد ذلك.. دنا الفتى من الكوخ
ودلفه.. ثم عاد وأخبر حيمان أنه يمكنه أن يلقي كبير القرية.. عندما دخل
حيمان الكوخ برفقة كورماو.. ويتقدمهما جواين أبصر حيمان كبير القرية
نائماً على فراشه.. وقد بدا عليه الإعياء الشديد. فابتسم حيمان برفق له
وهو يرمقه بنظرات عطوفة وبادله الرجل الابتسامة..

فقال حيمان:

. هل أخبرك جواين ماذا أتى بنا إلى هنا؟

فقال الرجل:

. نعم يا حيمان.. ولكني ليس لي سلطان عليهم.. فلتسأل من تريد أن
ينضم إليك

أردف حيمان متعجبًا:

. عندما مررنا بالقرى سمعنا ما قلت تَوًّا.. ولم ينضم إلينا الكثيرون..
نعلم أنكم لا تريدون الحرب.. ولكن هو شر قادم.. أولى بكم مساعدتنا
قبل أن يدمر الكون فوق رؤوسنا.. وكما ترى مرضك جعلك حبيس
فراشك.. فخوفكم من الكهنة جعلكم ترتضون بأي شيء وإن كان فيه
سخط

قال الرجل مبتسمًا:

. لسنا خائفين يا حيمان ولكن لن نستطيع المقاومة وحدنا.. وأنا معك
وإن استطعت لانضمت إليك.. ولكن أعرض الأمر على شباب القرية..
لهم الحق في الانضمام إليك.. وستجد منهم أدلاء يقودونكم نحو القرى
الأخرى

أومأ حيمان رأسه وقال:

. أشكرك على تعاونك

بينما أنا جالس في الغابة أسفل ساق شجرة أجول بخواطري بأمر ما
سيحدث وما حدث غير عابئ لشيء.. وكعادته شيمف يجلس بجاني..
فسألته بفضول

. هل حقًا أنت ترفض التحدث يا شيمف؟

.. ...

. أعلم أن حديثكم يكون ميسلان هو تخاطر بين الأرواح

.. ...

. أجب يا فتى لم تصمت؟ أنت لا تحتاج لفمك للتحدث.. ولا لأذنيك
لتسمعي.. أنت فقط تحتاج روحك أن تتواصل معي

.. . . .

. إن كانت روحك لا تحبني لماذا تسمعي؟.. ولماذا تجلس بجانبني
وترافقي إن كانت روحك تلفظني

.. . . .

. لا تتحدث كما تحب.. ولكن لا تجلس بجانبني ثانية

وكان شيمف لا يتحدث بالفعل فقد حاولت مرات التواصل معه..
ولكن لا فائدة من المحاولة.. فربما هو يرفض الحديث مع أي شخص وأثر
الصمت.. وربما هو لا يتمكن من الحديث بالفعل.. كلها أمني.. وما فائدة
الحديث معه.. أرى أنه لن يضيف شيئاً لي..

وبينما أنا شارداً أبصرت حركات السيورنتاس حولي من جنودهم
الكثيرين يتجهون نحو مخرج الغابة وقال أحد الجنود

. أسرعوا يا رفاق.. أحضروه إلى هنا

فقممت واتجهت إليه ثم سألته:

. ماذا هناك؟

. لقد وجدنا أحد البشر مغشياً عليه خارج الغابة

. هل يمكنني أن أذهب معكم؟

أوماً رأسه فتبعته الجنود نحو مخرج الغابة

شيمف يتبعني كعادته.. فكنا نتحرك سريعاً نحو مقدمة الغابة..
والعجب من خطوات السيورنتاس السريعة.. فرغم قصر قامتهم كانوا
سريعين بما يكفي لجعلي ألهث وراءهم.. الحقيقة سبقني الجميع لكن
شيمف لم يتقدم خطوات قليلة أمامي.. وحافظ على المسافة بيننا قدر
المستطاع.. ولما اقترب الجنود من صاحب الجسد المسجي على أرض

الساحة الخاوية خارج الغابة بدأت أتبين ملامحه.. نعم أنا أعرفه جيداً أنه مارون.

كان مارون في حالة يرثى لها.. وكأنه خرج توه من الموت.. متفرح الجسد.. رث الهيئة.. مقتول ربما.. بشرته دامية وأرهبها حر ميسلان.. اقتربت الجنود منه.. وهذه المرة كنت سيقتمهم من فجعتي وغضبي.. شعرت بالخوف والأمل في ذات اللحظة ثم صحت.

. مارون

وانحنيت مقترباً منه أضعفه بقوة لعله يستيقظ.. لعله يجيب.. ولكن لا فائدة.. غائب هو عن الوعي

قلت بجزع وأنا اتفحص الجنود:

. ما به؟ هل مات؟

فقال أحدهم:

. هل تعرفه؟

. نعم هو صديقي

فأشار لأحدهم وقال:

. أفحصه وتعلل ما به

اقترب منه الجندي وفحصه ثم قال وهو يرمقنا ببلاهة

. لا أعلم ما خطبه

فقال الجندي الذي خاطبني قبل قليل:

. ربما نحتاج لننقله إلى المدينة

. حسناً

ومن ثم اقترب منه شيمف وشرع يفحصه ونظرات التعجب تلاحقه..
وكما كان دومًا لا يجيب أحد.. لم تمض سويغات قليلة حتى استفاق
مارون من غفلته وراح يهذي بكلمات واضحة.

. لقد هلكننا..

لا عجب أن شيمف ابتعد عنه خوفًا مما رآه منه.. ولم يكن باقي
الجمع أفضل منه حالًا.. ولما ابتعد الجميع عن جسده المسحى على
الأرض أمامي اقتربت منه وحاولت أن احتضنه لعله يصمت.. ولكن ظل
يصيح.

قلت برفق:

. لا تخف يا مارون كل شيء على ما يرام

فقال بفرع:

. نحن أسرى السيورنتاس يا شاكريم

ثم أضاف صائحًا:

. لقد هلكننا

فقلت بغضب وحزم:

. كف عن هرائك

صمت مارون.. ورمقني بخوف ثم أضفت:

. قم وأتبعنا يا مارون. سأخبرك بكل شيء

ساعدته على النهوض ومضيينا في طريقنا نحو غابة السيورنتاس..
وزادت أمارات الخوف والدهشة على وجه مارون التعيس..

عند علو الضباب بالقرية الصغيرة.. وصمت الموجودات جلس أغلب شباب القرية بين الأكواخ في ساحة خاوية أمام صف الأكواخ المبعثرة بفوضوية.. جميعهم جلسوا القرفصاء.. ورجال حيمان أيضاً.. فقد أراد جنود حيمان إيصال رسالة أن الجميع سواسية الآن.. ومن وقف يخطب بالجمع هو حيمان.. وكورماو الذي أصبح بمثابة مساعد حيمان وعينه.. ذلك المثلث كورماو وقف خلف حيمان.. بينما راح حيمان يتحدث بنبرات عذبة تنطوي على الحزن.

قال حيمان:

. لسنا بصدد اتفاق بيننا.. ولا أعدكم بجنة ميسلان ولا برضاه.. أنا لست كاهناً.. أنا فارس أراد الحق.. وبحث عنه طيلة حياته.. وربما أوقعت في ضرر من جراء بحثي هذا.. فهل ألوم الحق أنه أصبح هيناً أم ألوم نفسي؟! اللوم على من رأى الحق وحاد عنه.. هل الحرب هي نجاتنا؟! من يقول إن الإله أراد ذلك؟! لأجل ماذا نحارب؟! أخوتي أنها طموحات الكهنة للسيطرة على عالمنا والدماء التي ستسال في رقبة الجميع

ثم تنهد وراح يجول بنظره في أعين الجالسين وتابع:

. ماذا سيحدث بعد الحرب الكبرى.. ربما يباد الجميع.. ونحن لسنا بمنأى عن كون ميسلان.. فسوف نباد.. القرى الصغيرة هي قوة كبيرة إن اتحدت ويمكننا أن نكون جيشاً قويا يتصدى لحماية مملكتنا.. ويحاول إقناع الجنود بالصواب

فقام أحدهم وصاح قائلاً:

. ما الفائدة من جيش سيحارب أيضاً؟! هل تريدنا أن نحارب الجميع؟!

صمت حيمان قليلاً ثم أردف:

. نحن ربما في نظركم ضعاف الآن.. ولكن ربما قريبًا يصبح لنا جيش قوي يتحدى الظلم.. من يريد منكم أن ينضم لنا فأهلاً به
وقف الجميع وحيوا حيمان في إشارة لقبولهم الانضمام إليه..

بغابة السيورنتاس جلست برفقة مارون أسفل شجرة كبيرة.. وكان السيورنتاس ابتعدوا عنا كثيرًا حتى بدت أمارات الطمأنينة على وجه مارون.. وقل جزعه من هذه الأقسام.. بدا عليه أنه يريد أن يسألني عن الكثير.. بل أردت أن أسأله عن الكثير فقلت بولع

. هل رأيت لوانا قبل أن تأتي؟

فقال بعجب:

. كيف لم يقتلك السيورنتاس؟

. أجبني يا مارون

. نعم ثم تركت المملكة.. وخرجت بحثًا عنك بعدما زاد قنوطها..
وخوفها من فقدانك

فقلت غاضبًا:

. هل هي بخير؟ لماذا تركتها؟

. أظنها بخير. لقد خفت عليك يا شاكريم لذلك تركت المملكة.. وذلك
أراح خلدنا أيضًا

. وماذا بعد لماذا تأخرت بهذا القدر؟

. الرحلة لم تكن هينة والكون يشتعل وغارقًا في ظلامه

. حدثني عما حدث لك

كذبت من قبل يا شاكريم.. فأنا دليل ولكن الخوف جعلني أرفض أن أغادر المملكة خوفاً من ذلك المصير المبهم.. فقلت في نفسي ربما نقتل.. ولمّ أغادر.. شاكريم يغادر لأجل قضية وأنا لست صاحب هذه القضية.. سامحني يا أخي.. لم أكن أعرف أنني على خطأ حتى رأيت ما مرت به لوانا من غيبتك.. وتخبط المملكة.. وشعرت حينها أن الجميع لديه ما يحاول إثباته.. أما مارون فكان بلا قضية ولا أمل.. تبدلت الأحوال بعد غيبتك ومع مرور الأيام شعرت أنني مذنباً.. وتحملت إنمًا كبيراً.. لعل ميسلان غاضباً.. ولعل الوقت قد آن لتصويب الخطأ.. رحلت عن المملكة نحو وادي سيال.. وظننت ببداي الأمر أن العالم لم يتغير كثيرًا ولكنه تغير بالفعل.. وأثناء سبري نحو وادي سيال وصلت إلى قرية قد نزلتما بها من قبل.. وجلست مع كبيرها السيد ميروان.. الحقيقة أخبرني أنه مدين لكما وما فعلتما لأجل قريته.. ودفاعكما عنها.. جلست بالقرية وقصصت عليه من أمركما.. وقصصت عليه من أمري.. وكأني أردت سؤاله عما فعلت وخوفي من مغادرة المملكة.. أحببت مجالسته.. فكان حسن الحديث وخير المجلس.. وذلك ما جعلني أمكث بالقرية لأيام.. بعد ذلك غادرت.. واتخذت طريقي نحو وادي سيال.. ولكن ضللت الطريق.. كنت أحسب أنني دليل جيد.. ولكن العالم تغير ونشأت قرى وأكثرها اندثرت.. فكلما حللت بقرية وجدتها خاوية والدماء مسالة بكل أنملة بها.. بكيت وأردت أن أصرخ لم يحدث هذا بكوننا.. لقد أصبح الكون موحشا وفضا.. صرت أترحل بين القرى الخاوية غير عابئ لشيء سوى وجود الطريق الصواب نحو وادي سيال حتى أبصرت قرية بها أحياء.. فنزلت بها وجلست مع قومها حينما من الزمن.. ومع طيب معاشرتنا سألت الأدلاء عن وادي سيال فأخبروني كيف سأصل إليه.. وحينما وصلت إلى وادي سيال لم امتلك خريطة الكثر.. ولم أعرف خطواتك ولا كيف تحركت.. كما تعلم الطريق نحو وادي سيال وعرو زاد التعب بي.. حاولت أن أصعد الهضاب

بحثًا عنك أعلاها.. ولكني تعثرت وأدركت أن السيورنتاس سيلحقون بي قريبًا.. تركت نفسي أهوى واستسلمت لنومي حتى استيقظت.. وبالرغم من اقترابي كثيرًا من غابة السيورنتاس لم أخش أن أذهب بعيدًا عن هنا.. وجلست على مقربة من غابتهم حينما من الزمن أتفكر في أمري.. ولكن شعرت أن أحدهم هوى على رأسي بصخرة حتى غبت عن الوعي.. ولا أعلم مقدار الوقت.. ولما استيقظت كانت هذه الوحوش أمامي وأنت مرافقًا لها!.. فهل تخبرني ماذا يحدث؟!

قلت مبتسمًا:

. هؤلاء ليسوا مخلوقات وحشية.. بل المخلوقات الوحشية من هم بالخارج

فقال مارون متعجبًا:

. يبدو أنك فقدت عقلك

. الحقيقة أنتم من فقدت عقله.. ورسخت الكهنة بعقولكم فكرة أن السيورنتاس ليسوا بشرا بل هم همج وقتلة

فقال غاضبًا:

. أصمت يا شاكريم

. قلت ساخرًا:

. كم قتل السيورنتاس من قبل؟

فصمت مارون.. ثم قاطعت صمته قائلاً:

. لا تعلم.. فأنت نشأت في كنف الكهنة مثل الباقين تصدق ما تسمع

. ولكن ما تقوله درب من الخيال

. ليس به خيال

فقال ببلاهة:

. كيف علمت ذلك؟

. لقد تواصلت معهم

. ما تقوله أعجز خلدي.. ولم يحدث من قبل

. بل هي حقيقة.. وإن كان السيورنتاس قتلة لقتلونا سويًا

ثم سألته:

. هل لوانا بخير؟

. لا ليست بخير

فقلت بخوف:

. ماذا حدث لهما؟

. كالجميع باليكسارنه تنتظر الحرب أو الموت

صحت غاضبًا:

. كف عن قول الهراء يا مارون. يبدو أن الرحلة أفقدتك عقلك

. لا بل المملكة تتخبط يا شاكريم والجميع خائف.. ولم يتحسن حالها

بعد مغادرتك

ثم أضاف:

. أين عليران؟

فقلت غير مكترث:

. لقد أخذ الكنز.. وعاد إلى المملكة

. وهل تركك هنا وغادر؟

. أنها قصة طويلة يا مارون

. أحكي لي ما حدث

. حسنًا

ثم قصصت عليه ما حدث معي عندما غادرت المملكة.. وما حدث
بوادي سيال وسقوطي بالحفرة ثم هروب عليران.. وما حدث بيبي وبين
السيورنتاس.. وملامح البلاهة غزت وجهه.. فكان يستمع بهم وتعجب لما
أقول.. وبعدما فرغت من حديثي قال.

. بحق ميسلان لا أصدق هذا

. ولم لا؟

. إنها قصة عجيبة.. ولو أخبرت الجميع عما حدث مع السيورنتاس لن
يصدقك أحد

. أعلم ذلك.. هذا مثل إن أخبرت الجميع أن الكهنة هم الشر بعينه

. هل يمكنني التحدث مع السيورنتاس؟!

. ربما يمكنك

. أين يختبئون؟

. لقد بنوا المدائن أسفل كون ميسلان.. وبلغوا من التقدم ما فاق
مملكة اليكسارنه بذاتها

. فقال بعجب:

. كيف ذلك؟

. قلت بأسى:

. لقد قال خاوث من قبل "ليس العلم حكراً على مملكة اليكسارنه"

بعد مضي أيام بمدينة السيورنتاس.. وبالقرب من قصر جياو جلسنا أنا ومارون برفقة السيد ثيزس.. وعلى أرض صخرية كانت منبسطة أمام أحد البيوت المحفورة بالصخر.. جلس السيد ثيزس فوق صخرة صغيرة تكفي جسده الضئيل.. بينما جلست برفقة مارون أمامه.. تبادلنا النظرات لبرهة لكن مارون نظر لثيزس بكره جم.. وقد بدا ذلك جلياً على قسمات ثيزس.. فحاول تحاشي النظر إليه.. وشعرت كأن ثيزس يريد أن يمضي.. حاولت تقليل حدة نظرات مارون بعد أن وكزته بغضب لكن لا طائل.. ولا مناص مما يفعل.. لم ألتقي بالسيد ثيزس الأيام الماضية.. فقد انشغلت بأمر مارون ومجالسته.. وغاب عن خاطري لقاءه حتى رأيت ذات يوم أثناء تجولي بالمدينة ليلاً ووعده بلقاء قريب.. ثم أخبرني عن مجلسه وأن بإمكانه مجالسته أي وقت.. فاستغللت فرصة سانحة وقابلته.

أما مارون كان عابس الوجه دائماً.. خائف من الجميع.. لم يستطع التواصل مع السيورنتاس حتى اليوم.. ربما لأنه لم يتخلص من سطوة الكهنة على عقائده.. قلت في نفسي كيف يتغير معتقد مرسخ منذ الصبا بين ليلة وضحاها. أتأمل وجه مارون العابس ونظرات الأزدراء إلى السيد ثيزس.. ولكن لا فائدة حتى أدرك السيد ثيزس ما يحدث وقال مبتسماً.

لن يتغير يا سيد شاكريم

لقد حاولت معه مرات دون جدوى

لن تتغير عقائد موروثه بكلمات قليلة

فقلت متعجباً:

إذن لماذا تغيرت؟

فقال مندهشاً:

. لا أعلم خطبك إلى الآن.. ما حدث معك غريبًا حقًا.. ولم يحدث هذا من قبل مع أحد.. ولم يستطع أن يتواصل معنا أحدهم من قبل سواك.. وكأنك ولدت بيننا

. لا أعلم حقيقة ما حدث.. وأجهل كيف تواصلت معكم

فصمت قليلاً ثم قلت:

. هل تعلم سبب قصر قامتكم؟

. الحقيقة الإله خلقنا أقزاما.. لا نملك سوى الرضاء بما قضى.. ولكن الجميع نظر إلينا بازدراء بعد ذلك.. وربما أحد أسباب النفور منا هو قصر قامتنا.. وهذا أيضًا ما مكن الكهنة من اختلاق القصص بشأننا

ثم نظر إلى مارون وتابع:

. أنظر إلى صديقك.. فهو لن يكف عن ازدرائنا لتعلم أن الكهنة عبثوا بعقائد الشعب وتوغلوا بالنفوس

فقلت:

. الحقيقة يا سيد ثيزس أن ما يحدث هنا درب من الخيال

ثم شردت بخاطري عن تواصل الأرواح بهذا العالم.. وتذكرت عندما خطب الأمير كولاو خطبته العصماء.. وكلمات مارون لي بأنني سأسمعه بأي مكان وإن كانت المسافة بعيدة.. الحقائق بدأت تتضح أمامي عند مكوثي بمدينة السيورنتاس.. وكيف علم هؤلاء القوم حساب التقويم أفضل من علماء اليكسارنه.. بل وضعوا نظامًا محكمًا.. وقلت في نفسي لعل الله ميز هؤلاء بالذكاء الشديد مقياسًا لقصر قامتهم.. الحقيقة أن هؤلاء القوم أفضل من بهذا العالم.. فلم يستخدموا علمهم في صناعة الأسلحة.. ولا الغزو ولا سفك الدماء.. بل اعتزلوا العالم المقيت.. العالم الذي ملئ بالقهر والقتل.

قاطع شرودي ثيزيس وقال:

. ماذا يحدث هنا وجعلك تقول إنه درب من الخيال؟
. أقصد أنكم تواريتم عن الأنظار.. ولم تفكروا بالخروج إلى العالم

فابتسم وقال:

. ماذا ستفعل إن كنت موضع شعبنا
. ربما فعلت مثلما فعلتم

ثم أضفت:

. النبوءات كثيرة بكوننا

. عن أيهم تتحدث؟!

. عن الشعب المنتصر.. والإله المنتظر

فابتسم وقال:

. الكهنة فعلوا ذلك

فقلت مستفهمًا:

. هل تعرف من أين أتوا؟

. لا أحد يعرف

. ربما لهم قصة

. صدقني لا أحد يعلم من أين أتى الكهنة.. ولم يملك أحدهم
الشجاعة لاختلاق قصص بشأنهم

قال مارون نافرًا:

. هل سنجلس الليل هنا بصحبة هذا السيورنتي؟! أنا لا أرى أنك

تحدثه

قلت مبتسماً:

. نتحدث منذ زمن يا مارون.. ولكنك لا تتواصل معه

. كف عن السخرية مني أراك تنظر إلى سيورنتي.. وهو يبادلك
النظرات فقط

قلت ضاحكاً:

. ماذا تريد؟

. هيا لنغادر

فاستأذنت السيد ثيزس وغادرت بصحبة مارون بحثاً عن موضع ننام
به.

عندما غادر جيش حيمان مع من قبل الانضمام إليه من أبناء القرى..
وراح يطوي الأرض طياً بألفي فارس.. ولا أظن أنهم جميعهم فرسان.. بل
القليل منهم من يمكننا القول إنه فارس مقاتل.. الحقيقة أن حيمان
اتخذ طريق جيش الأمير كولادو ناحية الكلدان.. ولكن مع قليل من
الاختلاف فكأنما كان يتعرج بالطريق.. ويفتش عن القرى الأكثر فقراً لعل
أهلها يستجيبون.. وعندما عبر حيمان الصحراء الصخرية.. وكان قد
ابتعد كثيراً عن مملكة اليكسارنه وعما يتبعها من قرى أبصر قرية على
امتداد بصره.. فاستشار رجاله والفارس كورماو بشأن أن يحل بهذه
القرية ليدعو رجالها للانضمام لجيشه القليل.. وأيضاً ليرتاح بالجنوده
ويستعيدوا عزيمتهم من الرحلة الصعبة.

فقال حيمان.. وهو يخطب برجاله:

. نخيم هنا حتى نستعيد عافيتنا.. وندعو من بهذه القرية للانضمام لجيشنا.. وبمكنا التدريب على القتال لقليل من الوقت.. ومن ثم نغادر نحو طريقنا المعهود

صمت الجنود وكأن على رؤوسهم الطير.. فعلم حيمان أنها إشارة للموافقة ولاسيما أنهم لم يتحدثوا من شدة الوهن الذي بدا عليهم

فقال حيمان.. وهو يبتسم لكورماو الذي وقف جاره:

. ما قولك يا قائد فرقة المثلثين؟

. لك ما شئت يا سيد حيمان.. فأنت قائد الجيش ولقد استشرتنا من

قبل بهذا الشأن

. حسناً لنتحرك نحو القرية

وعندما بدأ حيمان ورجاله يتقدمون ناحية القرية التي ما زالت تبعد عنهم أيضاً حيث لم يبصروا ما بها.. ثم قال حيمان لكورماو

هذه القرية كبيرة يا كورماو.. هل تعلم أي مملكة تتبع؟

فقال كورماو وهو يحرك كتفه لأعلى.

. لا علم لي بشأنها يا سيد حيمان

. سنعلمها يا كورماو لنمضي بدرينا وبالقريب سنعلم ما نجعله

ولما نزل جيش حيمان القرية وجد بها فرقة كبيرة من الجنود وتفوقهم ضعفي.. فحاول حيمان أن يعود أدراجه حتى يجنب جيشه حرباً ربما ستقتل جميع جنوده.. فكان يفكر بأن أكثر جنوده لم يتم تدريبهم بالشكل الكافي بعد.. ولكن حدثت الطامة فأبصرت الفرقة جنود حيمان.. وكان جيش حيمان قد حل بالقرية.. ومضى بها مسافة كبيرة فأصبح بين مساكنها ودروبها حتى لحقتهم فرقة من الجنود بدروب القرية الكبيرة فصاروا يدفعون جيش حيمان ناحية ميدان كبير خارج القرية.. ومن ثم

وجد حيمان نفسه مطوقاً من جيش يفوقه عدة وعتاداً بخمسة أضعاف جيشه الضئيل. أدرك حيمان أن نهايته قد اقتربت.. ولم يملك حينها سوى الثبات حتى لا يفقد الجيش رابطة جأشه

تقدم قائد الجيش ناحية حيمان.. وترك بينهما مسافة مترات قليلة.. ولما كان الضباب قد علا وسد الأفق لم يبصر حيمان وجه القائد وهو يحدثه.. ولم يتبين هيئته جيداً.

فقال القائد:

. أتيتم غزاة أم للانضمام لنا؟

قال حيمان بكبرياء قائد:

. من أنتم؟

. نحن فرقة استطلاع

فسأله حيمان:

. أية عشيرة تتبعون؟

. نتبع المال يا رجل.. وكف عن الأسئلة.. أنا من أسأل هنا

فقال حيمان:

. لا بل بحضرة حيمان الجميع يجيب

ويبدو أن غرور حيمان في هذه اللحظة قد كلف جيشه الكثير.. ولم يكن دبلوماسياً في التعامل مع موقف هو ضعيف به.. ولربما ما جعل حيمان يتحدث بذات الطريقة هو أنه أراد أن يثبت الثقة في نفوس جيشه الضئيل.. ولكن لم يحسب ما قد يحدث بعد ذلك

فقال القائد بخبث:

. أنتم من أبناء اليكسارنه؟

نعم .

ثم صاح القائد برجاله.. بعدما ابتعد عن جيش حيمان:

. يا رجال أجهزوا عليهم.. ليعلم أهل اليكسارنه أن فرق الكلدان لا ترحم. لا تدرؤا منهم فردًا لأجل ما فعله أميرهم كولاو بمدينتنا

ومن ثم راح الجند يتأهبون للمعركة فأشهر رجال حيمان سيوفهم.. وتوقعوا كجنين في رحم أمه.. تلامست الأجساد.. أشهرت السيوف.. كانوا يحمون ظهورهم بذات الطريقة لقله عددهم.. حيمان لم يخبرهم فعل ذلك الأمر.. ولكن غريزة البقاء دفعتهم لذلك.. لم يغزو الخوف قسامتهم.. لكن من يرى ما قاموا به سيوعز ذلك إلى خوفهم.. بينما كان جنود قائد فرقة الكلدان يقتربون.. وهم يضربون الأرض بسيوفهم المسننة بقوة.. ويتقدمون نحو فريستهم بثبات.. على دبيب الأقدام وتطاير الثرى ليخبر ما سيرى من معركة ربما نهايتها كُتبت قبل أن تبدأ.. وكأن بكورة الأجساد تجذب الكلدان نحوها ويقترب مدّ الرجال المتربصين من جيش حيمان.. ثم صاح حيمان بجنده

. يا رجال أثبتوا.. ولا تفقدوا التنظيم.. إن فقدناه فأعلموا أن الهزيمة

ستكون أسرع مما تخافون.. أثبتوا وأضربوا بقوة من يقترب منا

رجال حيمان كانوا عميانًا يضربون بالسيف يمينًا ويسارًا دون أن يعلموا أين تسدد ضربة السيف.. والحقيقة ما زاد الأمر صعوبة هو علو الضباب فوق الرؤوس.. وعلى مدار ساعة من قرع للسيوف وتخبط بدأ جيش حيمان يفقد من الجند الكثير.. ولم يكن جيش قائد الكلدان أفضل منهم حالًا.. لولا ثبات رجال حيمان لما فقد جيش الكلدان نصف عدده حتى فقد جيشه تنظيمه وراح رجال حيمان يبطشون بهم بقوة دون وعي.. فقط لأجل اليكسارنه ولأجل ميسلان.. ولعل عقيدة الجيش ما مكنته من الفتك بهذا الجيش الذي يفوقهم خمسة أضعاف.. وبعد انتهاء القتال تعب جنود حيمان وهرب من فرقة الكلدان من هرب.. فجمع

حيمان رجاله ودخل القرية بحثًا عن مؤن الطعام والراحة مما لاقوه قبل مغادرة القرية.. لعل من هرب من الجند سيأتي بالمدد.. ويفتكون بجيش حيمان خائر القوى..

بغابة السيورنتاس قبل علو الضباب بساعات.. وأسفل شجرة قزمة رافقتي مارون الذي كان ناقمًا على جلوسنا بمدينة السيورنتاس.. على الرغم من طيب المعاملة وحسن ضيافتهم لم يستطع مارون التحدث معهم ولا تقبلهم.. كنت شاردًا بخواطري عما حدث لي بهذا العالم.. وعما سيحدث لي.. كم كثرت مصادفاتي.. فلربما القدر يدفعني نحو مصيري المحتوم.. وتساءلت في نفسي عن حال عالمي الآن.. هل أبادت الحرب سكانه.. ماذا إن حدث هذا؟ وربما سيحدث هنا أيضًا.. زاد الضيق في نفسي عندما تخيلت فناء هذا العالم وفناء عالمي.. وكما قلت من قبل أينما حل البشر حل الخراب.. لقد حاولت وجاهدت لأجل أن أحدث فارقا بهذا العالم.. وإن لم استطع فلا لوم علي.. ماذا عن اليكسارنه الآن؟!.. أحسب أن شعب اليكسارنه يبكي من ذلك المصير المنتظر.. أما مراند فلا بد من أنه يبطن بالشعب ويزيد الضرائب عليهم. اشتقت إليك يا لوانا.. أريد أن أحدثك وأراك ثانية.. ومعدرة إن لم استطع أحداث الفارق بالمملكة.. فأنا فرد أتى من عالم متخبط في صراعه.. أريد أن أرى عينيك ثانية ثم أموت بعدها ويكون شرفي أنني قتلت بمحراكك.

تساقطت قطرات من الدمع من عيني وأنا أتذكر لوانا ووطني.. لكن مارون لم يبصر ما يحدث لي.. كان يقتطف ثمارا.. ثم عاد يجلس بجاني وهو يناولي واحدة.. وتناول أخرى بهم.. ولما فرغ من تناولها قال.

. لقد جلست هنا كثيرًا يا شاكريم.. أما أن وقت العودة لمملكة اليكسارنه؟

فقلت غير مكترث:

. غادريا مارون.. فأنا ذاهب إلى مملكة الغوال

قال غاضبًا:

. ما زالت تريد ذلك

صمت ولم أجه فأضاف:

. لن أترك سنذهب سويًا.. لكن متى؟

. قريبًا ولعلي أريد طلب العون من جياو بشأن هذا الأمر

. جياو قائد السيورنتاس

. نعم

فقال ساخرًا:

. أتريد طلب العون من أولئك الأقزام؟!

. هؤلاء أفضل من هنا

قال غاضبًا.. وهو يقوم من مقامه:

. أصبحت فردًا منهم.. أنت خير فرسان اليكسارنه تحابي لهؤلاء الأقزام

قلت ممتعضًا:

. كف عما تعتقد.. لقد غيرت الكهنة أرواحكم.. فأصبحتم بلا إرادة..

ورغبة الكهنة توغلت بنفوسكم

ابتعد مارون غاضبًا.. ثم ناديته فلم يجب.. فأدركت أنه حزين مما

قلت تَوًا

بمملكة اليكسارنه داخل قصر الحكم وفي وسط اليمو الفسيح جلس

القائد مراند على كرسي الحكم وقد ارتفع الكرسي عن الأرض البلورية..

وبينما كان الكاهن كركال بحضرته يقف شامخاً أمامه.. عندما كانا منفردين باليهو.. ويتحدث بغير خنوع.. وبكثير من الكبرياء.

قال القائد مراند للكاهن كركال:

. يبدو أن علينا الرجوع عن القرار السابق

فقال كركال:

. أي قرار؟

. أقصد قراركم بشأن الجاريات

. حسناً تريد أن نجعل الجنود تكف عن اللحاق بهن

فقال مراند غاضباً:

. نعم لقد اضطرب الشعب.. وتضافرت الأمة ضد الجنود.. فلا سبيل

الآن

ثم أضاف مراند بحنق:

. لقد قلت هذا من قبل.. أنتم من شرّ قوانين الجواري.. وجعلتموهن

يخدمن سيداتهن.. وهي قوانين ميسلان فلا بد ألا تتغير.. وبعدها زادت

الحروب وأردتم إرضاء الجنود قلتم أن للجند أن يمتلكوا الجاريات

ويعاشروهن معاشرة الأزواج.. وبعدهما رأيتم الأفعال الشنيعة من الجند لا

تريدون الرجوع عما قلنا

فقال الكاهن بخبث:

. نعم

ثم أضاف الكاهن:

. سنصبح متخبطين أمام الأمة.. وسيفقدون الأمل بنا إن عدلنا عن

قوانين ميسلان الجديدة سريعاً

فقال مراند:

.وماذا ترى أن نفعل؟

.ندع الأمور تمضي كما حُطط لها من قبل

.هل ترجع إلى الكهنة بشأن ما قلت؟

ففكر الكاهن ملياً ثم قال:

.دعني أستشير باقي الكهنة يا قائد مراند

بأحد منازل القوم بمملكة اليكسارنه.. وكان منزل شديد الترف.. وأمامه حديقة كبيرة من أشجار قرمة.. كان ذلك منزل السيدة أشا وهو منزل يبتعد مسيرة يوم من قصر الأمير باتجاه الجنوب الغربي.. ويقع بحي الأغنياء.. بل أنه كان أكثر هذه المنازل تميزاً.. هو مكون من ثلاثة طوابق وأبواب خشبية ونوافذ بلورية بيضاء.. وجدران بلورية سوداء شديدة القسوة.. السيدة أشا كانت من علية القوم بمملكة اليكسارنه.. وتوفيت عائلتها حينما كانت صغيرة بأحد حروب المملكة.. فشقت طريقها نحو العمل مثل الرجال.. ومع مضي الأيام الكثيرة جنت الكثير من الأموال.. ولأن السيدة أشا لم تكن بارعة الحسن فلم تصبح جارية.. بل أنها رفضت الزواج أيضاً.

السيدة أشا هي أحد الناقمين على قوانين الكهنة وأكثر النساء تواضعاً.. بل أن الجاريات بهذا العالم يحترمنها لما قامت به من أجلهن.. ولما زاد بطش الجنود بعد تغير قوانين ميسلان بشأن الجواري حاولت السيدة أشا أن تساعد من تستطيع من جواري.. وكان حظ لوانا أن تلتقي بها بعدما قادتها قدمها نحو المنزل الكبير للسيدة أشا.

فلما تركت لوانا.. راحت تمضي بالمملكة وهي مشردة لا تعرف أين ستذهب.. تنام في الطرقات والحدائق وراحت تمضي.. من حسن حظها

أنها نامت أمام منزل السيدة أشا.. وعندما رأتها السيدة أشا تعاطفت معها.. ومع قصتها.. وما يدور بالمملكة. بمضي الأيام أخبرتها عن قصتي.. وشأن تغيير قوانين الجوّاري.. فزاد تعاطفها وأصبحت السيدة أشا صديقة لوانا.

وعندما تغيرت قوانين المملكة بشأن الجوّاري.. فتحت السيدة أشا منزلها إلى الجاريات الضعفاء.. وساعدتهن حتى مع علمها أنها ربما تتعرض لمحاكمة بسبب إخفائها للجاريات.

جلست لوانا على أرض المنزل بالطابق الثاني.. وكانت السيدة أشا تجلس على مقعد أعلى من مستوى الأرضية بينما أمتلئ منزلها بالجاريات لكن كانت الجارية لوانا أحب أصدقائها.

فقالت لوانا:

. سيدتي لقد أعددتنا الطعام

. لا أريد أن أكل

قالت لوانا بخوف:

. ماذا بكِ يا سيدة أشا؟

. لا شيء يا لوانا

. أراكِ حزينة من شيء ما

. مثلما أنتِ حزينة أنا حزينة

. المملكة؟

فقالت بسخرية:

. الكهنة يعبثون بها كما يريدون.. ويضعون القوانين باسم ميسلان..

ويقومون بإلغائها أيضاً.. هذا افتراء على ميسلان العظيم

قالت لوانا:

. يخجلني تعاطفك معنا يا سيدة أشا

. الجميع يشعر بالظلم.. ولكن لا أحد يستطيع دفعه

فسألتها لوانا:

. ألا تخشين أن تتعرضين لمحاكمة لأن منزلك امتلأ بالجواري؟

. لا أخشى سوى ميسلآن.. وتبًا للكهنة على ما يفعلون

قال حيمان..

معركتنا مع فرقة الكلدان لم تكن كرز وفرّ.. ربما من رأى فارق العدة والعتاد بيننا لأرجع انتصارنا إلى أننا كنا نهرب منهم ونعود لهم بغتة.. لكن معركتنا كانت معركة ثبات.. معركة ثبات على الحق.. ودفاع عن النفس.. لم نكن لنعتدي عليهم.. ولكنهم هم من اعتدى.. ربما هذه المعركة هي أهم المعارك التي خاضها حيمان ليس لنصره.. ولكن لما حدث بعدها.

لقد فقدت ألف جندي في هذه المعركة.. بينما فرّ الناجين من فرقة الكلدان وأحسب أنهم لم يزيدوا عن الألف جندي كثيرًا.. وأظن أفضل شيء حدث هو هروب بعض من الكلدان.. انتشرت أخبار جيشنا الصغير في أرجاء كون ميسلآن.. وبات الجنود يأتون إلينا من كل فج عميق.. أتى الأدلاء ليقتفوا أثر الجيش بعد مغادرتنا لهذه القرية.. ويحاولوا إتباعنا حتى بدأ الجيش بالازدياد.. وما كان من قبل جيش ضئيل في غضون أيام قليلة أصبح عشرة آلاف جندي.. وهلم جرا والجميع يأتي.

هناك من أنضم لفرقة ملثمي الحرب خاصة من الفارين من الكلدان والغوفال الذين أرادوا إخفاء هويتهم عن الجميع.. والشعوب الأخرى

أيضاً.. ربما المسافة فقط ما تمنع البعض من القدوم نحو معسكرنا الكبير الذي ابتعد مسافة يومين عن قرية المعركة.

وما كان يظنه كورماو أن جيشنا قليل العدد تلاشى.. عندما تغير كل شيء وأصبح جيش حيمان يكبر ويزداد.

اليوم أنا لا أخشى الحرب وأعلم أن المعركة الفاصلة آتية لا محالة.. وكما أتى إلينا الكثيرون.. وهم يجمعون المؤن مساهمة لنا فيما هو قادم.. أظن أن النصر سيأتي وسنحارب لأجل الحق.. حتى ونحن نعلم أن علينا الآن مواجهة جنود الكهنة بكل الممالك.. درب من العبث ما أقول ربما.. ولكن ربما قريباً يتحقق الإعجاز.

لم يكف شيمف عن ملاحظتي حتى الآن.. وعندما نجول ليلاً أنا ومارون بالملكة يظهر شيمف من العدم كعادته ويمضي معنا حتى أن مارون أراد أن يعنفه على لحاقنا.. ولكن شيمف كان كالأبله يتبعني أينما أذهب.. وظل على ذات الحال حيناً من الدهر.

في كثير من الأحيان حاولت التحدث معه.. ولكنه لم يتواصل معي البتة.. فكان ذلك السيورنتي الصغير يؤرقني حقاً.. ويجعلني أتفكر بأمر مخلوقات السيورنتاس.. وكم وددت أن أعلم أكثر عن هؤلاء القوم.

وفي أثناء مرورنا بالمدينة ليلاً أنا ومارون وشيمف يتبعنا كعادته.. لكنه كان يبتعد عنا مسافة مترات.. وذلك بعد أن عنفته واعتديت عليه بالسب تارة واللكمات تارة أخرى.. ابتعد عنا خوفاً ولكنه ظل يتبعنا.. أراد مارون أن يقتله.. ولكنني منعتة.. وذكرته أننا بمدينة السيورنتاس.. ولا يمكننا ذلك.. لما هدأ روعه جلسنا على متكأ خشبي أسفل أحد المنازل.

قال مارون:

. أن الوقت لكي نرحل عن هنا

فأومأت رأسي وقلت برفق:

. نعم أن الوقت

. متى؟

. قريبًا يا مارون

قال مارون بجزع:

. لكن يا أخي أنا أخاف الوجود هنا!

قلت مبتسمًا:

. هل ما زلت تخشى السيورنتاس؟

. لا أخشى.. ولكي أخاف التواجد بغير مملكتنا

فصمت برهة ثم تابعت:

. هل ستأتي معي إلى مدينة الغوال؟

قال بعين غائرة بعد تردد:

. نعم سأتي

. ربما سنذهب قريبًا.. ولكن علينا مقابلة السيد ثيزس والقائد جياو

قبل الرحيل.. فربما يستطيعان مساعدتنا

فقال مضطربًا:

. أنا لا أثق بهما

. أعلم ذلك

ثم أردفت مقطبًا:

. لكن ليس هناك حل آخر

. كما تريد يا شاكريم

بهبو القصر بمملكة اليكسارنه.. وعند تجمع الكهنة للتشاور بأمر تغيير قوانين ميسلان بشأن الجواري.. كان القائد مراند حاضراً يجلس على كرسي الحكم.. وأمامه صفان من الكهنة يقف بينهم الكاهن كركال يرتدي ملبسه الزهري.. تقدّم الكاهن كركال من كرسي الأمير الذي يعلو فوق الأرض البلورية للهو بمترين.. ودنى الكاهن من القائد.. فلم تفصله عنه سوى خطوات قليلة.. بينما كان القائد مراند يحملق في الكهنة بأعين غائرة.. وينظر حوله في زهو ثم قال القائد مراند.

كاهن كركال هل تحدثت مع الكهنة بشأن تغيير قوانين الجواري؟

قائد مراند يبدو أن مقترحك لم يلق ترحيباً من الكهنة

فقال بأسى:

لماذا؟

هي إرادة الكهنة

فقال مراند:

يصعب الأمر الآن.. ولا نستطيع إغضاب الشعب أكثر من ذلك.. فقد أرهقتهم الضرائب الباهظة وتحولت ساحات المملكة إلى ميدان حرب كبير فإن إثارتهم الزائدة ربما تفقدنا زمام الأمر.. ونحن لا نريد ذلك في هذا الوقت

قال كركال ساخراً:

كلمات رائعة.. ولكن لن نغير شيئاً

قال مراند غاضباً:

لكني أنا الأمير ومطاعٌ أمري

فتابع كركال بسخرية:

. لا تنسى كيف صعّدت على أسدة الحكم.. وإن أردنا أن نطّيح بك
لفعلنا.. ولكن ميزتك هي ما جعلتنا نبقى عليك إلى الآن

قال مراند بخوف:

. ميزتي؟

. نعم ميزتك أنك تطيع الأوامر ولا تتحدث كثيرًا.. الآن تحسب أنك أمير
وتريد التفوه بحديث بشأن المملكة

ثم أضاف كركال محذّرًا:

. أتعلم يا مراند أن ذلك سيفقدك ميزتك.. وعندما تفقد ميزتك لن
تفيدنا.. ولن نبقى عليك

. لكنني صعّدت إلى الحكم بقوانين ميسلان

قال كركال بثقة:

. هل سيريد ميسلان أن يخالف مراند أوامره.. وأوامر رسله؟

فأوماً مراند رأسه وصمت.. ثم أردف كركال:

. أفعل ما تؤمر يا مراند.. ولا شأن لك بما لا يعنّيك

. أأست حاكمًا؟

. الجميع يعلم من أنت.. وكف عن التصنع.. أرى أنك تريد كتابة نهاية

حكّمك

قال مراند بخضوع:

. سأفعل ما تريدون

. عمل جيد يا مراند

بمنزل السيدة أشا عند علو الضباب وغياب الموجودات بين ثنياه لم يلق أحدهم بالأب. لأن الجميع قد اعتادوا المكوث ببيوتهم عند علو الضباب.. وقد أصبحت المملكة كالموتى ليلاً.. وذلك ما جعل مهمة الجنود هينة فأصبحت المملكة تحت سيطرتهم ليلاً.. وعندما يريدون الفتك بأحدهم سيصبح الأمر هيناً..

اقتربت فرقة الجنود من منزل السيدة أشا.. وعبرت الحديقة الكبيرة متخفية في الأشجار القزمة أمام ساحة المنزل.. ولما دنا الجنود من المنزل راحوا يضربون الباب بقوة لكنه لم يفتح.. فكان شديد القسوة وبعد محاولات عدة انفتح الباب على مصراعيه..

دخل ثمانية جنود المنزل.. بينما انتظر عدد أكثر منهم بأربعة أضعاف أمام المنزل يطوقونه.. ولما دخل الجنود الطابق الأول راحوا يفتشون به على الجاريات.. ولكن لم يجدوا أحدا فصعدوا الطابق الثاني وراحوا يفتشون.

ثم صعدوا الثالث وبعدما أحكموا التفتيش وجدوا السيدة أشا.. ولكن لم يكن هناك جاريات.. نعم لم يكن هناك سوى لوانا

فقال أحد الجنود:

.سيدة أشا أنتِ متهمة من الكهنة بتهمة إخفاء جاريات

قالت بهدوء:

.ليس هنا سوى خادمتي

قال الجندي:

.لا تخبئين شيئا يا سيدة أشا.. نحن نعلم بشأنك

فقالت لوانا:

.ماذا تريدون؟

فلطمها الجندي بقسوة وقال:

.أصمتي يا جارية

سقطت لوانا أرضاً فمالت عليها السيدة أشا وهي تقول:

.لوانا هل أنت بخير؟

وقف الجنود يرمقوهما بسخرية.. ثم قال الجندي:

.أحضروهما

صاحت أشا بالجندي:

.هل فقدت صوابك.. ستندم على فعلتك

لم يأبه لأمرها الجندي بينما حملهما الجنود وهما يصيحان..

هل شعرت من قبل بالتخبط؟.. هل مللت حياتك؟.. هل ضاقت بك السبيل؟.. استفحلت هواجسك.. قلت كلماتك.. صمت برهة ثم سويعات ثم ساعات..

أعلم أنك ستجيب نعم فعلت من قبل.. الجميع آل إلى ما كنت عليه.. حتى أن مراند الذي لا يعياً بشيء سوى نفسه أراد أن يشعر أن له دوراً.. ولكنه رد كما أرادت الكهنة.. لوانا تشعر بفقدان الأمل هي الأخرى بعد مضي حين من الزمن.

لوانا مكثت بسجون الكهنة بغير تهمة.. هي فقط رافقت السيدة أشا بسجنها حتى محاكمتها.. وكما تعلم أن المحاكمة ليست عادلة.. وأن السيدة أشا ستمضي إلى مصيرها المحتوم.. إنها النهاية.. نهاية سيدة سطرّت ملحمة في التضحيات والأمل والوفاء وحب الوطن والوقوف بجانب الضعفاء.. واليوم ستحاكم بتهمة معارضة الكهنة.. وعدم الامتثال للأوامر.

بالساحة الشرقية كانت حاضرة فوق منصة الإعدام.. وكاهن الإعدام كان حاضراً.. خلفه صف من الكهنة.. وبالطبع سيسأل السيدة أشا عن التهم التي أسندت إليها.. بينما تجمع الناس حول الساحة ينتظرون مصير واحدة من علية القوم.. ينتظرون رؤية السيدة أشا تعدم.

وقال الكاهن زهري الملبس.. وهو ينظر إلى السيدة أشا فوق منصة الإعدام

. ما قولك في التهم المسندة إليك؟

صمتت أشا ولم تجب حتى أعاد الكاهن ما قاله.. ولكن أشا لم تجب أيضاً

فأردف الكاهن وهو ينظر إلى جموع الناس:

. إن ما فعلته أشا سيظل عارا على جبين نساء مملكة اليكسارنة..
السيدة أشا خالفت إرادة ميسلان العظيم بشأن قوانين الجاريات
وأخفهن بمنزلها حتى تخرق ما أراه ميسلان العظيم ذاته

ثم تابع غاضبًا:

. وترفض أن تجيب كاهن الإعدام الآن.. هي فعلت أمرًا عظيمًا..
ورفضت محاكمتها ولم تجب الكهنة.. وهذا أمر يجعلنا نعدمها مرات..
ولكن يكفي أنها ستقابل ميسلان العظيم ويحاسبها على ما فعلت
ومخالفة أوامره وأوامر رسله

ثم أشار بيده لأحد الكهنة الواقفين خلفه في صف منتظم وقال:

. أحضروا الشاهدة.

أتى أحد الكهنة وهو يصطحب لوانا بيده.. ويقبض على يديها بقوة
حتى بدا أثر الألم جليًا على قسماتها.. وعندما امتثلت لوانا أمام كاهن
الإعدام قال الكاهن بتودد:

. لوانا ابنة سيسان أخبري الجمع بشهادتك

قالت لوانا:

. نعم لقد تم استغلالنا.. وعملنا بمنزل السيدة أشا.. ظننا ببادئ الأمر
أنها تساعدنا.. ولكن أدركنا بعد ذلك أنها تعمل لصالح شعوب الكلدان
والغوفال.. وتجعل الجواري يسخرن على ميسلان ورسله.. ولقد خدعت
يا قومي كما خدع الجميع في هذه السيدة.. وعسى أن يغفر لي ميسلان ما
أذنبت به.. اليوم أتخلص من آثامي أمام حضرة كاهن الإعدام

قالت أشا بدهشة:

. لوانا.

فنزرت إليها لوانا بعين جامدة.. وكانت تفصل بينهما خطوات قليلة..
أما السيدة أشا فلم يلحظ من الجمع الدمعات المناسبة على وجنتيها
سوى السيف الذي لم تتغير ملامحه.. ولم يتأثر بما رأى.

عاد الكاهن يتحدث ثانية:

. لقد تخلصت لوانا من ذنوبها.. ولن يتم محاكمتها

ثم أضاف بنبرات واثقة:

. بعد الاطلاع على قوانين ميسلان العظيم.. وباسم كهنة وشعب
اليكسارنه قضت محكمة الكهنة بالحكم على أشا ابنه حروان بالإعدام

ثم نظر إلى أشا وقال:

. هل من شيء تقولينه قبل موتك؟

فقالت أشا بنبرات باكية:

. انتصر الباطل.. أسرعوا بي إلى الحق.. أسرعوا بي إلى الحق

انقض السيف على رأس أشا بالسيف فسقطت رأسها.. بينما وقفت
لوانا كتمثال تنظر بعين ثابتة نحو الرأس الساقط على منصة الإعدام

بمعسكر حيمان كان جيشه يتابع تدريبه وقد زاد العدد الآن إلى ما
يقرب من الثمانين ألف جندي تجمعوا بسرعة كالسيل.. جميعهم أتوا
لأنهم أرادوا الحق.. أرادوا أن ينصروا ميسلان ذاته.. وعلموا أن الكهنة
هم من وضع الخطة لفناء هذا العالم.. لم يعد لهم حيمان بجنة ميسلان..
ولا بشيء سوى أنهم سيحاولون فقط أن ينصروا مبدأهم..

فهؤلاء هم أولاد القرى القريبة وأولئك انتموا إلى شعوب الكلدان
والغوفال وغيرهم من أبناء العشائر المهمشة في الكون.. وبات جيش
حيمان قويا.. وليس بما يكفي لجعل شعب مثل الكلدان أو الغوال

يعودون أدراجهم ويعدلون عن الحرب.. ولكن بات الأمر قريباً بعد أن أتى أحدهم لاهئاً إلى قائد فرقة الملتئمين كورماو وأخبره أن الجيش الأول من الكلدان قد تحرك صوب اليكسارنه وستتبعه الجيوش الأخرى عاجلاً.. ولا مفر سوى من ملاقاتهم قبل أن يقتربوا من المملكة.

وعندما سمع كورماو ذلك النبأ راح لاهئاً إلى حيمان الذي كان يجلس على مقربة من أحد ساحات المبارزة وتملأه الحماسة بما يرى حتى أنه جال بخواطره.. وعلم فؤاده أن الإله يقف معهم فيما هو قادم.

ولما اقترب كورماو من حيمان قال بخوف:

. لقد حدث الأمر يا حيمان

قال حيمان بهدوء:

. كان سيحدث يا كورماو أجلس وهدئ من روعك

جلس كورماو وأردف:

. لقد تحرك الجيش الأول من الكلدان صوب اليكسارنه والجيوش

الأخرى ستتبعهم

قال حيمان:

كم عددهم؟

. لا نعلم يا حيمان

. أين وصلوا؟

. لا نعلم

فأردف حيمان برفق:

. وماذا تقترح؟

. نتحرك صوبهم

. أظنها مخاطرة

فقال كورماو:

. أظنها أفضل من الانتظار

. نعم يا كورماو وإن لحقناهم بالصحراء البلورية سيمكننا أن نحاربهم

أفضل بعيدًا عن أرضهم

فقال كورماو:

. إن وصلنا إلى الصحراء البلورية يمكننا الانتظار قبل نهايتها حتى

نقترب من ساحل محيطات بنيماء ومن أنهار أيسرا ولا نهلك عطشًا

. أجمع المؤن ولا تخبر القادة أو الجنود بهذا الشأن

ثم تنهد حيمان وقال:

. كيف علمت؟

. لقد انتشر الأمر وأتى إلينا أحد الجنود بهذا النبأ

ثم شرد كورماو قليلاً.. فقال حيمان:

. كف عما تفكر يا قائد المثلثين.. جنود حيمان لا يكذبون

فنظر إليه كورماو بدهشة

ها هو السيد ثيزس يجلس على مقربة من قصر القائد جياو كما اعتاد من قبل أن يفعل وكأنه ينتظرنى.. ولما مررنا به سويًا أنا ومارون طلب مني مجالسته.. وقد سرّني ذلك.. الحقيقة أردت أن أسأله بأمور هامة واستشارته بشأن شعب الغوال.. كان شيمف يتبعنا كالأبله.. وكان يظهر ليلاً كعادته يتبعني أينما ذهب.. وأصبح شيمف اللغز الأكبر لي.. ومرافقي أيضًا.. بل أن مارون اعتاد ما يفعل.. فكان يمضي معي غير عابئ به..

وكأنه حيواني الأليف الذي لا يقدر على فراقى.. السيد ثيزس رأى شيمف وهو يتبعني ثم ابتسم ولم يقل شيئاً

دنونا منه وجلسنا برفقته فقال محيياً:

. مسروراً لرؤيتك يا سيد شاكريم

فأومأت رأسي مبتسماً ثم قلت:

. الحقيقة أنا مسرور لرؤيتك سيد ثيزس.. وكذلك مارون أيضاً

فقال ساخراً:

. دعه يقول

. لم يستطع التواصل معكم إلى الآن

وأضفت مبتسماً:

. أقصد ربما يكون مسرورا

فقال غير مكترث:

. لا يهم ذلك

ثم قلت بفضول:

. هل يمكنني أن أسأل بشأن شعب الغوال؟

. ماذا تريد أن تعرف عنهم؟

. كل شيء قبل الذهاب

. هل نويت الرحيل؟

. نعم

قال برفق:

. لكنك ستعود بعدها

لا أعلم

فأوما رأسه بأسى وقال:

سأخبرك بأمر الغوال

"شعب الغوال"

الغوال أفتك وأقوى الشعوب بكون ميسلان هذا.. وأقبحهم أيضاً.. هم فزاعة الجميع.. وسبب خوفه.. الغوال يسكنون أقصى الشرق بالمشرق المهيب.. وسمي المشرق المهيب لأن شمس ميسلان كانت تشرق من أرضهم.. لذلك هم أصبحوا أقوياء.. لأن لهيب ميسلان جعل أجسادهم تعناد الشمس والقيظ.. ولما غابت الشمس كان شعب الغوال هو الشعب المتهم الأول بإغضاب ميسلان.. قال البعض أن سبب قبح ذلك الشعب أن ميسلان لعنهم بقبح الهيئة وسوء الطالع.. وليس لأحدهم طاقة بالحرب معهم الآن.. فقد أصبحوا أقوى وأقوى بمرور الزمن.. يحكمهم قائد قوي يدعى "قيشاك" وهو رجل قوي يتحكم بشعبه بقوة وجميعهم تحت إمرته.

بعضهم يقولون أن دمامة الخلق في ذلك الشعب تجعل الكثيرين يخشون حتى النظر في وجوههم وكيف لا.. هم شعب قوي الجسد ذو بشرة حمراء قاتمة ولا يمتلكون الشعر في رؤوسهم ولا أجسادهم.. ذوي أسنان مدبية متباعدة وأنف أفتس صغير وعيون جاحظة.. ضخام الأجساد وسريعون الغضب.. يبرعون في السيف كما نبرع نحن بالعيش أسفل كون ميسلان.

لكن اليكسارنه انتصرت عليهم من قبل.. وقد كانت اليكسارنة أقوى مملكة بكوننا.. وما تقوده نحو الصواب.. وما زالت شعوب كون ميسلان تؤمن بقوة اليكسارنه فلن يستقيم حكم لشعب سوى بعد إبادتها.

لدى شعب الغوال مملكة كبيرة محاطة بالأسوار العالية.. ولكن تفتح أبوابها صباحًا وتقل حراستها.. وهم يؤمنون بقوتهم.. وأن لا أحد يستطيع ملاقاتهم بأرضهم وهذه حقيقة.

هذا ما نعلمه بشأن الغوال ولكن هناك الكثير أيضًا لا نعلمه.. وربما تعلم عنهم إن ذهب لتقسي الأمر بينهم..

عبث حديث السيد ثيزس بنفسه وشعرت بالخوف من وصف ما قاله.. وأن ما سأقدم عليه.. ربما يسوقني نحو الهاوية.. ربما لن أعود ثانية.. وعندما كنت شاردًا بخواطري أدرك مارون عظم ما قاله السيد ثيزس.

فقال مارون بهدوء:

. هون على نفسك.. بماذا أخبرك هذا القزم؟

. فأومأت رأسي.. وقلت مخاطبًا السيد ثيزس:

. هل المهمة صعبة إن أردت الدخول إلى مملكتهم؟

. بالطبع فأنت تختلف كليًا عنهم

. هل من طريقة؟

. ربما فلتسأل جياو سيساعدك

. فشردت قليلاً ثم قلت:

. سيد ثيزس هل ترى أن شعب الغوال ناقمًا على نفسه.. وعلى كون

ميسلان؟

. نعم هذه حقيقة فالكثيرون منهم يشعرون أن دمامة خلقهم لأنهم

سبب إغضاب ميسلان.. ولذا فهم ناقمون وشعب صعب المراس

فقلت مبتسمًا:

. ما أصعب التعامل مع قوم ينقمون على أنفسهم وعلى الشعوب الأخرى.. أنهم يكرهون الجميع ويكرهون أنفسهم.. فماذا سيفعلون عندما يدرون أن دخيلاً بأرضهم

فقال:

.ربما عليك أن تكون مثلهم؟

.كيف؟!

. لا أعلم كيف... ولكن هناك طريقة لذلك

. متى ستغادر؟

. عندما أعلم ما أنا مُقدم عليه سأذهب

بعض من الوقت مكثته لوانا بقصر الأمير تحت إمرة كاهن الإعدام.. وذلك كان تقديرًا لها على دورها في محاكمة السيدة آشا وقد كان.. فمرت الأيام على لوانا كأنها الدهر بين سخط ونفور من الكهنة ومن قصر الأمير.. تعذبت وصعب الأمر على نفسها مما فعلته بهذه السيدة حسنة الخلق.. كم شعرت لوانا بتأنيب الضمير.. وبأنها أصبحت خادمة لكهنة ميسلان. هواجس نفسها أرهقتها.. ولم ترتاح البال طيلة هذه الأيام الصعبة.. ولكنها فعلت ذلك لتنفذ نفسها من الإعدام أو أن تلقى بين يدي الجنود يتناولون اغتصابها.. فعلت هذا بعدما تلقت تهديدات جمّة من كاهن الإعدام عن ذلك المصير الأسود ولا ملام عليها.. أعني إن لم تكن بلا خطيئة فأصدر حكمك بشأنها.. هي فعلت ذلك لأنها خافت على نفسها وعلى حياها وعلى جسدها.. ليس كل منا يستطيع الثبات على موقفه.

وبينما كانت لوانا جالسة بأحد الغرف المعدة لخدم القصر بسلم الخدم الذي يحيط بهو القصر كانت شاردة بخواطرها وتبكي مضطربة.. هي لم تكف عن البكاء منذ ذلك اليوم الشؤم حتى أن السيدة آشا أصبحت تلازمها في أحلامها.. وتحيل حلمها إلى كابوس مفرع.. كابوس من الحرمان والفقدان.. كابوس يخبرها بخيانتها يوميًا.. ويزداد عندما يعلو الضباب.. فعندما يعلو الضباب يكسو الكون ويخفي الموجودات كذلك بات يخفي روحها الجزعة.

اقترب كاهن الإعدام من غرفة لوانا ودخل دون سابق إذن.. ففزعت لوانا وقامت من مضجعتها تنظر إليه بفرع.

قال الكاهن بود:

. الجميلة لوانا

قالت بخوف:

. ماذا أتى بك يا سيدي الكاهن؟ لم نعتد من الكهنة زيارة الخدم

. أتيت لأرى جمالك.. وحسن طلتك

فابتعدت عنه عندما حاول الاقتراب منها.. فتوقف الكاهن وقال

بحزم:

. يبدو أنك تروقين للقائد كرواف

فقالت بخوف:

. لكنك أخبرتني أنني سأمكث بالقصر.. وأصير من الخدم

. نعم لقد قلت ذلك ولكن ميسلان قال.. ..

فقاطعته بثورة:

. كفى افتراء على ميسلان.. أنتم ملعونون.. دعني وشأني

قال الكاهن بغضب:

. هل تسيين الكهنة؟ تعلمين أن ذلك عقوبته الإعدام

فصمت هنيئة وقال بتودد:

. لكن سأنسى الأمر لأنك تروقين للقائد كرواف

. لا مبدأ لديكم

فضحك الكاهن بسخرية وقال:

. أنتم الذين لا تفهمون قوانين ميسلان

ثم أردف:

. من الغد أنتِ بمنزل القائد كرواف.. ولا أريد أن أسمع عنك السوء

وإلا تعلمين مصيرك

غادر الكاهن الغرفة.. وترك لوانا غارقة في دموعها وهي تردد:

. عاد ذنب أشا يلاحقني.. سامحني يا شاكريم.. لقد خنت أشا من قبل

وكتب علي خيانتك أيضاً

جيش حيمان قد قطع مسيرة أيام بالصحراء البلورية.. وكان حيمان يعلم وعورة الطريق.. فقد عدّ المئون وجمعها لهذا اليوم.. وبات لدى الجنود ما يكفي ليجنّبهم خطر الموت عطشاً بالصحراء البلورية.

شق جيش حيمان الصحراء البلورية بخطوات بطيئة متثاقلة وليست واهنة بل أدخر الجنود طاقة الاسترية وطاقتهم لتلك المعركة القادمة.. على الرغم من أن جنود حيمان جميعهم يمتطون الاسترية إلا أن حيمان كان رحيماً بذلك الحيوان قبل أن يكون رحيماً بجنوده.. وكم أخبرهم بالرفق به.

كان حيمان يتقدم الجيش وعلى خطاه كورماو يرتدي لثامه المعهود وبعضاً من القادة من رجال حيمان وفرقة المثلثين.. ويمضي الجيش دون الحديث أو الخوض بشأن شيء.. لحظات صمت ربما تختزل اضطراب وخوف البعض.. والتفكير لبعض آخرين.. لكن حيمان كان شاردًا بأمر أكبر من ذلك.. هذا الأمر هو مصير ذلك الجيش المعلق بعنقه.. وخوفه عليهم من مآل الحرب.. والكثيرون منهم لم يخوضوا غمار الحرب من قبل.. هذا شعور قائد جيش يعلمه من خاض من الحروب الكثير مثل حيمان.. وحتى أن كورماو قد انتقلت إليه عدوى هذا الشعور تبعاً فبدا التوتر عليه لكن دون سابق كلمات قال حيمان.

. لا داعي لتوترك يا قائد المثلثين لست أنت المسئول هنا

فقال كورماو بتعجب:

. لست متوترًا يا حيمان

ثم أردف متلعثمًا:

. هل تكف عن غموضك هذا؟!.. فإنك تثير حفيظتي وتزيد هواجسي

قال حيمان ضاحكًا:

. لا تقلق يا رجل.. هي الحرب وما بوسعنا أن نفعل سوى أن نخوضها

لههدف أسمى

قال كورماو برفق:

. لكن ربما نهزم فلست أدري كم عدد هذا الجيش الذي سنقابله

فنظر إليه حيمان بعمق وأردف:

. الحق لا يخسر بل قل نحيد قليلًا ونعود أقوى

فصمت كورماو حتى تحدث حيمان بغضب عاتٍ:

كف عما تقول في رأسك وإلا جززت عنقك يا فتى

فقال كورماو برعب:

. ماذا هناك يا حيمان؟

. ألم تقل بخلدك.. وما أدراك أننا الحق؟

. حيمان أنا لا أستطيع أن أفهم قدرتك هذه وغموضك.. وكل من
التقى بك قد حير في أمرك وكأنك تعيش بدواخلنا

فصمت حيمان قليلاً ثم قال:

. لا داعي لحديث لا يفيد يا فتى فلن تفهم.. ولن تعي كمثلك الجميع.. لو
أن موج المحيط أضعف من حيمان لقدرت على تغيير كون ميسلان هذا
ثم أردف متأثراً:

. لكن حيمان واهن كمثلك الجميع.. ولديه من العلم ما لا يفيد.. ومن
القوة ما لن تفيد.. وإن تزيد لن تستطع قضم الحديد

قال كورماو:

. حيمان!

. يا فتى نحن نمضي إلى مصير محتوم قد خطّ من قبل.. وسيعاد أبد
الدهر لكني على يقين من نصرة الحق.. وإن رأيتموه مهزوماً.

بعد مضي بعض من الوقت بالصحراء البلورية كان الصمت قد خيم
على جيش حيمان إلا من أصوات وقيع أقدام الاسترية.. وهكذا ظل الأمر
طويلاً.. فبعد حديث حيمان وكورماو توقفت الأحاديث.. توقف كورماو
عن التفكير وعن الحديث أيضاً.. بينما كان حيمان شاردًا بخواطره..
ويجول بنظره في الأفق المترامي للصحراء البلورية.. ابتسم وهو يرى لونها..
ولون السماء الزهري فوقه.. وكأنه يمشي على زجاج فوقه زجاج زهري.

وما زاد زينته الكائنات الطائرة بألوانها السوداء والرمادية.. حقًا كان مشهدا بديعا جعله يشرد به وينسى ما يجول بخاطره قليلاً.

ولسوء حظه أن ذلك السكون كان ما يسبق العاصفة.. فلم يلبث كثيراً حتى رأى سيل جنود الكلدان.. ولم يبصر عدد الجيش.. ولكنه كان شبها ضخما يسد الأفق.. وربما هي عاصفة قوية آتية.. ولكن حيمان أدرك بحنكته أنه جيش كبير العدد بما يكفي عندما شعر باهتزاز الأرض أسفل قدميه..

فنظر حيمان إلى جنوده.. وعلم أن ما زال بعضهم يهاب الحرب.. فقال بشموخ لا يناسب ما قاله

. أرفعوا الرايات نريد أن نجح للسلم قبل المعركة

فقال كورماو:

. ماذا تفعل يا حيمان؟

. كف عن اعتراضك.. وإلا لتتولى أنت زمام الأمر

فامتثل كورماو لأمره وتقدّم جيش حيمان ببطء تجاه جيش الكلدان بينما كان الجيش الآخر يشق الصحراء بسرعة عاتية.. وبعد مضي وقت كان قد اقترب الجيشان كثيراً.. فلما رأى جيش الكلدان رايات السلم توقف الجيش.

قال حيمان لكورماو دون أن يشيح رأسه عن جيش الكلدان:

. رافقتي واصطحب بعضاً من رجالنا

. أنا بصحبتك

ثم أشار كورماو لثلاثة من القادة من بينهم آخر ملثم.. ومضوا خلف حيمان مترجلين تجاه جيش الكلدان في صمت تام.. ولما اقترب حيمان من

الجيش كان قائد الكلدان متأهبًا في زهو ينظر إلى وفد السلم القادم حتى أبصر حيمان العظيم.. فزاد زهوه ونظر إلى جيشه في كبرياء.

رمق حيمان قائد الكلدان الذي تقدم جيشه بخطوات.. ووراءه فارسان أشداء.. كان شابًا فتى يرتدي درع الحرب وحاد الملامح.. ذا عين واثقة وساعد قوي.. أدرك حيمان أنه فتى قد خاض غمار الحرب مرات.. وربما الحرب قادمة.

قال حيمان مخاطبًا قائد الجيش:

. جئنا للسلم

فقال القائد ساخرًا:

. حيمان يستسلم.. يبدو أن العجوز حيمان قد فقد قواه.. ولم تعد له بالمعارك طاقة

صمت حيمان بينما فقد كورماو رابطة جأشه.. وأراد أن يتحدث.. ولكن نظرة من عين حيمان تكفي لهبدأ.

أردف حيمان:

. يبدو أن رجال الكلدان قد فقدوا بمعاركهم الكثيرة.. ولم يبق سوى الفتية ليقودوا جيوش الرجال

فصاح قائد الجيش:

. لو أنني ما كنت فارسًا حقًا لأطحت برأسك ولتذهب الهدنة إلى الجحيم.. ولكن بحق ميسلان سأصمت عما قلت احترامًا لشيخ كبير قد عجز عقله وخارت قواه

. فلتسمع يا فتى جئنا للسلم.. ولتأخذ جيشك وتعود إلى قومك فتخبرهم أن حيمان قد ردني.. ويطلب منكم هدنة حتى يظهر المكائد التي تحدث في كون ميسلان

قال القائد مبتسمًا:

. حقًا العجوز حيمان فقد عقله

. إذن تريدون الحرب

. ألا تريد حفنة الفتیان خلفك هذا؟ ألم يأتون خلفك بحثًا عما

تعتقد من هراء؟!

. لكم ما شئتم

ثم أشار لرجاله وقال:

. هيا بنا يا رجال

فقال قائد الكلدان:

. لماذا تخفي رجالك وجوههم؟ قل لهم أن جيش الكلدان لا يترصب بفار

من ميدان الحرب

مضى حيمان ولم يجب بداءات قائد الكلدان.. ولكنه ثار بداخله..

وعلم أن كورماوقد شعر بالضيق مما سمع للتو.

عندما وصل حيمان إلى جيشه وقف حيمان مخاطبًا قبل المعركة

ليأخذ من أزر رجاله.. راح يصول بنظره بين أعين الجنود المترقبة..

وتنتظر كلماته لتهدأ روعهم.. وتزيد بأسهم.. لكن حيمان وقف مخاطبًا

بعينه بعضًا من الوقت ينظر بأعين رجاله حتى استشعر الخوف.. وعلم

ما يخيف رجاله.. فعلم موضع الخوف وقول الفصل بشأن الأمر.

وبعد حين توقف نظره ثم قال:

. أخوتي نظرت إلى عيونكم فوجدت جزع البعض.. ووجدت بأس

يخشاه الموت في أعين البعض.. وأخرى لا تأبه.. كل منكم على صواب..

الخوف خلق بداخلنا ولا نستطيع طمسه.. والحق خلق بداخلنا وخارجنا

وإن طمس حولنا لن يطمس بداخلنا.. فأعلموا أن الخوف من داخل قلوبكم.. وأن قلوبكم تهفو نحو الحق.. سريعاً سيذهب الخوف من داخلكم وينتصر الحق حتى يفيض من داخل قلوبكم إلى خارجكم فيغير الباطل أمامه.

ثم تنهد وأردف:

لن أعدكم بما لا يفيد ولن أطلب منكم ما يزيد ومن أراد أن يغادره ما يريد.. ومن أراد أن يوقف طوفان جشع الكهنة بجيش ربما سيزول أمام جيوش كالسيل سيستطيع.. وأن تمت إبادتنا ستبقى قصتنا لكل من فقد إيمانه بالغد.. وليعلمون أبناءهم أن حيمان ورجاله قد قاتلوا حتى الرمق الأخير.. ثم بعثت من بعدهم جيوش تريد السلم بكون ميسلان.. جيوش تريد أن تجعل العلم هو الكاهن.. وأن الإله ليس له كاهن.. وأن القلب يعلم كينونة الإله وإن ضل سيعود حتما

صاح رجال حيمان ورفعوا سيوفهم تحية له فتابع:

لن أقول حديث الكهنة بأن اليوم هو يوم نصره ميسلان.. ولن يغلب ميسلان حتى نصره.. فقط قاتلوا لأجل مستقبل أبنائكم.. لأجل قضيتكم.. لأجل ما أمنتكم به

ثم صاح وهو يتجه ناحية الاسترية:

تأهبوا يا رجال.

ثم ركب الاسترية وراح يهفو تجاه جيش الكلدان والجنود تتبعه كالسيل رافعين سيوفهم.. فكان أول من اشتبك.. وراح حيمان يطيح برؤوس الكلدان ويضرب بلا هوادة.. فعن يمينه تارة وعن شماله تارة أخرى.. راح يراقب الجنود حوله وبعضهم لم يستطع استعمال السيف بعد.. ورجال حيمان يسقطون واحداً تلو الآخر.. وآخرون أقوياء أشداء يقاتلون ويفتكون برجال الكلدان.

لم يكن جيش حيمان منظمًا بقدر كافٍ وجميع خطط حيمان قد ذهبت هباءً لأن أغلب رجاله لم يخوضوا حروبًا من قبل..

ينظر إلى كورماو بين الجنود ويراه يقاتل بقوة فشعر بزهو وأنه أحسن تدريبه وراح يضرب بقوة.. بينما ظل كورماو يقاتل ويتعد أكثر متوغلًا بجيش الكلدان باحثًا عن قائدهم الذي أهان حيمان من قبل.. وقد علم حيمان ما سيفعله كورماو من قبل.. فراح يشق الصفوف ويقتل من يقابله من الكلدان.

أطاح حيمان برؤوس وقطع أوصال.. وكان يمضى مخلفًا الموت وراءه.. ويتبع كورماو الذي اقترب كثيرًا من قلب جيش الكلدان مع بعض من فرقة المثلثين.. ولما دنى حيمان من كورماو راحا يتقاتلان جنبًا إلى جنب ملتصقي الظهر ومضى الوقت والمعركة مازالت قائمة.

خارت القوى وفُقد من الرجال الكثيرون.. ولكن جيش حيمان كانت له الغلبة.. فقد ارتد جيش الكلدان وتبعه جيش حيمان دون كلل أو توقف بينما وقف كورماو وحيمان يرمقان الجثث والأوصال أمامهم.

انسابت الدمعات من عين الفارسيين وقد اقترب النصر كثيرًا.. ولم يستطع كورماو الظفر بقائد الكلدان الذي اختبأ خلف رجاله وهم يفرون.. وبعد قليل من الوقت بدأ جيش الكلدان ينسحب.. ويأخذ ما بقي من رجاله وهلم جرا.

قال حيمان لجنده:

. لا تتبعوهم يكفي ما فقدناه.. ضمدوا جراحاتكم يا رجال هنيئًا لنا النصر وهنيئًا لكم ما غنمتم

صاح كورماو:

. توقفوا يا رجال ورتبوا صفوفكم لتراجعوا

فقال حيمان بعجب:

. ماذا هناك يا كورماو؟!

. لقد أتى مدد الكلدان

. ماذا تقول؟!

فلم يأبه كورماو لأمر حيمان وراح يصيح بالجند:

. تراجعوا يا رجال.. تراجعوا بحق ميسلان.. يكفي هذا

فقال حيمان بغضب:

. أصمت يا فتى

. لا طاقة لنا بهم يا حيمان.. لن أتحمل ذنب فقدان هذا الجيش

وحدى

فصاح حيمان بالجند:

. أثبتوا يا رجال.. نحن أمام النصر

ثم نظر إلى كورماو.. وقال غاضبًا:

. يا لك من جبان.. يا ليتي لم أشرف على إعدادك من قبل

. لست جبانًا وإن أردت أن أقاتلهم وحدى لفعلت لكى لن أتحمل وزر

قتل باقى رجالنا

قال حيمان بعجب:

. ماذا بك يا رجل؟ هل فقدت عقلك؟

وصاح بالجند:

. أثبتوا بحق ميسلان

ثم خاطب كورماو:

. أنت تدمر عقيدة الجند توقف

. عن أي عقيدة تتحدث هؤلاء لهم نساء يا حيمان.. كف عن غرورك..
أنت لا تعلم الهول القادم

لاح شيخ الجيش القادم في الأفق.. ووقف حيمان مذهولاً لم يستطع
التفوه بكلمة بينما راقب جنع الجند وخوفهم فقال حيمان:

. يا رجال لكم ما شئتم

فأشهر الرجال سيوفهم وتقدموا تجاه السيل القادم بينما صاح
كورماو بحيمان:

. لعنت يا حيمان لعنت

وامتطى كورماو الاسترية وسار كالرعد يسبق الجيش حتى تقدم كثيراً
من جيش الكلدان.. وكانت رؤية موت كورماو الهاجس الذي جعل حيمان
يصيح بالجنود

. انسحبوا يا رجال

كانت آخر كلمات حيمان قبل أن يغيب عن المعركة ويطبق الظلام
الدامس حوله.

بأرض الصحراء البلورية وقفت جيوش اليكسارنه متأهبة تستعد
لملاقاة جيش الكلدان الذي علموا نبأ قدومه من جيوش الاستطلاع..
وعندما ظهر جيش الكلدان بالأفق وكان جيشاً مهيباً.. حدث أمر غريب
حقاً فقد انسحب الجيش ثانية.. وعاد من حيث أتى.. ولم تملك جيوش
اليكسارنه المتأهبة تفسيراً لذلك سوى خوفهم من الحرب معهم.. صاح
جنود اليكسارنه وتهللوا فرحاً بنصر لم يكلفهم قطرة دماء واحدة.

جلست أيام كثيرة بمدينة السيورنتاس أحاول وضع خطة الذهاب لمملكة الغوال وتشاورت مع السيد نيزس كثيرًا بشأن هذا الأمر.. بل جلست مع القائد جياو ذاته.. ووعدني بمساعدتي بهذا الأمر.

لم يغب مارون عن المشورة أيضًا.. ولكنه لم يضيف شيئًا إلي سوى التحذير والحط من عزيمتي.. ومكثت هذه الأيام في خلاف معه بهذا الشأن.

الحقيقة لم يُسبغ بأسِي الكثير على عقائد مارون.. وظل على ذات الحال يحاول إبعادي عما أريد ويزيد الخوف بنفسِي حتى اقترب من مراده.. ولكني عدلت عن الأمر سريعًا.. وكلما قل بأسِي زاد مرة أخرى.

درب من السحر هذا العالم يجعل المرفوض مرغوبا والمرغوب مرفوضا.. وكأنه عالم خُلق لتغيير مصيرك البائس في عالمك التعيس.

أما عن القزم شيمف فكان مرافقي الدائم.. ولكن تغير كثيرًا فشعرت أحيانًا أنني أراه بيتسم لي.. وكأنه يقول أمضِ نحو قدرك.. نعم روحه لم تتواصل معي.. ولكني أشعر بها أكثر مما يشعر قومه.. وكأنني بدأت أجد الطريق إلى نفسه وكم تعجبت منه.. فكثيرًا من الأحيان أشعر أنه يريد البوح والحديث لكنه لا يقدر وكأنه سجين نفسه وعقله الصغير.

أما القائد جياو فكان خليلا طيبا وصديقا وقد حاول معي كثيرًا أن يجعلني أمضي نحو قدرِي الذي أردته فقد عرض علي تقديم كل شيء يمكنه فعله لأجل ولوج مملكة الغوال.

وذات يوم عندما جلست برفقه مارون للمرة الأخيرة عند الغابة أعلى مدينة السيورنتاس بدت أمارات القنوط على وجهه وكأنه يرفض مرافقتي فيما هو قادم.. وربما كان علي إنهاء الأمر سريعًا وما زاد من عزمي على ذلك أنه بات شاردًا في أمره.. ورائفًا من قوم السيورنتاس

كنا جالسين ولم نتحدث لبرهة من الزمن حتى قطعت الصمت قائلاً:

.أريدك أن تعود للمملكة؟

فقال مارون:

.لكفي أريد مرافقتك والاطمئنان عليك

. سأصبح بخير.. ولكن لوانا ربما تحتاجك الآن

ثم أردفت:

. هل تعود يا مارون؟

شرد مارون يفكر قليلاً ثم قال:

. هل هذا سيربح خلدك؟

. نعم.. أريد الاطمئنان على لوانا

. حسناً يا شاكريم سأرحل

. هل تريد مساعدة السيورنتاس في العودة؟

. لا فقط أحضري الالسترية.. وبعض المون وسأذهب

. انتظر قليلاً سيكون لديك ما طلبت.. ويمكنك الذهاب قبل علو

الضباب

فقال مبتسماً:

. تريدني أن أذهب سريعاً

. أريد أن أطمأن.. وأنا لا أثق سوى بك يا أخي

أثار جراح الحرب تملئ هذا الجسد الضخم.. كيان أسود كان.. مفتول العضلات وعاري تماماً.. يعتلي جسدها.. جسدها العاري الذي أصبح

مرتاعًا له.. يعبث به كيفما يشاء.. هانت وهان جسدها.. حزينه لوانا
ودامية الأعين.

القلب قد فقد الولع
والجسد أطاع لمن أراد
وغيوم جلادي لا تنقشع
وأبيح جسدي في المهاد..
والذنب ذنب خياني
وثورتي باتت رمادا..
الحب أشعل خاطري
محبوبي تاه في بلاد..
عذراً تزيد هواجسي..
وقصة أمس تعاد
مولودة بالفقد وسجينه الحب
وما عملت نسلي منذ الميلاد..

ربما بعض من الكلمات المنمقة القليلة تختزل صفحات من وصف ما
حل بلوانا.. أنها مستباحة الجسد.. مغتصبة.. ضعيفة.. بالبدء لم يأبه
القائد كرواف لأمرها سوى لسد حاجاته كقائد عظيم بالجيش وله أن
يملك الجمال والسلطة بيده.. هذه هي قوانين الكهنة التي تتغير يومياً.
قام القائد كرواف من فوق جسدها العاري وتركها في مضجعها
ترمقه بنظرات غائرة.. تحمل الكثير من النقم والسخط والتملق.. وعلى

الرغم من أنه لم يكن قبيحا لكنها رأته قبيح الشكل ودميما بقدر كرهها
للكهنة.

عاد القائد كرواف يجلس بجانبها فاعتدلت بجلستها وسترت جسدها
العاري.. فاضت الدمعات بعينها وعلا نحيبها أما كرواف فنظر إليها نظراً
عاشق ولهان وقال بحب

لوانا أشهد ميسلان أنني عشقتك كما لم أعشق من قبل

فلم تجب سوى بدمع زاد ونحيب.. حتى أردف باكياً:

لو أن قوانين ميسلان تغيرت لتزوجتك اليوم.. أنا رجل ولدت بميدان
الحرب ولا أعلم عن النساء شيئاً أنا لم أتزوج وأمضيت عمري في خدمة
الإله وكهنته وإن انتصرنا فإن ميسلان لن يبخل على أحد رجاله بتغيير
قوانينه حتى نتزوج

ثم أضاف:

. سأجعلك أميرة يشار لها بالبنان.. سأجعل النعم تحوطك أينما
ذهبت.. ولن تصبحين جارية بل ستصبحين امرأة قائد مغوار

قالت لوانا ثائرة:

. اتركني أذهب أتوسل إليك

فقال بغضب:

. كيف وقد وجدت فيك ما فقدته وظننت أنه لا يوجد بكون ميسلان

قالت باكياً:

. جسدي

. لا بل شعرت معك أن لدي قلباً يخفق ولست آلة قتل

فقالت:

لكفي لا أحبك وأكرهك وأكره جسدك

. ستحبيني أعدك بذلك

بعد عدة أيام من رحيل مارون إلى مملكة اليكسارنه وليلاً عند علو الضباب بمدينة السيورنتاس جلست انتظر القائد جياو بقصره.. كان قصر جياو مفتوح الأبواب دائماً وليس بالقصر الكبير ولكن هو مبني ضخم صخري وبالهبو الفسيح الصخري اعتدت مجالسة القائد جياو.. وقد تقربت منه بالأونة الأخيرة عساه أن يجد طريقة للوصول لمملكة الغوال.. وظللت انتظره لوقت كبير حتى أتى وجلس ثم قال.

لقد وضعنا كل شيء لمساعدتك ستغادر غداً

فقلت برضا:

. هل ترى أن الخطة التي وضعناها ستجدي نفعاً؟

. نعم ستجدي نفعاً.. ورجالي لن يتركوك سوى قبل أبواب مملكة

الغوال بقليل

. أشكرك يا قائد جياو على ما فعلت لأجلي ومساعدتك لي

فقال مبتسماً:

. بل أشكرك أنت لأنك لم ترانا حيوانات ورأيت أننا بشر مثلكم

ثم أردف بود:

. أتمنى أن يكن ميسلان برفقتك يا رسول اليكسارنه

قلت ضاحكاً:

. وهل سيقتنع الغوال بأنني رسول اليكسارنه؟

. نعم نحن نعلم أنهم مغرورون لحد الغباء ولن يبحثوا في شأنك

ثم تابع محدثًا:

. لا تخاف وإلا قتلوك

. لن أخافهم

قال جياو:

. ارتاح قليلاً فستغادر بالصبح

مضيت بالطريق مع بعض من رجال السيورنتاس.. وكانوا عشرين رجلاً بعضهم أدلاء.. وبعضهم يجيد القتال.. وقد حرص القائد جياو على ألا يتركني وحدي أذهب نحو مملكة الغوال.. وعلى أن يتركوني قبل أبواب مملكة الغوال ويعودوا من حيث أتوا.. أما عن الطريق فلم يكن وعرا وكنا نعبر غابات ومياه راكدة وأخرى جارية. نعبر الطريق دون الحديث سوى بشأن قوم الغوال وعاداتهم.. ولا عجب أن السيورنتاس يعرفون الكثير عنهم.. فهم يتلصصون على الأقوام الأخرى خوفاً من الحرب وخوفاً من إبادةهم.

لقد استطعت الهرب من شيمف بعد محاولات عدة.. ومن منعه حقاً أن يأتي خلفي هو القائد جياو ذاته الذي منعه بالقوة بعد أن أرهق من أمره.. ولا أخفي عليك حيي الشديد وتعلقني به.. بل حيرتي في أمره أيضاً.

هكذا كنا نمضي في طريقنا نرتاح قليلاً ونمضي كثيراً وامتطيت الأسترية بينما ترجل السيورنتاس خلفي.. وتبعوني كأنني قائدهم الذي يمثلون لأوامره.

عندما اقتربنا من مملكة الغوال.. وكنا صباحاً وحر ميسلان قد أرهق النفوس.. فرأيت ساريات حراسة تحوم حول مملكة الغوال.. اختبأت مع رجالي من السيورنتاس خلف الأشجار القزما والصخور الصفراء.. وكنا نبتعد مسافة كيلومترات عن مملكة الغوال.

رحت أتأمل قوة رجال الغوال وحققاً كانوا قبيحين وبلا شعر.. أما أجسادهم كانت مفتولة العضلات.. ولكن مازال جسدي أقوى منهم أيضاً.

فقال قائد رجال السيورنتاس:

. سيد شاكريم أظن أن مهمتنا قد انتهت الآن

قلت بخبث:

. هل تحبون ميسلان؟

فقال بعجب:

. نعم نعبه.. لماذا تقول مثل ذلك؟

. هل تنوون التضحية بأرواحكم إرضاء له؟

فقال السيورنتي:

. أنك تتحدث مثل الكهنة يا سيد شاكريم

. لا أنا أسألكم عن غايتكم الآن

. نعم نضحي بأرواحنا

قلت بعجل:

. أركضوا خلفي ناحية ساريات الغوال

فقال مقطبًا:

. سيد شاكريم نحن لا نريد إشراكنا في قتال

قلت بحزم:

. أركضوا خلفي وعندما نقرب منهم هاجموني

فقال ببلاهة:

. كما تريد

"قليل من الخيانة تكفي" ذلك ما قلته

لأن جياو قد أخبر رجاله أن يمتثلوا لأوامري.. ويفعلوا ما أطلبه.. وإن هلكوا.. أدركت أن الخيانة لن تعد خيانة فهي لههدف أسمى.. ولأن خطة

القائد جياو كانت بائسة ولا ترضي طموحات نفسي.. عقدت العزم على وضع خطة لن أخبرها أحدًا.

القائد جياو كان يريدني أن أدلف مملكة الغوال.. وكأني رسول من مملكة اليكسارنه.. وأطلب منهم الهدنة.. ومن ثم أكون بين رحمة قيشاك.. أما أن يتركني أذهب أو يلقي بي في سجونهم.. وفي كل الأحوال سأعلم.. ولكن علم لا ينفع.. فهل سيأتي السيورنتاس لتخليصي إن تم النزج بي في سجون الغوال!

أمطيت الاسترية وسرت بسرعة ناحية ساريات الغوال.. وكنت قد اقتربت من أسوار المملكة.. ظننت ببداي الأمر أن الغوال سيأتون لتخليصي ولن يهابوا السيورنتاس.. ولكن عندما رأوا رجال السيورنتاس خلفي راحوا يركضون بسرعة ناحية أبواب المملكة فتعجبت من أمرهم.

وقفت أمام أبواب المملكة يفصلني عنها ربما قصيرة.. وأشهرت سيفي في وجه رجال السيورنتاس.. فنظروا بعجب وقال قائدهم.

. سيد شاكريم ماذا تفعل؟

أطحت برأسه وأنا أصبح هذا لأجل ميسلان.. ولكن سرعان ما تغير قوم السيورنتاس.. وبدت أمارات الشر على وجوههم فأشهبوا سيوفهم وقتلوني.. كان قتال لم أعهده من قبل حتى أنني أصبت في جسدي.. وعلى مرأى من جنود الغوال فتكت بمخلوقات السيورنتاس.. ثم جثوت على ركبتي معطيًا ظهري إلى أبواب مملكة الغوال ومستندًا على سيفي.. وكم مضى من الوقت لم أحسب.. فقد بلغ التعب مني مبلغه حتى شعرت بيد تربت على كتفي.. فنظرت إلى صاحبها.. وكان رجلا قوي الجسد أصلع الرأس أفتس الأنف.. كان دميم الخلق حتى أنني تأملته حينًا شاردًا به

قال الرجل:

. من أنت وكيف عبرت غابة السيورنتاس من دون أن تقتل؟!.. بل
كيف قاتلتهم هكذا؟

صمت وما زلت شاردًا به فأضاف:

. من أين أتيت بهذا الجسد القوي؟ وما قصتك؟

فقلت كلمات مقتضبة:

.أريدماء

وتظاهرت بفقدان الوعي.. فحملني رجال الغوال إلى داخل أسوار
المملكة

بكوخ خشبي بمكان ناء بكون ميسلان.. كان الكوخ أمام نهر كبير
ومُحاط بالأشجار واقفًا في غابة على الضفة اليسرى من النهر.. الصمت
مطبق ومخيم على هذا المكان ولا أحد يمر من هنا.. غياب تام للبشر
وغياب للصوت في الكون إلا في ذلك الكوخ.. علا الضباب.. وغاب كل
شيء خارج الكوخ.. أما بداخل الكوخ كان هو..

أنه العظيم حيمان ينام فوق جذع خشبي.. ولم يستيقظ منذ
المعركة.. وما فعل هذا به هي الأعشاب التي تم وضعها له فوق وجهه
فكلما استيقظ غاب عن وعيه.. وكلما عاد لوعيه ينسى ما رأى.. لقد
فعل هذا المثلث الجالس على مقربة منه لهدأ من روع حيمان وثورته..
حيمان بعد أن رأى موت كورماو أمامه وفرار الجيش فقد الأمل في كل
شيء.. وكأنه فقد عقله.. لم يرد حيمان ترك ميدان الحرب.. ولم يكن
هناك سبيل آخر سوى إصابته في رأسه حتى يترك ميدان الحرب.

الكون مشتعل وحرب النهاية قد اقتربت بما يكفي.. ولن يصمت
حيمان حتى وإن حارب وحده.. فقط يحارب ويموت لأجل قضيته ولما

بدأت كوابيس حيمان وهواجسه تهدأ أثر المثلث تركه يستفيق على صدمته.. صدمة هزيمة جيشه وهول ما سيراه.

استفاق حيمان بعين جاهدة فقال له المثلث بود:

. أهلاً بعودتك يا فارس اليكسارنه

فاعتدل حيمان وجلس ثم قال:

. أين أنا؟

. بكون ميسلان

. أين ذهب الجيش؟

. هون على نفسك يا حيمان.. لا داعي للحديث بهذا الشأن الآن

فقال حيمان بضعف:

. هل فقدته؟

. لا تقلق

ثم أردف حيمان:

. لماذا تخفي وجهك؟

. لأنني لا أريدك أن تعرفني

فقال حيمان بوهن:

. علمت من أنت يا رجل.. أنا لست أفضل منك.. جميعنا مذنبون

. هل تعلم من أنا؟

. رجل فقد عقله.. وكاد يهلك قومه.. ولكنه هلك وطوي كماض.. أنت

المنبوذ

فقال الرجل باكيًا:

.يكفي ما قلت يا حيمان.. لقد أرهقت من ذنوبي

. من منا بلا ذنوب.. وأنا لست إله لمحاكمتك

فقال الرجل بتعجب:

.لقد أخبرني شاكريم من قبل ألا اقترب منك حتى لا تفضح أمري

قال حيمان بغضب:

. ملعون هو.. لقد جعلني أحارب وأفقد الكثير بحرب بائسة

ثم أضاف بضيق:

. أنه مثل الكهنة

قال الرجل مدافعًا:

. أنه صالح يا حيمان.. ولولاه لقتلت منذ أمد

ثم نزع الرجل لثامه فنظر إليه حيمان وقال بوجه خالي السمات:

.لقد نسيت وجه الأمير كولادو!. أهلاً بعودتك يا رجل

أمضيت اليوم بغرفة أحد الحرس نائمًا.. ولم أتحدث مع أحد.. فقط نمت كما لم أفعل من قبل.. ولعل ما مررت به أرهقتي.. ومعركتي مع السيورنتاس قد أضعفتني حقًا. فهم أقوياء بما يكفي لكن أغبياء ومثل الجميع يمثلون لأوامر القادة.. تساءلت بنفسي هل كانوا يعلمون أنني سأقتلهم؟! هل يمكن لأحدهم أن يمضي نحو هاويته؟! هل لأنني قمت بدور الكاهن وطلبت منهم ذلك باسم الإله؟! جميعها أسئلة تدور بخلدي.. وأما عن قوم الغوال كيف يخشون مخلوقات السيورنتاس إلى هذا الحد؟! وتراجعوا عندما رأوهم يركضون خلفي.. الأمر بات غريبًا حقًا.

جلست فوق مضجعي بغرفة بسيطة الفراش تقترب من أبواب المملكة
تخص الحرس.. ولم استيقظ حتى صباح اليوم التالي عندما أتى أحد
قادة الحرس وأيقظني. فقممت واعتدلت من مجلسي.

كان رجل مثل الجميع هنا دميم الخلق ولكنه كان يرتدي درع فضية
لقائد وملابس القادة.. وكان يقف خلفه جنديان يؤتمران بأمره.. ويقفان
متأهين.

ما أن دنا مني الرجل حتى قال:

. أنا القائد ماريوك قائد حرس الأبواب الأمامية لمملكة الغوال.. وقد
انتشر أمرك بين الجنود يا رجل.. واختلقت القصص عنك حتى أن
البعض لا يصدق ما رأى.. وأنا لم أصدق سوى عندما رأيت جثث
السيورنتاس الذين قتلتهم.

قلت بحزم:

. أتيت لأرى الأمير قيشاك

فقال بغضب:

. لن تراه قبل أن أعلم من أنت

. لن أتحدث سوى في حضرته.. وما جعلني أعبر غابة السيورنتاس دون
أن أهلك سوى أمر هام.. فلا تجادلني وإلا غادرت.. ورحلت نحو قريتي
الصغيرة أقصى شمال كون ميسلان

. أنت من الشمال؟

. نعم

. من أية عشيرة؟

. من عشيرة لم ولن تسمع عنها.. ونحن أقوياء كما أخبرك جنودك

فقال بود:

. لماذا تريد رؤية الأمير قيشاك؟

. أخبرتك من قبل أنني لن أتحدث سوى في حضرته

. حسنًا أتبعني يا رجل

قال كولادو

ما أدراك ما الكهنة وقوة الكهنة!. لقد أقنعونا أن شمس ميسلان فوقنا.. ولكن العالم أصبح رماديا لذا فهي لا تشرق على كوننا.. كم من تناقض هذا!.. هل فكرنا بذلك قط من قبل؟! نحن عميان نساق وراء الباطل وهو ظاهر لكن القلب أبل أن يراه.. أتعلم لماذا أبل؟ لأنه سلم للكهنة.. فهم يستحوذون على أرواحنا.. ويعبثون بقدرنا باسم ميسلان.

جميعنا سواسية ولا فارق بين حاكم ومحكوم.. وقد قادوني نحو المعركة التي هزمت بها وأرهقت مملكتنا.. هذا هو سحر الكهنة وذلك كان الطريق الباطل.. اليوم أنا كولادو صرت منبوذا حقًا.. أخشى أن يرى أحدهم وجهي.. بل أخشى أن أرى وجهي.. أثم الماضي تلاحقني وتلحقني فتزيد الوهن بنفسني وتذكرني بما اقترفت يدي.

وهكذا ظلت بعد فراري من المعركة أرتحل بكون ميسلان وأخفيت وجهي عن الجميع.. ولما أمضيت تلك الأيام بين هواجس نفسي عقدت العزم على العودة إلى مملكة اليكسارنه.. وإعدام الكهنة جميعًا.. وإن ذهبت بعدها للجحيم لا يهم.. لكن قد رأيت فتى واهن قابلته من قبل حسبت أنه ترك المملكة.. وكان ضعيف الجسد.. لكن قد تغير كليًا فامتلك جسدا لا نملك مثله بكون ميسلان.. ولا حتى شعوب الغوال.. ذلك الشاب هو من أنقذني من مصير محتوم بالقتل.. وأخبرني بأن الكهنة قد جعلوا مراند الضعيف قائدا لجيوش اليكسارنه.. وأن تم إشاعة نبأ

موتي.. فعلمت حينها أن عودة كولادو أصبحت مستحيلة.. وأن الموت أقرب إليه مما يريده.. فعدت أدراجي واستمعت له.. ولأنني كنت واهناً استمعت وقبلت ما قال.. ثم أخبر فارس يدعى كورماو أن يكون رفيقي ويحسن حمايتي حتى يمكنني العودة.

كم شعرت بالفخر عندما علمت أن حيمان يحمي الشعب من الجنود الباطشة به.. ولكنه أخبرني ألا أقرب منك.. أنا أعلم من أنت يا حيمان ولكن لم أكن أعلم أن بمقدورك معرفة من أنا إن تواصلت مع روجي كثيرا.. فكان كورماو هو قائد المثلثين أمامك.. وكنت أنا قائد المثلثين دون علمك.

وقد أنقذتك من أيدي الكهنة قبل أن تعدم وأنقذت غيرك.. لعلي أكفر عن أثامي وما فعلته بشعبي.. فأنا من ساقهم نحو الحرب.. وقتلت أكثر من ثلاثمائة ألف جندي من خيرة فرسان اليكسارنه لأجل إبادة شعوب أخرى وقد أتت الرياح بما لا تشتهي السفن.. ويا ليت الرياح أعادت سفينتي لبرها أو دفعتها بعيداً بل الرياح حطمت سفينتي وقتلت أمالي.

ها أنا الأمير كولادو المنبوذ الذي حطم شعبه وأذاقه الويلات.. لكن صدقني يا حيمان لم أكن أدري ماذا أفعل.. أنهم يستحوذون علينا أكثر مما تستطيع وإن رأيتك أقل منا بسطوة الكهنة إلا أنك لم تسلم منهم يا حيمان.

كان حيمان جالساً أمام الكوخ الخشي وأمامه كولادو يقص عليه نبأ ما حدث وهو منتصب الجسد.. واقفاً باكياً كمن وقف أمام قاضي الاعتراف.. الأمير كولادو أراد فقط أن يسمعه أحدهم.. أراد أن يقول لحيمان هل أنا مخطئ؟!.. أراد الكثير ولكن حيمان نظر إليه بعين ثاقبة واثقة حتى بكى كولادو كما لم يفعل من قبل.

قال حيمان:

. صدقت في بعض ما قلت.. وكذبت في أكثر

قال كولادو باكيًا:

. في ماذا كذبت؟

. كذبت في أنهم يستحذون عليك

. أقسم بحق ميسلان حدث

. لا داعي.. أنا لست هنا لمحاكمتك يا أميرنا.. ولكن أردت أن أعلمك أن

لولا أن نفسك واهنة وضعيفة ما اتبعت الكهنة حتى تبديد هذه الجنود

ثم تابع:

. نعم أنا لم أسلم من شر الكهنة وحيمان مثل الجميع.. ولكنه وجد

طريقه نحو معرفة ما يريد.. أنا لا أحاسبك لقد أخطأت مثلك يا كولادو..

وحسبت أن جيش الرجال سيتمكن من الفوز بالمعركة.. ومات كورماو

وفي رقبتى دمه

قال كولادو:

. أنت لا تعلم يا حيمان أن الجيوش تجمعت بمعسكر القديم..

وبأعداد فاقت ما فقدته.. جميعهم أتوا لأنهم ظنوا أن حيمان قتل

بميدان الحرب

ثم أردف متأثرًا:

. لقد كنت على صواب.. وإن تمت إبادة جيشك تظهر جيوش أقوى

تحب الحق وتريده

قال حيمان:

. خذني إلى هناك

. الآن الهدنة ولم تبدأ الحرب بعد.. فعادت جيوش الكلدان لمملكتها
ولن تهاجم اليكسارنه بعد أن اتفق الكهنة على هدنة حرب.. وإن بغى
أحدهم انتهت الهدنة

. لا أمان للكهنة يا أميركولادو.. خذني إلى معسكر الجنود

. هيا بنا

مملكة الغوال أو مملكة القبح كانت.. فما مررت به بطرقاتها كأني
أعبر الخراب جميع مبانيها مهشمة وصخرية.. أيضاً بعضها كان خشبياً
والآخر بلوري من طابق واحد والعشوائية متشفية بها.. لم أر غابات أو
جنان.. لم أر سوى معسكرات الجنود وعاد مشهد الدخيل بمملكة
اليكسارنه يلاحقني.. ينظرون لي بعجب وريبة أيضاً.. لم أر سوى الرجال
فقط.. لم أر سوى الغوال يتابعون المباراة والمعارك الدامية بينهم.. حقاً
كانوا أشداء بالقتل.. وأقوياء باستعمال السيف.

لم يتعد قصر الأمير قيشاك كثيراً.. فكان مسيرة ساعات بعيداً عن
أبواب المملكة.. يسهل تمييزه بين الفوضى العارمة والحراسة المشددة..
كان قصراً بلوريا شديد الجمال.. وكأنهم استعانوا بأهل اليكسارنه لبناء
هذا الصرح الجميل.. بل كان أكبر من قصر الأمير اليكسار ويشبه كثيراً
من حيث النوافذ الأمامية وجنود السهام.. بابه كبير وأضخم من باب
قصر الأمير اليكسار غير أن أبوابه كانت مفتوحة على مصراعها.. أما الأمير
قيشاك فقد أخبر بنياً قديمي.. وكان ينتظرن ليطلع من أنا.. وذلك ما قد
أخبرت به من قائد الحراس.

عندما وصلت إلى الأمير قيشاك كان جالساً على مقعده الوثير.. وعن
يمينه صف من الكهنة الجالسين على مقاعد وثيرة.. وعن شماله كذلك..
وأمامه بعض من جنود الحرس.. فلما أبصرني رمقني بعمق.. وبادلته ذات
النظرات هو وكهنته.

كان ثاقب العينين وحاد الملامح لا يفرق عن باقي شعب الغوال سوى
بهيبة الأمراء.. والملابس الملكية السوداء.. هكذا ظللت أتفحصه.. ثم
اقتربت منه قليلاً.. وانحنيت تحية له.

قلت بتودد:

. سلام خير على الأمير قيشاك

فقال:

. سمعنا عن مقاتلتك لمخلوقات السيورنتاس؟.. ولذلك قابلناك

. سعيد برؤية قائد عظيم مثلك

فأوماً رأسه وقال بحزم:

. أدلي بدلوك

. أتيت إليك بأنباء لا تعلمها.. وإني لست بها عالم أكثر من كهنة
شعوبكم

فقال بغضب:

. هل تسبنا؟

. لا يا أمير قيشاك.. فقط دعني أخبرك قصتي البائسة.. ولكم الحكم
بعدها

فنظر إلى كهنته.. وبدت أمارات الموافقة على وجوههم فأردف:

. قل ما عندك.. ولا تضيع وقتنا

"قصة بائسة كاذبة"

لقد ولدت بقرية بأقصى كون ميسلان.. قرية مهمشة ولا علم لأحدهم بها.. فنحن المنبوذون من الجميع.. ولا أحد يكثرث لأمرنا بكون ميسلان.. أهل قريتي جميعهم مثلي أقوياء الأجساد والسواعد.. لكنهم بلا حاكم.. عشنا بفوضى وبحثنا عن تنظيم أنفسنا ولكن لا فائدة.. ثم ضربنا اليأس فأصبحنا نعيش على السبي والسرقات حتى شعرنا بغضب الإله علينا وأننا منبوذون بالفعل..

وكما تعلم انتشرت أنباء الحروب بكون ميسلان.. وتساءلنا لمن ننتمي.. ومن هو الشعب الذي يشهنا في قوتنا.. وبالطبع هذا الشعب هو شعب الغوال فأنتم أقوياء وشجعان مثلنا.. وعندما قال بعضهم أن ميسلان ابتلاكم بدمامة الخلق كانت كذبة.. بل ميزكم عن باقي الجميع وحباكم القوة مثلنا.

ولذلك عقدت العزم على أن أصل إلى المشرق المهيب لنطلب منكم انضمامنا لجيشكم العظيم بحرب ميسلان.. وفي طريقي نحو هنا علمت أن جيوش الكلدان والغوفاًل قد عقدت العزم على إبادة اليكسارنه فبقيت أقتص الخبر.. وعندها علمت أنهم تحالفوا عليكم ويريدون قتالكم.. فإن خرجتم لهم تمت إبادتكم لأنكم ستقاتلون جميع رجال كون ميسلان.. وإن بقيتم في أرضكم كنتم أقوى.. وقدرتم على الصمود في وجه طوفان الدم القادم.

ولا تعلم جلالتك ما مررت به لأصل إلى هنا فقد عبرت غابة مخلوقات السيورنتاس وهربت منهم وقاتلتهم وحدي فقط لأصل إلى هنا وأكون معكم أقص عليكم من نباتنا.

قال بإعجاب:

هل عبرت من غابة السيورنتاس وحدك دون أن تموت؟

. نعم أقسم بحق ميسلان فعلت

فقال ضاحكًا:

. ذكرتنا بأسطورة كلياث

فصمت ولن أتحدث ثم تابع:

. كم عدد رجالك؟

. فاق العشرة آلاف رجل فارس

. لماذا لم يأت رجالك معك؟

. نتجنب خوض المعارك الآن.. وإن كنا على أعتابكم لظننتم أننا غزاة

فقال باسمًا:

. صدقت يا رجل

ثم شرد قليلاً.. وقال مخاطبًا الكهنة:

. يبدو أنكم كنتم على صواب بشأن الهدنة

فقال أحد الكهنة على يساره:

. أميرنا ولكن أحد الجيوش قد تحرك بالفعل

فنظر إليه بعمق ثم قال بحزم:

. لا داعي للتحديث بشأن أمورنا الآن.. قولوا ما شئتم بمجلس الحرب

الذي سيعقد اليوم

ثم نظر إلي وقال:

. أما أنت فستمكث معنا قليلاً لنعلم صدق ما قلت

. كما تريد يا أمير قيشاك

فابتسم وقال:

. لا تقلق أنت ضيفنا.. فنحن نقدر الرجال الأقوياء مثلك

ثم أشار لقائد الحرس خلفي:

. ماريوك هذا الرجل ضيفك يحل بين رجالك وأحسن معاملته حتى
أطلب لقاءه ثانية

قالت لوانا محدثة نفسها..

حاولت مرات الهرب ولكن لم أستطع كان يطوقني.. يحاوطني حيثما
أذهب.. بت حبيسته وجاربتة.. أنه يغتصبني ويستبيح حرماتي.. فكرت
مرارًا أن أنتحرر.. ولكن خفت كثيرًا أن أغضب ميسلان.

رحلت يا شاكريم لأجل أن تغير قوانين ميسلان بشأن الجاريات
وتحارب لأجل اليكسارنه لم تعلم أنها قوانين الكهنة.. وليست قوانين
ميسلان.. وها هي قوانين الجاريات تغيرت.. وأصبحوا يغتصبوننا
ويجعلوننا متاعهم وقضاء شهواتهم..

القائد كرواف كان رحيماً بي.. هو يغتصبني فقط ومقابل هذا أجلس
في منزله أتناول الطعام.. ارتضيت بقدري كجارية وهذا عملي الآن.. لا
أملك الاعتراض أو الرفض.

عزبزي شاكريم يا من أطلقت العنان إلى أحلامي وجعلتني أؤمن أن
الغد أفضل لي ولك.. ذهبت وغبت عني.. وربما أنت قتلت في رحلتك
الموبوءة مثلما قتلت أنا في مملكتي المنكوبة.. ماذا أفعل الآن؟!.. أخبرني يا
من تركت قلبي يزرف دمه.. وعيني فاضت من جراحاته.. أخبرني بما
أذنبت؟!.. هل ما فعلت بالسيدة أشا يلاحقني؟!.. ماذا إن عدت ورأيتني..
وقد خنتك وبت بين أحضان أحد خدام الكهنة.. كرواف يخبرني بحبه..
ولكني لا أصدق أنه كاذب مثلهم.

أنا صدقتك أنت ولن أصدق غيرك.. رغم أن عقلي يخبرني أن أقبل ما
أنا فيه وأقبل هوان نفسي وإرهاق جسدي ما زلت أقاوم كلماته.

بينما كانت لوانا شاردة في غرفتها التي اختارها لها كرواف دلف
كرواف الغرفة.. وكانت الغرفة وثيرة حقًا شاسعة المساحة.. بها سرير
خشبي ضخم من أخشاب زيت الدبام وبلورية الأرضية والحائط.. متناثرة
بها الأرائك أمام السرير.. وفراشها من أثواب وثيرة قرمزية وضعت كصفيين
متوازيين أمام السرير.. رغم عظم الغرفة شعرت لوانا بأنها سجن كبير
يطبق على روحها.. وعندما كانت شاردة راحت تبكي دون أن تبصر شبح
كرواف الواقف خلفها وهي جالسة على أرضية الغرفة مستندة بوجهها
على إحدى الأرائك أمام السرير.

قال كرواف بعد أن علا نحيبها:

. لماذا تبكين؟

فتابعت بكاءها دون إجابته.. ثم قال بغضب:

. هل تجيبين يا لوانا؟

. لماذا لا أبكي وأنت جعلتني أكره جسدي وكوني ومملكتي

. لقد منحتك كل شيء

فقالت عابسة:

. لقد منحتني الموت

. هل الموت منحة؟!

. هذا ما تراه أنت

فقال ثائرًا:

. مصاحبتك لي أصبحت موت

قالت بتوسل:

. أرجوك أتركني أمضي وشأني

فقال ضاحكًا:

. أردت ولكنها قوانين الكهنة الجديدة.. لا أستطيع خرقها

. لعنت يا كرواف ومكثت بنار ميسلان

. ثم رمقها بغضب وترك الغرفة وغادر..

. هل تكف عن اللحاق بي في أحلامي يا خاوث؟

فقال مبتسمًا:

. لم تعد تشناق إلي يا سيدي؟

. نظرت ناحية الشجرة الكبيرة التي كنا نجلس تحتها من قبل

بالحديقة.. وقلت له

. هل نجلس؟

. نعم

. وعندما جلسنا عند الشجرة الكبيرة.. قلت بيأس:

. فقدت آمالي يا خاوث.. ومللت مما أنا فيه

قال برفق:

. جميعنا نفقد الأمل.. ونيأس يا سيدي

. لكن الجميع هنا قد أرهقتهم الحرب واندثرت آمالهم

قال بحزن:

.لا تبرر ما أنت فيه

قلت باكيًا:

.لا أبرر ولكن ضعف نفسي جعلني في حيرة من أمري

.لا حيرة يا سيدي.. أنت دائمًا على صواب

واختفى خاوث كعادته فصحت منادياً مرات.. حتى شعرت بيد
توقظني بعنف.

كنت مدد الجسد فوق أرضية غرفة أخرى للحرس.. وهي غرفة لا
تحتوى شيئاً سوى بعض الكراسي الخشبية.. كانت جدرانها خشبية..
ودون باب.. أرضيتها الصخرية أرهقت جسدي وزادت ضعفي حتى أيقظني
ماريوك وقال بعنف

.أردت أن أسألك بأمر ما

.ألا تستطيع الانتظار حتى أستيقظ؟

قال بود:

.لدي نوبة حراسة.. وما من أحد أتسامر معه

.ماذا تريد؟

قال بتحفظ:

.أريد أن أعرف كيف عبرت غابة السيورنتاس؟

.بقتال مريب

.هذا غريب

فابتسمت قائلاً:

. ما هو الغريب؟

. ما حدث.. فلن يحدث أمر مثل هذا من قبل أن يعبر أحد غابة
السيورنتاس منفردًا سوى بأسطورة كلياث.. ولكنها تعد أسطورة وضعت
لكي تبتث الشجاعة في قلوب جنودنا

قلت:

. وما هي قصة كلياث

فاقترب مني.. وجلس بجاني بعدما اعتدلت في جلستي وقال:

. سأقصها عليك

"أسطورة كلياث"

يحكى أن كان هناك فارس مقاتل من شعب الغوال خاض الكثير من
المعارك.. ولم يكن بذات قوة رفقائه.. ولكنه كان يجد دائمًا الطريق نحو
النجاة.. ويومًا ما خرج جيش كبير من تجمع الغوال.. ولم تُبنى مملكتنا في
ذلك الوقت.. فعبّر هذا الجيش كون ميسلان بحثًا عن الموارد التي
ستساعدنا على بناء مملكتنا.. وغاب الجيش أعوام وأعوام.. فقد شعبنا
الآمال في عودته.. ولم يأت أحد من الجيش ثانية..

بنينا المملكة ونسينا أمر الجيش الكبير.. ومرت الأيام ونحن نبني
ونكون مملكتنا بسواعدنا حتى أتى يوم ووجدنا أحد جنود جيشنا
المفقود على أعتاب مملكتنا.. فتعجب البعض عندما رآه وقيلت
القصص.. وهنا اختلق الرواة القصص والكلمات بشأن هذا الفارس..

قال كلياث أنه عبر غابات السيورنتاس دون أن يرى أحدهم.. ولكن لم يصدقه أحد في البدء.. فقال بعضهم أنه لم يغادر بعيدًا عن المملكة وأتى يختلق القصص لينول ودّ الكهنة..

لكن كلياث فعل ما جعل الجميع يصدق أنه ذهب بعيدًا بكون ميسلان.. فقد أخبرنا عن مبان زاهية عظيمة.. وشعوب ذات علم.. ووصف لنا قصورهم.. وهنا نال ودّ أميرنا.. وأصبح نائبه وأحبته شعوبنا.. وقالوا الأساطير بشأن قوته وهيئته..

كان كلياث أفضل من تولى الجيش بمملكتنا.. وجعل منها مملكة قوية وأصبح قصة تقال للجنود عندما يفقدون الأمل في النصر.

قلت متعجبًا:

. هل هي حقيقة؟

. لا تعدو محض قصة وخيالات

فأضفت:

. ومن قالها؟

. الكهنة أخبرونا بها؟

. إذن لماذا تقولون إنها أسطورة؟

. لأن الكهنة قالت إنها أسطورة

قلت مقطبًا:

. كلياث لم يكن حقيقة

فأومأ رأسه مبتسمًا ثم أضاف:

. إنها أسطورة رائعة.. وتحمس جنودنا

فأضفت متسائلاً:

. من بني قصر أميركم؟

. أحد رجال اليكسارنه.. كان خائناً كمثل الكثيرين هناك.. وعندما فرغ

قتله الأمير فنحن لا نأمن خائناً

قال أحد الجنود المتبارين بدهشة مزجت بسعادة بالغة:

. أنظروا من عاد..

فوقف الجميع منتصبين ينظرون إلى الرجلين الواقفين أمامهم.. وكل نظراتهم تحولت نحو العظيم حيمان الذي قطع مسافات شاسعة حتى وصل إلى المعسكر الذي تم تدريب جنوده به.. راح حيمان ينظر إلى أعداد الجند الغفيرة أمامه ثم نظر إلى الأمير كولدو الذي وقف بجانبه يرتدي لثامه..

سريعاً انتشر نبأ عودة حيمان بالمعسكر.. وزادت حماسة الجنود.. فاصطفوا وتزاحموا لرؤيته.. أما حيمان فكان مذهولاً من قوة الجيش الكبير أمامه الذي لم تبصر عيناه نهايته..

بقصر مملكة اليكسارنه في أحد القاعات التي يؤدي إليها أحد السلالم التي أحاطت بهو القصر اجتمع الأمير مراند مع كهنته.. وكانوا جالسين فوق حلقة دائرية من المقاعد البلورية أعلاها مقعد الأمير مراند يتشاورون بشأن الحرب وأمور المملكة..

قال مراند مخاطبًا كهنته:

. الهدنة لن تدوم طويلاً

فقال أحد الكهنة:

. نعم ذلك

ثم أضاف آخر:

. قائد مراند نحن نتخذ تدابيرنا جيداً

قال مراند غاضبًا:

. هل سيقف معنا الشعب بعد ما فعلناه به؟

ثم أضاف صائحًا:

. فرضنا الضرائب الباهظة.. ويطشنا بالشعب والجاريات.. غيرتم

قوانينهن.. أن الوقت لكي ندفع الثمن

قال كركال:

. أصبحت جبانًا يا مراند.. وتكلم مثل عامة الشعب.. ولم تعد القائد

الذي يستطيع قيادة المملكة..

ثم أضاف كركال.. وهو يجول بعينه ينظر إلى الجميع:

. نعلم متى ستنتهي الهدنة.. وأنت تعلم وجميعكم تعلمون أنه عندما

تفرغ الجيوش من خططها ستصبح الهدنة كأن لم تكن.. ونحن أعددنا

جيوشنا جيداً.. ووضعنا الشعب بضغط كبير حتى يتحمل قحط الحرب..
وما قد يحدث.. تنسى أنها معركة ميسلان الفاصلة وأنها النهاية.. وأنت
تعلم نهايتها أن القائد سيصبح الإله المنتظر.. وأنت لا تستحق..

قال مراند:

. كيف تجرؤ على مخاطبتي هكذا أيها الكاهن

قال كركال بغضب:

. بل كيف تجرؤ أنت على تحدي إرادتنا!

ثم أشار ناحية بعض من الكهنة وقال:

. طوقوه ليمكث في السجن حتى نفرغ من الحرب.. ونرى ما سنفعل

بعدها

قال أحد الكهنة:

. ماذا سنقول للشعب بشأنه؟

فأردف كركال ساخراً:

. لا أحد يأبه لأمر هذا الأرعن

ليلاً عند علو الضباب وأثناء مكوثي بالقرب من غرفة الحرس كان
البرد قد أتلجني.. وشعرت ببرودة أطرافي.. فغاب النوم من عيني.. وعدلت
عن فكرة الولوج إلى داخل غرفة الحرس بعد عادة ماريوك السيئة..
وإيقاظي بذات الطريقة المفزعة..

شردت لبعض من الوقت بشأن ما حدث معي.. وما قد يحدث فيما
هو قادم.. شردت بأمر حبيبتي لوانا.. وقلبي الذي انفطر بعد غيابي عنها
طيلة رحلتي وتركي لها بمملكة اليكسارنه.. فربما تعاني الآن وهل سينفذ
مارون وصيتي بشأنها؟!.. أما عن عليران.. فهل رد كنز نكتام أم قتل؟.. ربما

أطماعه البشرية جعلته يأكل أموال الصبي اليتيم!.. ماذا عن حيمان هل ما زال يدافع عن المملكة أم أنه ذهب إلى معسكره.. واعتزل الحروب كعادته؟!.. ماذا عن الغوال هل حقًا سيستمعون إلى ما قلت بشأن الحرب؟!.. ماذا إن لم يستمعوا؟!.. ما الذي سيفعله جياو عندما يعلم أنني قتلت رجاله؟!.. هل حقًا ما فعلت كان صوابا أم أنها خيانة لشعب أكرم ضيافتي وأحسن معاملتي..

وهكذا رحلت أفكر بأمور كثيرة.. وشردت عن حاضري.. ولم أبصر ماريوك الجالس أمامي.. لعل علو الضباب ذلك اليوم أحجب الرؤية كثيرا.. ظل يتفحصني ببربة ويرمقني بنظرات غائرة حينًا من الوقت.. ولكني لم أبه به.. وعندما أدرك أنني لا أعيره اهتماما ظل ينظر في عيني.. ثم قال بطريقة المفزعة كعادته:

. غريب أمرك يا هذا

قلت مبتسمًا:

. ما الذي جعلك تقول هذا؟

. تشرد كثيرًا وكأنك تحمل آثام فوق رأسك.. بل تحمل جبالا ترهق أمرك ولكنك تجيد إخفاءها

. جميعنا لديه الكثير.. أليس لديك الكثير؟

فقال ساخرًا:

. وماذا ستجد لدى محارب سوى القتل.. ماذا عنك؟

. لقد أخبرت الأمير قيشاك بأمرى

أردف بعين واثقة:

. لكنني أشعر أنك تخفي شيئًا ما

. أنت تشعر يا ماريوك.. وأنت محارب.. فأعلم أن شعورك كاذب..
فنحن فرسان لا نشعر سوى بالدماء

ثم أضفت ضاحكًا:

. أم أنك تريد قتلي؟

قال متلعثمًا:

. لو أردت لأخبرت الحرس بقتلك أمام أبواب المملكة عندما خارت
قواك

قلت:

. هل كنتم حقًا تأخذون نساء اليكسارنه لتتزوجوهن؟

نعم.

. أنا لا أرى النساء منذ قدمي هنا

. ولن تراهن يا رجل.. هن لخدمتنا وامتعتنا

تمالكت غضبي.. وقلت بثبات:

. أخلاق فرسان حقيقية

. أين نساؤكم؟

. لا يغادرن منازلهن

قلت بضيق:

. سأذهب إلى النوم

وقمت من مجلسي ثم تحركت تجاه أبواب غرفة الحرس.. ثم أدت
رأسي تجاه ماريوك.. وقد قل الضباب قليلا.. فرأيته ينظر لي بريبة وشك..
لكنني حاولت الثبات.. وعلمت أن علي الحذر من هذا الرجل.

دلف كرواف الياهو الفسيح في منزله.. وكان بهواً بلورياً لا فراش له
وستائره قرمزية.. كأنها لوحة رسمت بإبداع لكن ما شابهها هي لوانا التي
جلست على أرضية الياهو.. حزينة.. مضطربة.. بالكاد تخبئ قطرات الدمع
في عينها وتحجرت الدمعات في مقلتيها.. لكن قلبها فاض بالبكاء بينما كان
كرواف يعبر الياهو بخطى واثقة.. وزهو القادة.. يبتسم لكنها لم تكن تنظر
إلى الباب الذي أتى منه.. فقال ببهجة مزجت بسعادة:

. لقد عدت يا لوانا

لكنها قتلت سعادته قائلة:

. وما شأنى بك

اقترب منها كرواف ونزع درعه عن صدره.. ثم جلس بالقرب منها
وأضاف..

. لقد اشتقت إليك.. ولكن تعلمين أن الجفاء يقتل القلب

. يا ليت قلبك يموت.. وجسدك قبله

أردف غاضباً:

. بحق ميسلان سألقي بك في سجون الكهنة حتى تتعفني

قالت بغير اكتراث:

. سجون الكهنة أفضل من سجنك

. أنتِ تتحددين إرادتي

قالت ساخرة:

. ومن تكون حتى أتحدى إرادتك؟

. دعيني أخبرك قصة لتعلمي من أكون

فنظرت إليه بعين وثيقة.. بينمابادلها هو نظرات قاسية يكاد الشرر
أن يتطاير من عينيه

"كرواف القاتل"

أتيت إلى هذا الكون حتى أقتل وأقتل فقط.. عندما كنت صغيرا
علمت ذلك.. بيدين عاريتين قويتين تفتك بأي أحد.. أنا لم أر أبي طيلة
حياتي فقد قتل مدافعاً عن المملكة.. وذلك ما زاد سخطي على الشعوب
الأخرى وكرهتهم وأردت الانتقام منهم.. كان هذا الرجل في منزلنا يرأف بي
كثيرا ويغدق علينا بالمال والطعام أنا وأمي وثلاثة من أخوتي.. لكنه يأخذ
أمي من بيننا كثيراً وتغيب.. عند ذلك بدأ الكره والغضب يزداد بنفسي
منه وعقدت العزم على التخلص منه دون أن يشعر أحد..

وبالفعل قمت بذلك بعيداً عن منزله قسمته نصفين بالسيف بعدما
باغته.. وعادت قوانين الإرث فلم نجد مسكنا لنا وشردنا بطرقات المملكة
بحثاً عن الطعام وعملنا جميعاً.. وهذه المرة تزوجت أمي برجل غني
وعشنا بمنزله قليلاً.. رأينا شتى ألوان العذاب فكان يضربنا بالسياط
وكانت أمي تساعده.. لکني هذه المرة لم أقتله فقط بل قتلها أيضاً بعد ما
عذبتني أنا وأخوتي.. ماذا تظنين بشأن رجل قتل أمه؟!

كرهت النساء وقتلتهن بالحروب وقتلت الأطفال مثلما قتلت الجند
أيضاً.. ولكني عندما رأيت حسنك أحببتك.. لكن قلبي يمكنه أن ينسى من
أحبه.

نظرت إليه لوانا بخوف فأردف:

.أردت أن أعلمك من أنا لأنك تجعليني أكرهك

.هل جميع فرسان اليكسارنه قتلة مثلك؟

فقال بسخرية:

. نقتل لأننا نملك القوة لذلك

قالت لوانا بخوف:

. لكنك لن تقتلني

. إن كنت مطيعة

قال وهو يقوم من مجلسه ويرتدي درعه:

. سأذهب إلى القصر الآن وسأعود قريباً.. لا تحاولين الفرار كعادتك..

لقد أخبرت الحرس بقتلك إن فعلت

عندما جلس حيمان على الأرض البلورية أمام الجنود المتبارين كان الأمير كولادو يجلس برفقته، يتبادلان النظرات وينظران إلى جموع الجيش الكبير أمامهما، وقد زاد الجيش أضعاف وما زال يزداد.. وما جعل الجنود يأتون إيمانهم بحيمان الفارس، ورغم ما فعله حيمان بمعركته الأخيرة إلا أن الجميع أحبه وأطاع أمره..

لم يكن حيمان يدري ما سيفعل عند اندلاع الحرب سوى أنه سيقا تل بجيشه الجميع، وسيحاول أن يوقف سيل الدماء القادم، لكن كولادو كان يدري ما سيفعل عندما ينهزم جيش اليكسارنه.. كان عليه الظهور ثانية وإخبار الجميع أنه قد عاد، وربما اليأس حينها سيجعل الشعب يتقبله ثانية.

أبصر حيمان فارسين أمامه وقد فقد أحدهم رابطة جأشه من قوة الآخر وأراد أن يقتله، ونسى أنه يتدرب.. فقام حيمان متوجهاً إليهما ثم لطم الفارس المغتاض وقال..

. كف عن أخيك الأذى.. في أي معسكر تقا تل؟

فقال الفتى بود:

. أقاتل في معسكر حيمان

. لكن تلامذة حيمان هادئين محبين للسلم

قال بخشوع:

. صدقت يا سيد حيمان

فابتسم حيمان قائلاً:

. تابعوا قتالكما، والغلبة لمن كان هادئاً يعرف ما يريد

وعاد حيمان يجلس برفقه كولدو، فقال كولدو وهو ينظر إليهما:

. مازالا لا يعرفان ما نحن فيه

. رفقاً يا أمير كولدو الجميع لا يعرف ما نحن فيه

أردف كولدو بحزن:

. لكننا نعلم

. من تقصد أنا وأنت؟

. نعم

قال حيمان مبتسماً:

. لا يا أمير كولدو أنت لا تعلم شيئاً، وحيمان علم القليل

سأله كولدو بلهفة:

. ماذا تعلم يا حيمان؟

. لا أظنك ستدرك

فأردف كولدو:

. بل سأدرك

. ماذا إن أخبرتك أن هذه الصخور أسفلنا تتحدث، وتحكي عن ملاحم
لأناس قبلنا أفسدوا فهلكوا

فنظر إليه كولدو ببلاهة، ثم تابع حيمان:

. ماذا إن أخبرتك أننا نعيش قصة معادة، ولن تنتهي أبدا.. لكننا
نحاول أن نجعلها تسير في طريقها الذي يحدث دائماً

قال كولدو مضطرباً:

. ماذا إن لم تسير في طريقها الذي يحدث دائماً؟!!

. سينتصر الكهنة، وسهلك الجميع

قال كولدو:

. هل سنحارب الجميع بجيشنا:

. لن نحارب بل سنحاول أن نوقف الدماء

. وإن لم نستطع

قال حيمان بحزن:

. سنحارب

. من؟

. نحارب أنفسنا.. ففي الحروب الجميع يقاتل دون أن يعرف من
خصمه.. سنحارب في صف الأقوى

قال كولدو متعجباً:

. ماذا؟!!

امتثلت أمام الأمير قيشاك، وكان جالسًا على كرسي عرشه يرمقني بنظرات عطف، بينما كان الكهنة جالسين على جانبي كرسيه، وإذا به يقف من مجلسه، ويقول بزهو أمير

. رأينا صدق بعض ما قلت، ولكن أحد جيوشنا تحرك بالفعل، ثم سنبعث رجالا منا يخبروهم بالمكوث، وعدم التدخل فيما سيحدث حتى يدنو منا الخطر فنأخذ حيطتنا

ثم أضاف بعدما اقترب مني، وقد تأهب الحرس خلفي لحمايته فأشار لهم ليتراجعوا

. نشكر ما قدمت لأجلنا.. سلّ ما تريد، ولك ما سألت

فقلت بود:

. أردت وطنًا لي وأنا سي

. مملكة الغوال تتشرف برجال مثلك أقوياء السواعد وعظام الخلق

. أشكر عطفك أيها الأمير

ثم انحنيت محيياً وأضفت:

. هل يمكنني مغادرتكم؟ وأعلم أنني لا أريد الذهاب لكني لدي وعد لأفي

به

فقال برفق:

. غادر وعد برجالك، وستجد طيب المسكن لك ولرجالك

فقلت مبتسمًا:

. سيدي إن شعوب الكون قالت فيكم ما ليس فيكم وما شاهدناه

منكم الجود والكرم وحسن الضيافة.. أميرنا إن مملكتك عظيمة برجالها

وجلالكم تستحق أن تحقق نبوءة الكهنة.

قال:

. نعلم ما يقال ونحن مثل الجميع غير أن بأسنا أقوى وشجاعتنا تهاب
منها الجبال، وعندما يزداد الحقد تقال أشياء كاذبة
. صدقت يا أميرنا.. سأغادر بالغد وسأعود قريبًا قبل اندلاع الحرب،
ويسرني أن أقاتل في صفك دائمًا

فأشار لماريوك:

. أحسن ضيافته وأعطه ما يطلب في رحلته، وإن أراد رجال تعينه لا
تبخل عليه

انحنى ماريوك وقال:

. كما تريد يا أميرنا

أصبحت محتارًا في أمري مما وجدت في مملكة الغوال.. لم أر منهم غير طيب المعاملة، وربما ذلك نابع من إيمانهم بقوتي.. فقد قتلت مخلوقات السيورنتاس أمامهم.. ربما شعروا أنني فارس عظيم أتى إليهم ليساعدهم.. وكيف صدّقوا ما قلت بشأن تحالف الجميع ضدهم.. هم لم يتقصوا حقائق ما قلت، وآمنوا بما قلت مثل الجميع هنا.. إن الخديعة هنا سهلة، وهذه الشعوب تنساق وراء حسن الكلم.. وما زاد عجي كيف أنهم يحاربون لأجل لا شيء، ويتأثرون بكلمات قليلة، ويتقون ببعض ما يقال.

أليس قدرى أن أعيش في عالم ضرب الجهل جذوره فتعفن!، أما الغباء فقد كان ثماره.. لم أر هنا مثل حيمان الفارس في حكمته ودهائه، وكأنه يعرف كل شيء عن هذا العالم، ولكني أيضًا جعلته يتبعني فيما أريد.

ماذا إن كنت أنا الغبي؟!.. ماذا إن كنت أنا من أتبعهم؟!.. ماذا إن استيقظت وقد حلّ الدمار بهذا العالم؟!.. ماذا سيحدث؟!، سأصبح مثل الجميع ماضٍ مضى ويفنى العالم.. الآن غريزة البقاء تحركني وتدافع الجميع إلى ذات المصير..

ماريوك أتى عندما كنت شاردًا بخواطري في غرفة الحرس أستعد للنوم، وطلب مني مجالسته خارج الغرفة عند علو الضباب، وما زال ماريوك ينظر إلي برؤية وشك، لكنني لا أبه به.. خرجت بصحبته وجلسنا أمام الغرفة وقد تصنعت الود معه قليلًا

فقلت:

.سأعود قريبًا.

قال غير مكترث:

. أشعر أنك تخفي شيئاً عظيماً

. نعم أخفي

فقال بتأهب:

. ما هو؟

. أخفي الكثير من الحب لشعب الغوال

. لا ليس ذلك الأمر.. من أين أتيت؟!، جسدك، قوتك، كيف وثق بك

الأمير سريعاً هكذا

. الكلمات الصادقة تصدّق يا ماريوك

ثم أضفت:

. ولم آتي إليكم بشرّ حتى تخافوا مني.. لقد أتيت إليكم محذراً من

أمور تحدث في الخفاء دون علمكم.. لقد أتيت إليكم أحمل الود والإخاء،

لكنك تمقتني دون أسباب تذكر.. فقط تمقتني لأجل حدثك

فابتسم قائلاً:

. لدي من الحدث ما يخبرني أنك تخفي شيئاً عظيماً، ولكني لم أقل

أنك أتيت إلينا بشرّ يا رجل.. ومن يقدر على شعب الغوال غير ميسلان

ذاته

. كف عن التملق والغرور.. لو اجتمعت شعوب وعشائر ميسلان

ضدكم لن تستطيعوا أن تغنموا بنصر

قال غاضباً:

. أنت تتحدث بعداء يا رجل

. أنا أتحدث بطريقتك.. ما شأنك برجل يقول إني منكم ومعكم

ثم أردفت متأثراً:

. ما شأنكم برجل أراد أن يجنبكم هلاك الحرب والدرب.. هل تزدروه
أم تساعدوه.. قلت سأتي لكم بقومي يحاربون في صفكم، وهم رجال ليس
لأحد بهم طاقة، ولو أنهم زادوا عن المائة ألف لسخرت لكم كون ميسلان
تفعلون به ما تريدون

قال بود:

. أنتم أقوياء حقًا ولا أنكر حقيقتك.. فما رأيناه منك أمام أبواب
المملكة، وقتالك لمخلوقات السيورنتاس يخبراني أنني أمام فارس عظيم،
وذلك ما جعلني أحشاك

ثم أضاف:

. لأن كون ميسلان يعشق القوة ويقدهسها، فقد نجدك أمير مملكتنا في
يوم ما وتتحكم بكل شيء

. يا رجل أنا أمير قومي وليس لي حاجة بسلطان.. ولو أردت لم تركت
قريتي، وترحلت بكون ميسلان.. كان حقًا علي أن أجنب نفسي أهوال
الكون.. وأنت تعلم أن الكون مشتعل بين كزّ وفرّ.. يا رجل أنا لست
أسطورة كمثلك كليات أنا حقيقة تراها ويمكنك مطالعتها، ولديك العقل
لتتدبر أمري، ولا تقلق فأنا سأرحل غدًا

قال بحماس:

. هل ستعبر غابة السيورنتاس ثانية، أم ستتخذ الطريق الآخر؟

. نعم سأعود من حيث أتيت.. هل تريد مرافقتي؟

قال بخوف:

. لا أريد

فابتسمت قائلاً:

. كما تريد

حاولت لوانا التقرب من كرواف الأيام الماضية بعدما هددها وكشف لها حقيقة أمره فنالت وده وقزبه وتعطف عليها بالحب والهدايا النفيسة بل جعلها تخرج في الأسواق لتشتري من الحلي ما تشاء، ولكنها لم تخرج دون الحرس الذين يحاوطونها أينما ذهبت..

وكانت لوانا تنتهز الفرص للبحث عن مارون أو عن أي شخص قد يخبرها شيئاً عني ولكن لم تجد بدءاً من ذلك، فتبادرت في خلدتها خاطرة ذكية وهي أن تخبر كرواف أنها تريد زيارة سيدتها لإلقاء السلام عليها.. مانع كرواف في بادئ الأمر خاصة عند علمه ببعد المسافة، ولكنه وافق أن تذهب إلى سيدتها عبر طريق مختصر يخص الجيش ناحية ضاحية سيدتها، ولكن هي أرادت أن تعبر السوق وتدلف الحديقة لتتذكر ما كان بيننا.. أرادت أن ترى متجر السيد كمور ثانية لتتذكر ما كان..

وعندما مضت لوانا برحلتها راكبة الاسترية ومحاطة بحراسة من الجنود كانت تفكر في شأني وما قد تجده.. أرادت أي فرصة لتخبرها بوجودي، وأني لست في عداد الموتى..

وصلت لوانا السوق وسط الحراسة بعدما أمضت ساعات طويلة في طريقها، وعندما أبصرت متجر السيد كمور مفتوحاً على مصراعيه راحت تنظر بداخله بلهفة، فوجدت ذلك الرجل الذي رآته بصحبي من قبل.. رأت السيد عليراًن يجلس بداخل المتجر، وقد بدت عليه أمارات الترف ففرحت وأمرت الجند أن ينتظروها خارج أبواب متجر الحلي، وأن يمنعوا النساء من الدخول حتى تستطيع اختيار ما تشاء من حلي، فامتثل الجند إلى أوامرها وزادت ألا يقاطعوها..

دخلت لوانا أبواب المتجر ورحبَ بها السيد عليراًن بعدما تعجب قليلاً من أمرها، وكأنه يتذكر هذا الوجه الحسن، ولكن ذاكرته لم تأت بما يريد فقال لها محيياً

أهلاً سيدتي كيف أساعدك

قالت بعجل:

. أين شاكريم؟

. من أنتِ؟

فقالت:

. أنا لوانا.. ربما رأيتني من قبل، وأنا أهتم بأمره كثيرًا

قال بأسى:

. أحسبه فقد يا سيدة لوانا

. أخبرني بما حدث أتوسل إليك

فقال عليران:

. لقد فقدته عندما كنا نحضر كنز السيد كموور داخل حفرة عميقة،
وكانت مخلوقات السيورنتاس قادمة فهو من أخبرني أن أمضي بالكنز
حتى أردّه لصاحبه.. لقد كان عظيمًا حقًا.. لقد فقدت مملكة اليكسارنه
خير فرسانها

ثم أضاف بتأثر:

. يا حسرتي لقد مات ميتة شنيعة بين يدّ مخلوقات السيورنتاس
الهمج، وزادت مصيبتني عندما لم أستطع تنفيذ وصيته. ولم أجد نكثام
حتى أعطيه ماله، وبحثت عنه كثيرًا لكنه فُقد ككثيرين

صاحت لوانا به:

. أنت تكذب

. هدئي من روعك سيدتي هذا ما حدث بحق ميسلان

فقالت باكية:

. إذن رحل وتركني دون أن يحقق ما يريد.. لقد انفطر قلبي عليه.. وما
أشدّ الفقد

قال عليّ رآن:

. هوني على نفسك.. لقد مات ميتة الشجعان باحثًا عن حق
. يا ليته ما خرج وما بحث عن شيء.. يا ليتني هربت معه من الكهنة
وقامت لوانا غارقة في دموعها حتى أبصرها الحرس فظنوا أنه أحدث
بها مكروها، وأرادوا قتله لكنها كفتهم عنه، ومضت في طريقها مع الحرس
وهي لا تكف عن البكاء.

كان حيمان يتدرب بعيدًا عن معسكر الجنود مستعملاً سيفه، وكأنه
بصارع الهواء.. فراح يضرب اللاشيء بقوة يمينًا ويسارًا ويتحرك بخفة..
في ذات الوقت كان كولدو يبحث عنه بعدما باشر تدريب جنود فرقة
الملثمين.. وبعد قليل من البحث في المعسكر وجد العظيم حيمان، وكان
قد كف عن التدريب منذ أمد فنظر إليه كولدو معجبًا بعدما اقترب منه
وقال مبتسمًا

. ما زالت قوتك على حالها حتى بعد مرور سنوات عدة

. السنوات لا تمرّ هنا.. فقط تشيخ عقولنا

فقال كولدو ضاحكًا:

. نعم السنوات لا تمرّ يا حيمان أنا لا أشعر بتغير يطرأ على كوننا هذا

. بدأت تفهم يا كولدو

. قلت لك من قبل أنني أعي ما نحن فيه جيدًا

قال حيمان بخوف:

. إنها تحدث ثانية .

فسأله كولادو بعجب:

. ماذا؟

. كل شيء يخبرني أن الملحمة الكبرى ستحدث قريباً وأسرع مما نعتقد

قال كولادو:

. هل خبّرت من سينتصر؟

. الحق سينتصر، ولكن لن يموت الباطل حتى تعاد الملحمة في زمن

غير هذا

ثم أضاف حيمان:

. الهدنة هذه لن تدوم طويلاً.. لقد كانت حتى يفكر كهنة الشعوب في

مآل الحرب فقط وستخرق قريباً

. هذا ما أعلمه أيضاً يا حيمان

قال حيمان بأسى:

. لقد مللت من الحروب والموت.. وكرهت العيش بين شعوب كارهة..

متى لنا رغد العيش يا أميركان على صواب وضل

. أعدك عندما أعود لكرسي عرشي سأفعل ما يجعل مملكتنا قوية

محببة للسلم

. الحكم آفة وضلالة.. الحكم يوقظ ما بداخلك من صفات الإله..

الحكم يجعلك تظن غنك الإله.. الحكم ضلالة والولاية عبء

. كثيراً ما شعرت بذلك

فقال حيمان مبتسماً:

. هل هذا جعلك تترك حكمك؟

لم أستطع

جميعنا كذلك

ثم أضاف حيمان:

أخبر الأدلاء أن يذهبوا ناحية عشائر الكلدان والغوفال وما يجاورهم

ليتقصوا الأمر، والآخرين يذهبون إلى اليكسارنه

أذهب أنا

أمكث يا أمير كولا دو فأنا احتاجك

عبرت ناحية غابة السيورنتاس ثانية، ولكني عقدت العزم ألا أعبر غابتهم وأتجنب رؤيتهم حتى لا يسألوني بأمر رجالهم وسرت مسافة بطريق صخري موازياً لغابتهم، ولكنه كان ممرا ضيقا بما يكفي ووعرا، بل قريبا منهم أيضا على أطراف غابتهم.. ربما قليل من الغباء جعلني أظن أنني صرت بعيدا عنهم بما يكفي ولكن هم ينتشرون على أطراف الغابة.. فعندما أبصرتهم يتعدون عني قليلاً دلفت الغابة حتى لا يظنون أنني أهرب منهم، وسرت مسافة بالغابة حتى وجدت بعضاً من رجال السيورنتاس، وأبصرتني أحدهم وكنت رأيتة من قبل ممن يتناوبون التسكع بالغابة، وقد علا الضباب قليلاً

قال السيورنتي:

سيد شاكريم أهلاً بعودتك الأمير جياو ينتظرك بشأن أمر هام

خفت قليلاً ثم قلت بثقة:

نعم أريد أن أراه

فقال بود:

رافقني

ومضينا بطريقنا حتى أبواب مدينتهم الأرضية مرورًا بمبانها حتى
وصلنا إلى قصر الأمير جياو وكان جالسًا كأنه علم بأمرى وينتظرنى،
فاقتربت منه وجلست ثم قلت محيياً

. أردت أن أراك قبل الرحيل إلى اليكسارنه يا أمير جياو

فقال بأسى:

. هل تعلم ماذا حدث لرجالنا ولصديقك؟

قلت بخوف:

لا .

. لقد قتلوا جميعاً.. وجدناهم عند أبواب مملكة الغوال

ماذا؟ مارون

. نعم يا سيد شاكريم.. أخبرنى ماذا حدث؟

. لقد تركتهم، ولا أعلم ما حدث بعد ذلك

ثم أضفت باكياً:

. ماذا أتى بمارون خلفى؟

. لا نعلم ما الذى جعله يأتى خلفك، ولا نعلم كيف قتل الغوال رجالى

أنها سابقة

فصمت وقد زاد بكائى بشأن مارون فقال:

. ماذا حدث عندما قابلت أميرهم؟

. طلبت منه الهدنة ووافق

. لكنه أرسل جيشاً عبر غابتنا

ثم أضاف:

. أنه يكذب .

. لا أظن ذلك.. كان قتلي

. لعله تركك تذهب حتى يظن أهل اليكسارنه أنه قبل الأمر

. أريد النوم

. نم في موضعك هنا، وصباحًا نكمل حديثًا

قال كرواف عندما كان جالسًا في غرفته يرمق لوانا التي وقفت أمامه
باكية ولا تتحرك.. نظرت إليه فقط بنظرات غائرة حزينة ثم اكتسى
وجهها بالغضب..

. ماذا بك؟

. أردت أن أغادر منزلك

فقال غاضبًا:

. تصرين على إغضابي

. أفعل ما تريد فأنا ذاهبة، وسأترك لكم هذه المملكة الظالمة تعيثون
فيها فسادًا كما تريدون.. يا ويلتكم من الحرب.. يا ليتها فناؤكم

قام من مجلسه ثم دنا منها، ولطمها حتى سقطت وقال:

. بحق ميسلان لألقي بك في السجون حتى تتعفي

ونادى على الحرس بالخارج فأتى حارسان فأشار لهما بغضب:

. أحملا هذه الجارية إلى سجوننا

فقال أحد الحرس:

. كما تأمر

ثم أضاف بخضوع:

. أنت مطلوب في القصر الآن من الكهنة مع القادة

صبرًا علي يا قدر
صبرًا علي زرق عسر
بات أنيبي أمنيات..
كلمات فيّ تعنصر
إني قصيدة مرتلة
صاحبها غاب أم اندثر
إني حقيقة مكذّبة..
خيرٌ أم ستصير شرًا!
مات الأمان بخاطري
وفؤادي مني قد انفطر
إن عاد غدًا عالمي
لا أدري هل سأعود حر؟!
غابت رفاقي وفارقت
وطعامي زاد وزاد مرّ
والحب أصبح سمه
مخبوء بروحي مستقر
هل كنت أنا منهم؟!
أم لست محسوبًا بشر

أمام قصر الأمير جياو رتلت أغنيتي، وبكيت على من فارقت.. أعاد موت مارون ذاكرتي، وذكرني بخاوث وحببتي لوانا، بل ذكرني بوطي وما كنت عليه وما أصبحت فيه.. وكأن هواجسي قد زادت فأردت العودة سريعاً نحو اليكسارنه، وغبت عن حاضري شاردًا ثم انسابت دمعة من عيني مسحها ذلك الأصبع الصغير، فنظرت إليه مبتسمًا وقلت..

. شيمف الأحمق اشتقت إليك يا فتى.. يا ليتك تشعر بما أنا فيه!

ثم أضفت باكيًا:

. يا ليتني أشعر بما أنت فيه.. فربما أرى مصيبتك لتواسي عني مصيبتى.. لماذا يقولون أنك ذكي، وقد وضعت تقويم أفضل مما وضعته اليكسارنه؟!.. أنا لا أرى سوى أحمق أمامي

ثم تابعت:

.ربما أنت عبقرى لذلك لا تحدث أحدا!

فنظر إلي ببلاهة ثم قلت:

. هل تعلم مارون؟ من كان يرافقي ويمقتك يا أبله.. لقد مات ميتة حزينة.. لقد حاول اللحاق بي لأجل شيء ما ثم مات.. يا ليتك أنت من مات يا قزم لا تفيد

ثم وكزته بقوة وقلت:

. قم ولا تتبعني لقد سنمت منك ومن صمتك.. إن لم تتحدث غادر

الآن

فأشار براحتي يديه ثم أشار بسبابته ناحية قلبه وبكى..

قلت بعجب:

. ماذا تريد أن تقول؟!، هل أنت حزين لفقد أحدهم مثلي؟!..

ركض بعيداً ولم أبه لأمره ورحلت أتابع شرودي قليلاً

دلفت إلى قصر الأمير جياو بعد حين وجلست برفقته بهو القصر بعد أن سألت وعلمت أنه ما زال بالقصر، وبعد حين من الصمت قلت له
بود..

. أمير جياو أشكر حسن ضيافتك ولباقتك معي.. أن أوان الرحيل عن
مدينتكم

فقال مبتسماً:

. يمكنك الرحيل متى شئت، ولكن أخبرني ماذا تنوي أن تفعل؟

. لا أعلم سأشارك بالدفاع عن مملكتي حتى الموت أو النصر

قال بأسى:

. لقد أصبحت مثلهم يا سيد شاكريم

. ماذا يمكنني أن أفعل؟ وهذه الرحلة لم تفيد.. ما فعلته حقاً هو أنني

رأيت الغوال، وتحدثت معهم بشأن الهدنة

ثم أضفت:

. وأيضاً معرفتي بقوم مثلكم.. لقد خسر كون ميسلان كثيراً عدم

وجودكم بين عشائره.. تباً للكهنة على ما فعلوا

قال جياو:

. إنها النهاية يا شاكريم

. أليس هذا ما قيل؟ لتهلك شعوب الكون المتصارعة.. ماذا يمكنني أن

أفعل؟

قال برفق:

. أنت لست مثل الجميع يا شاكريم؟ .. أنت من استطاع أن يتخلص
من سطوة الكهنة، ويرى من نحن ويتواصل معنا.. أنت أملنا في أن يعلم
الجميع حقيقتنا

. أنا لا أعي ما تقول

فقال مبتسمًا:

. أنا ورجالي طوع بنانك إن كنت تستطيع أن تجنبنا هلاك الكون
وتوقف نبوءة الكهنة

فقلت بعجب:

. ماذا تقول يا جياو؟

. سيد شاكريم.. دائمًا ما بحثنا عن الحق وعن إرضاء ميسلان.. واليوم
لن يكون ميسلان سعيدًا بإبادة كونه

ثم أضاف:

. وهي معركة النهاية.. فهلاك كون ميسلان فيه هلاكنا.. ولن تتوقف
الحروب ما دام لم يوضع لها حد

. عجبت أمرك يا أمير جياو

ثم تابعت بحماسة:

. يبدو أنني سأمكث بينكم.. هل جمعت رجالك؟

. ستأتي شعوبنا من كل صوب، وسنكون طوع بنان أمرك

فقلت ساخرًا:

. لكنكم لا تعرفون شيئًا عن الحرب

. تعلمنا كيف نحمي أنفسنا

بمملكة الغوال بقصر الأمير قيشاك كان حاضرًا ذلك الجندي الذي
ملأت جراحات الحرب جسده أمام الأمير وصف الكهنة، وكان الأمير
مستشاط غضبًا مما رآه فقال بغضب بعد أن قام من كرسيه:

. تعود إلينا بألف فارس!.. هل طُلب منكم خوض قتال أم طلبنا منكم
مراقبة ما قد يحدث وتأتون لنا بما سيفيد

فقال الجندي بخوف:

. العالم بالخارج دارت به رحى الحرب، ولم نستطع التفوق أمام الهول
الذي كان أمامنا
ماذا حدث؟

. سيدي لقد تكالبوا علينا وبتطشوا بنا على غِرة، ونحن جنودك أقيواء
كالسيف.. لا نهاب الموت ولا شيء.. نحن نقاتل لإعلاء كلمتك وإرضاء رسل
ميسلان العظيم

ثم نظر إلى الكهنة بتوسل فقال أحد الكهنة للأمير قيشاك:

. أميرنا دعنا نستمع لما حدث لعلنا نجد ما يفيد في دلوه

قال الأمير بحزم:

. تحدث يا رجل

"معركة الصحراء الشاسعة"

خيمننا بالصحراء الشاسعة التي تفصل مملكتنا عن الممالك الأخرى
المعادية وكان هذا موقعنا الأفضل حتى نرى العدو أمامنا إن أردنا الفرار
أو خوض قتال وكان كل شيء يسير كما حُطّط له.

ما حدث بعدها لم نحسب أن يحدث مطلقاً وبينما نحن نتدرب ذات يوم وقد نصبنا أكواخنا وبنينا قرية صغيرة فيها متاعنا أبصرنا على مدّ البصر فرقة صغيرة من الجنود ولم تكن بذات العدد الكبير.

كيف ننسحب إذن؟!، هل يفر الغوال من فرقة صغيرة؟!، وقفنا ونظمنا أنفسنا وكانت هذه الفرقة تطوي الأرض طياً أماناً، كنا نسخر منها وقلنا ربما فقدوا عقولهم لما يفعلون؟!

اشتبكنا معهم وقتلناهم حتى كدنا ألا نذر منهم أحداً وكنا نفخر بقوتنا ونظيرها وكما تعلم أميرنا هي عادتنا، لكن انشق الكون عن جيش أماننا يأتي كالسيل فاضطرب الجنود مما رأوه ولم نملك وقتاً حتى ننسحب.. هم قد اقتربوا ولم نعد نستطيع الفرار وكان علينا ملاقاتهم وأن لا مفرّ منهم.

أعلمك يا أميرنا أننا قاتلنا كفرسان وهزمتنا كأبطال ولما دنت منا الهزيمة افتدانا بعض من الجنود حتى نفرّ مع بعض من رجالنا لأخبرك بذلك الهول القادم.

وهم لم يتبعونا عندما فررنا بل جمعوا غنائم النصر وأحسبهم عادوا من حيث أتوا.. حتماً لا يستطيعون أن يأتوا لنا في أرضنا هنا فسوف نقتلهم ونسلخ جلودهم.. تباً لهم أولئك القتلة الذين باغتونا وهي ليست أخلاق فرسان.

قال الأمير بغضب:

. عما تتحدث يا أحمق.. إنها حرب ليس بها مدعاة للخُلُق ونحن نفعل مثلما فعلوا لا توعز فشل جيشك إلى أمور تافهة

ثم أضاف الأمير:

. من هم؟!

قال الجندي بخشوع:

. فرسان اليكسارنه.. حمر وبيض الوجوه ورءوسهم حليقة ولحاهم
طويلة

. إنهم فرسان استطلاع اليكسارنه.. يبدو أن الفارس شاكريم كان على
صواب؟

ثم نظر إلى الكهنة وقال بخشوع:

. ماذا ترون بهذا الشأن؟

قال كبير الكهنة الذي كان يجلس على يسار كرسي الأمير:

. لا وقت للاستماع لكلام أحد.. أوامر بأعداد الجيش سوف نضربهم
ونقاتلهم حتى نفني مملكتهم

ففكر الأمير قليلاً ثم قال لأحد القادة أمامه:

. أوامر الجنود أن تستعد أنا سأقود الجيش بنفسي إنها حرب النهاية يا
رفاق

بقصر الأمير بمملكة اليكسارنه كان كركال يقف برفقة كهنته وبعض
من القادة يتشاورون فيما هو قادم، وبالطبع كان كرواف حاضراً بين
جميع القادة.. يشكلون مثلث رأسه الكاهن كركال وضلعيه من الكهنة
وقاعدته قادة الجيش.

قال كركال:

. هنيئنا لنا النصر على جيش الغوال.. حتمًا سيتحركون الآن والخطة
تسري كما خطط لها سنخرج لهم ونقاتلهم خارج حدود مملكتنا

فقال أحد القادة:

. لكن الجيوش الأخرى قد تأتي

. أرسلنا فرق الاستطلاع بأرجاء الكون، وسيأتون لنا بأنباء عظيمة إن حدث شيء

ثم أضاف:

. لكن الغوال هم الخطر الأكبر. وإن قضينا عليهم وطوعناهم سنغنم بالفوز، وتتحقق نبوءة الكهنة، وتصير هذه جنة ميسلان

فنظر إليه الجميع بحماسة غير وجه كرواف الذي بدا عليه الأسى، ثم نظر إليه كاهن الإعدام وقال:

. ماذا بك يا كرواف؟

. لا شيء سيدي الكاهن

. أرجو ألا تنسيك النساء أمر ميسلان

فقال كرواف مضطربًا:

. لا يا سيدي.. إن كنت تقصد الجارية فهي الآن بالسجون

. أحسنت يا كرواف

ثم أضاف كركال:

. عند نهاية الحرب ستعود قوانين الجاريات كما كانت

قال كرواف متلعثمًا:

. لكن أظن أن ربما هناك استثناءات

فقال كركال ضاحكًا:

. حارب وأقتل لأجل ميسلان، وسيستثني لك ما شئت

فابتسم كرواف، وأشهر سيفه قائلاً:

. لأجل ميسلان

أنا المنبوذ بكون أحب الدماء.. أنا الضلال في كون الباطل، وأنا الحق في كون أنا من فيه.. اخترت أن أعتزل الجميع وتدبرت بشأن أقوال الكهنة، فوجدت الكذب بها، وعلمت أشياء لا تصدق عن عالمي.. علمت أن الجماد يتحدث ويلعنكم.. علمت أن السيف أصبح وسيلتكم.. علمت أن ليس لديكم غاية.. أخبروني يا كهنة ميسلان ما هي غايتكم؟!

حيمان الفارس القوي هو أضعف من بهذا الكون، لأنه يسمع ما يضعفه، ويقراً ما في نفوسكم الخبيثة.. حيمان هو مخلوق لو علم الجميع من هو لنبذوه منهم وأحلوا دمه.

لدي من الفراسة ما جعل الجميع يخشاني، ومن العلم ما جعل الجميع يثق فيّ، ومن القوة ما لا يفيد وإن أردت.. ضعفي هو غرور نفسي بما لدي، وقلبي يعتصر مما يحدث بهذا الكون.. عندما علمت اعتزلت.. ولكني عدت لقدرتي المكتوب.. عدت إلى السيف وميدان الحرب.. شاكرهم لم يكن هو من جعلني أعود لأنني كنت سأعود به أو بدونه.

هكذا كان حيمان يحدث نفسه بأمور تشغله.. كان واقفاً في معسكره قبل علو الضباب يجول ببصره في الأفق.. عيناه ثاقبتان تتأمل وتشرد، وعندما اقترب منه أحد فرسان الجيش يحمل أنباء عن جيش الغوغال القادم قال حيمان:

تأهبوا ونظموا صفوفكم سنتحرك تجاهه.

فقال الجندي:

كما تأمر سيد حيمان.

وعندما أبصر كولاودو قادماً يلهث نظراً إليه بعمق حتى دنا كولاودو منه.

قال كولاودو:

. هل سنتحرك أم ننتظر؟

. سنتحرك ولكن لا أحد يقدم على شيء قبل إشارتي

. لا نريد خوض الحرب الآن

. أتمنى ذلك

عندما أقترب حيمان من ساحل محيطات بنيماء بجيشه.. أمر رجاله بتقسيم أنفسهم لفرق والاختباء في الغابات وخلف الهضاب لتقسي حقائق جيش الغوفال القادم نحوهم، وراح رجال حيمان يعسكرون مختبئين بعيداً عن أعين القادمين من الطرق الفسيحة التي تسلكها الجيوش.

وبعد أيام من التخيم ظهر جيش الغوفال، وكانوا معروفين بإخفاء وجوههم وقصر قامتهم، لكن هذا الجيش به رجال آخرين.. عندها علم حيمان أن هذا الجيش قد تعاهد مع عشائر أخرى.. وذلك يدعو لمعرفة أن هذا الجيش المهيب الذي لا ينتهي لن يتوجه ناحية اليكسارنه، بل سيتوجه نحو النهاية.

وبعد مداولة بين حيمان وكولادو بشأن جيش الغوفال، وعند ساحل محيطات بنيماء كانا واقفين، ثم قال حيمان وهو ينظر إلى ماء المحيط أمامه.

. أنهم غير متوجهين نحو اليكسارنه

فأوماً كولادو رأسه بأسى:

. لقد قالت الكهنة كلمتها

. نعم هم ذاهبون إلى أرض ميسلان

. أظن ذلك

فألتفت إليه حيمان وقال بريبة:

. لقد قضي الأمر، وجيوش الغوفال أول من سيصل إلى أرض
ميسلان، ولا شك أن كهنة الشعوب الأخرى ستأمر بفعل ذات الأمر

قال كولادو بحزن:

. ماذا سنفعل؟

. نقرب من أرض ميسلان

"أرض ميسلان"

أرض ميسلان هي أرض الملحمة الكبرى.. هي أرض صخرية توازي
الصحراء البلورية، ولكنها منبسطة كأنها ساحة حرب من صنع أحد.

التاريخ لا يخبرنا أنها شهدت قتالا من قبل، وكانت أرضا مقدسة
لشعوب كون ميسلان محرم القتال بها حتى يوم الملحمة الكبرى.. هي
أرض المعركة الأخيرة التي سطرها الكهنة في نبوءاتهم، وتقول أساطير
الكهنة إن القتال الأخير سيحل هنا، وأن إلههم سيدنو من الجيش
المنتظر.. لم يعرف شعب متى موعد الملحمة الكبرى، وكانوا ينتظرون
أوامر الكهنة، ولعل شعب الغوفال أتت إليه نبوءة الكهنة أن يتحركوا..
هذا يعني أن جيوش الشعوب ستأتي تباعًا نحو أرض ميسلان لخوض
القتال الأخير.

أمر الكهنة بعقد اجتماع عاجل بقصر اليكسارنه، وكان جميع قادة
الجيوش حاضرين، وجميع كهنة ميسلان أيضًا. ذلك ما جعل جميع
القادة يشككون بأن أمرا عظيما قد يحدث.

وعندما تجمع المجلس بهو القصر يجلسون على كراسي بلورية بشكل
دائري، وخيم الصمت على الجميع ينتظرون كلمات الكاهن كركال الذي

صمت لسويغات ينظر إلى الأعين المترقبة وزاد اضطرابها، ثم قال بنبرات واثقة:

. لقد أتى الوقت الفاصل.. إنها معركة النهاية يا رجال ميسلان..
سنعدل الخطط، ونتوجه بجميع جيوشنا إلى أرض ميسلان
وراح يراقب أعين القادة بين خوف واضطراب ومشاعر متضاربة ثم
أضاف:

. شعوب الغوفال والعشائر التي تضامنت معها في طريقها نحو أرض
ميسلان ونحن أتى إلينا الأمر أيضاً
فقال أحد القادة:

. هل سنترك أحد الجيوش هنا؟

. اتركوا المملكة، لا أحد سمهاجمها ويخرق قانون الحرب المقدسة
فأضاف قائد آخر:

. ماذا عن جيش الغوال القادم نحونا؟
قال كركال بثقة:

. كهنته ستخبره بالأمر، وسيعدل مساره ناحية أرض ميسلان.. كنا
نريد أن تطول حروب الكرّ والفرّ حتى تضعف عزيمة الجميع عند معركة
النهاية
ثم أضاف:

. بل وددنا من قبل أن نقتل من الكلدان والغوفال الكثيرين لكن غباء
كولادو جعلنا نفقد جيشاً كبيراً، وهذه المرّة هي النهاية
فأوماً القادة رؤوسهم ثم قال كركال:

. اجمعوا المؤون وحركوا جيوشنا

عندما كنت بمدينة السيورنتاس مجتمعًا مع السيد جياو بشأن ما حدث الأيام الماضية، وما رأه رجال السيورنتاس عندما عبر جيش الغوال مملكتنا قال الأمير جياو بقلق

. علمنا أشياء عظيمة عن الحرب الأخيرة

فقلت بحماس:

. ما هي؟

. لقد ذهب الجيوش في طريقها نحو أرض ميسلان نحو المعركة الفاصلة بين الجيوش.. إن الكهنة يسعون لتحقيق نبوءتهم

ثم أضاف متسائلًا:

. ماذا ترى أن نفعل؟

قلت بثقة:

. لقد أخبرتني من قبل أنكم ستقاتلون لأجل ميسلان

. نعم نحن معك

. هل نذهب خلفهم نحو أرض ميسلان

ففكر قليلاً وقال:

. إنها تبعد عنا كثيرًا موازية للصحراء البلورية

. إذن لا تريد

. لا أقصد الرفض لكن الطريق وعر

قلت بحماس:

. الجميع يخشاكم ويبغضكم، ربما ظهوركم في هذه المعركة يغير كل شيء، ويجعل الجمع يتراجع إلى السلم

. صدقت

فقلت وأنا أقوم من مجلسي:

. فكرّ قليلاً حتى غد وملتقي

وعندما مضيت في طريقي ظهر شيمف الأبله كعادته يتبعني، فسرت
بالمدينة حتى جلست أمام جدار مستنداً بظهري عليه وجلس بجاني
شيمف

فقلت له:

. إنها المعركة الفاصلة يا شيمف، وربما قومك سيشاركون.. أنا أعلم
أنك تريد أن تعيش بين العشائر الأخرى ولذا أنت تصمت.. أعدك إن
نجونا ستعيش ثانية بين الآخرين، ولن تختفي ثانية.

ثم أضفت:

. تعلم سأخبرك بأمر لا أحد يعلمه هنا، وسأخبرك به لأنك أبله فقدت
روحك التواصل مع الجميع، وربما لن تصدقني فيما سأقول.. أنتم هنا
لستم بكون كما تظنون هناك أناس آخرون يعيشون في عوالم أخرى،
وأنا من هؤلاء الناس.. أتيت إلى هذه الأرض بطريقة عجيبة بعد أن
ضربني البرق، ووجدت نفسي أرتحل وأقع في مشكلات جمّة حتى أصبحت
فارساً بما تميزت به عنكم.

وتابعت بأسى:

. لكنني وجدت الحرب هنا أيضاً، ولكن وجدت حرباً تقوم باسم الإله..
أما عالمي كانت الحرب به لجمع الغنائم، والبغي على شعوب مسلمة..
وجدت بعالمكم أن الحرب بالسيف ولا تعلمون شيئاً عما يحدث حولكم..
وجدت أنكم لا تستطيعون حساب التوقيت بطريقة صحيحة.. وجدت
أنكم لا ترون الألوان بينما أنا أراها، لكن أعظم ما وجدته أن حديثكم
أرواح تتواصل فيما بينها، وليس بأصوات مثلنا.

ثم نظرت إليه بشفقة وقلت:

. أما أنت فلن تصدقني فيما قلت أعلم ذلك

نظر شيمف إلي بذهول وهو يومئ رأسه يمنة ويسرة ثم تحدث، ولكن صوته كان كعواء لم أفهم.. شعرت أنه يريد التحدث ولكن لا يستطيع وراح يركض بعيداً عني.. وبعد سويغات عاد يحمل ورقة مكتوبة بلغة غير مفهومة، ووضعها في ملبسي، ثم انحنى باكياً.. شعرت كأنه يقول لا تجعل أحد يراها، فابتسمت له وقلت.

. لا تقلق لن يراها أحد، ولكني لا أفهم هذه اللغة.. أرى أنني أعطيتك سري، وستحفظه لذا أنا سأحفظ سرك أيضاً يا شيمف

ثم ربت على كتفه وقلت:

. يمكنك أن تذهب

وكانت المرة الأولى التي ينصت بها لما أقول ويذهب بعيداً..

مضى الليل سريعاً وغفلت بعد سويغات قليلة عندما تركني شيمف.. لم أفكر كثيراً واستسلمت للنوم.. وكان البرد قارساً أثلجني ولكني نمت وعلا غطيطي.. وبعد مرور وقت قصير رأيتَه أمامي مبتسماً.

فقلت له:

. أين أنت؟

. عندما يزيد الأمر سئري من نريد

ابتسمت له وقلت:

. أنا في حلمي صحيح

فقال مبتسماً:

. لا لست في حلم.. فأنا حاولت التواصل معك لأعرف أين أنت..
وأطمأن قلبي لأنني علمت أنك حي.. أعلم الآن أن كولادو حي هو الآخر

. حيمان ماذا يحدث في المملكة؟

فقال بأسى:

. إنها حرب النهاية والأمر سيحدث.. لقد أعددت جيشًا كبيرًا لأضع
حدًا إلى هذا

ثم أضاف:

. لكن لا بد أن نتحالف مع أحد عشائر الكون.. فمزال جيشي صغيرا

فقلت له مضطربًا:

. تحالف مع كهنة اليكسارنه يا حيمان

قال بغضب:

. ماذا تقول؟

. الحرب خدعة تحالف مع جيش اليكسارنه.. وسترى ما تتعجب له

قريبًا

. ما هو؟

. آن الأوان أن تغادر

استيقظت مرتعشًا وأعلم أنه حقيقي ما حدث الآن.. لكن هذا يفسر

ما قاله حيمان.. وما يستطيع فعله.. وتواصله مع الكون من حوله.. ربما

بتّ مثله الآن.. ها قد عاد الصباح.. وحن وقت ملاقة الأمير جياو.

ذهبت إلى قصر الأمير جياو لأسأله بأمر الجيش.. وكان ينتظرني صباحًا في قصره فسلمت على الحرس.. ودلفت إلى القصر بهوه الفسيح وجلست برففته.. ثم قلت له

. هل فكرت بشأن الذهاب إلى أرض ميسلان؟

فقال:

. نعم

. وافقت

قال بتردد:

. نعم لكن

قاطعته وقلت بتودد:

. أعدك إن انتصرنا بالحرب سيعيش شعبك بين عشائر ميسلان..

ويلقي احترام الجميع

ثم أضفت بثقة:

. يكفي أنكم ستحاربون لأجل ميسلان.. ولنصرة قضية.. ووقف هذا

العبث

قال مبتسمًا:

. جياو يعدك بالنصر يا شاكريم.. وأعدك بجيش كالسيل لا يكف عن

القتال لأجل الحق.. نحن نثق بك.. كما رأيت حقيقتنا سنريك منا المزيد..

وبأس لن يخيل إليك.. ولن تراه سوى منا

وأردف بحماسة:

. يكفي ما فعله الكهنة.. ولأنها النهاية ستتحرك جيوشنا من الغد نحو

أرض ميسلان ولك القيادة

قلت بتواضع:

. لا أنا من رجالك وقيادتهم لك

. لا شأن لي بالحرب.. لكني سأكون معك.. ولست فارسًا أنا رجل لا يعي

سوى إدارة المدائن والتشييد ولم أقتل من قبل

فأومات رأسي مبتسمًا وقلت:

. كما تريد يا أمير جياو.. أشكرك على كل شيء

. لا داعي للشكر نحن من نشكرك لأنك حررت خوفنا.. وأظهرت لنا

دورنا فيما يحدث.. لا يصح أن نقف مكتوفي الأيدي بينما نهاية الكون

قادمة

بطريق صخري شاسع قد شُقَّ بين مرتفعين مضى جيش الغوال المهيب ويتقدمه الأمير قيشاك يسير في مقدمة الجيش.. ويمضي بخطوات بطيئة.. كان بعض الكهنة يرافقون الجيش المهيب ليخبروا القائد بما عليه فعله وقد زاد عدد الجيش كثيرًا بتحالف الغوال مع ممالك بني الأسود وشعوب الرنرام.. وغيرهم من العشائر قليلة العدد حتى أصبح الجيش مهيبًا حقًا.. ويمضي كنهريين هاذين المرتفعين..

قال الأمير قيشاك.. وهو يمتطي الأسترية للكاهن الذي يسير موازيًا له:

. انتظرت طوال حياتي هذه اللحظة

فقال الكاهن بخبت:

. جميعنا انتظرنا يا أمير قيشاك

. ما أعظم ميسلان الذي علم بشعبنا.. وما يريد حقا

. نعم لقد أرسل إلينا أن نتجه نحو أرضه.. أرض الميعاد المنتظر

قال قيشاك بزهو:

. النصر لنا.. النصر لميسلان

فأردف الكاهن:

. اقتربنا من أرض ميسلان

. نعم وجنودنا مستعدون للقتال

عاد حيمان بعد أن خيموا بعضًا من الأيام بالقرب من ساحل محيطات بنيماه وجمعوا المون والماء من أنهار ايسرا.. لأن كان عليهم قطع مسافة شاسعة بالصحراء البلورية وصولًا إلى أرض ميسلان.. ولم يتلفظ حيمان مع أحد بشأن الخطة التي ينوي فعلها.. لكن كولدو عندما كان الجيش في طريقه نحو أرض ميسلان بالصحراء البلورية، شرد يتفكر فيما يحدث.. ولأن كولدو أمير بطبعه فإنه يريد أن يعرف كل شيء يدور حوله.

فسأل حيمان عندما جلس يستريحان ويخيمان وكذلك الجنود أيضًا:

. ماذا تنوي أن تفعل؟

قال حيمان بثقة:

. لن تعي ما سأفعل

. أخبرني أريد أن أعرف

. سننضم لجيش اليكسارنه

فقال كولدو ثائرًا:

. ماذا؟!.. ستقاتل في صف الكهنة يا حيمان

. مهلاً يا أمير كولدو

ثم أضاف حيمان:

. قلت لك لن تعي ما سنفعل

أردف كولدو بغضب:

. ما يجعلك تفعل ذلك؟

ثم صاح في حيمان قبل أن يجيب:

. لم أتخيل أنك جزء من الكهنة يا حيمان

قال حيمان بغضب:

. كف عما تقول يا رجل.. لا أرى بداخلك سوى فتى طائش لا يعي ما

يقول.. ولا يعي ما يفعل وكما قتلت جيشًا من قبل تريد أن تقتل جيشنا

هذا

. لا بل فعلت أنت هل نسيت؟

. لم أنس ولكن أنت من نسيت أنك هنا جندي ولست الأمير كولدو

وإن أردت أن تحقق ما تتمنى أمض وحارب وحدك

فصمت كولدو قليلاً ثم قال بأسى:

. لكنك لم تجبني!

. قلبي قال هذا!.. إنها النهاية ولن نستطيع أن نجابه جيوش الكون

كافة سوى بتحالف قوي كما فعل الجميع

. تبًا لقلبك المريض

نظر إليه حيمان بعمق وقال:

. مازال كولدو بداخله بعضًا من الخير.. امض معي ولا تسأل حتى ترى

. سأفعل ولكني تخلصت من آثامي أمام ميسلان وأنت من ستسأل

أمامه

. نعم قبلت ذلك

نزل السلم الصخري أسفل قصر اليكسارنه بخطى متناقلة حتى وصل إلى زنزانة بابها بلوري أسود شديد القسوة.. ويقف أمامها حارسان قويان.. ثم أشار إلى الحارسين ففتحا أبوابها ودلفها ليجده جالساً واضعاً رأسه بين ركبتيه في قنوط ووحدة.. فابتسم الكاهن صاحب الملبس الزهري وقال له بسخرية.

. مراند هل ما زلت عند رأيك بشأن تدخلك في شئون المملكة؟

فالتفت إليه وقال بتوسل:

. سيدي كركال.. أخرجني من هنا وسأفعل ما تأمر به

. معركة النهاية أتت.. وعادت جيوش الاستطلاع إلى المملكة.. حان وقتك لتخطب بالجيش وتحثهم على الثبات

ثم أضاف ساخراً:

. تحثهم على الثبات.. وأنت كأوراق الشجر لا ثقل لها

فقال مراند بخوف:

. لا بل أنا أشد ثباتاً من كون ميسلان.. دعني أخرج لهم أتوسل إليك

. قم لتخطب بميدان القصر الكبير

. حسناً وتكونني وشأني

فقال كركال ضاحكاً:

. نتركك كيف؟!.. أنت أمير اليكسارنه

وقف مراند ينظر إلى جموع الشعب والجيش أمامه.. وقد فتحت أبواب المملكة الأمامية.. واصطف الناس خارج المملكة من كثرة عددهم، وكان هذا جيش اليكسارنه أكثر رجالها جنود ينتظرون أمر القائد مراند..

أما كركال فكان يقف عن يمينه وعن يساره باقي الكهنة وخلفهم قادة جيوش اليكسارنه وأمام المنصة الحرس الذين يحمونه.

شرد مراند قليلاً مع تعالي الصيحات والهمهمات يتفكر في أمر المملكة وقد علم أنه لن يستطيع أن يقف في وجه الكهنة ثانية.. بل سيكون على رأس الجيش كما تقول نبوءة الكهنة.

كان عليه أن يقبل مصيره الذي فرض عليه ويقول ما يرضي الكهنة.

قال مراند مخاطباً شعب اليكسارنه:

. لا شك أننا حدنا عن مصالحكم كثيراً.. لكننا لم نملك خياراً آخر.. وأنتم شعب عظيم تحمّل كثيراً حرباً مفتعلة من شعوب تكالبت علينا ونحن وكهنتنا لم نرد سوى نصرة ميسلان العظيم.. كما تعلمون هي المعركة الفاصلة.. معركة أرض ميسلان التي أخبر بها كهنتنا منذ نشأة كوننا هذا وقد أتى ميعادها إلى الكهنة.

ثم أضاف:

. أقصد ليس كهنتنا فقط.. بل جميع الجيوش الآن في طريقها نحو أرض ميسلان.. خضنا حروباً وفتحنا فتوحات وهزمتنا وهزمتنا.. ملكنا العلم والقوة.. وكانت حروب كوننا طويلة الزمن الماضي كَرّ وفرّ لتعيق الشعوب تقدم غيرها.. ونحن مثل البقية حاولنا السيطرة حتى نملك العلم والقوة وأحسب أننا ملكناها.. لا داعي لخطب عصماء حماسية نحن أعظم شعب فوق ظهر كون ميسلان وامتلكنا العلم والقوة وهذا يجعلنا نتوسم الخير في انتصار جيشنا الأبني

وراح يلوح بيديه لجموع الناس أمامه وهو يقول:

. انظروا إلى عددكم أنا لا أستطيع معرفة قوام هذا الجيش من كثرته.. ولا أستطيع معرفة عتاده أو قوته.. لكني أعرف أن بداخلكم ميسلان واليكسارنه.. بداخلكم رغبة الجنة وحمياً.. وعند انتصارنا سيبدل

هذا الكون.. وتعود شمسنا.. وتصبح هذه جنة ميسلان ويذهب البقية إلى الجحيم.

وقال بحماسة:

. أنتم تعشقون الخلود.. وهذا هو وقت الخلود.. ستعيشون حياة مديدة دون نهاية وسيصير هذا العالم ملكًا لكم وأرضكم.. وأنا أول الجيش نحو أرض ميسلان..

قفز من على المنصة ناحية أبواب المملكة.. وتتبعه الكهنة.. وقادة الجيوش إلى خارج أبواب المدينة.. وقد شُقَّ الجمع ليصنع له طريقًا نحو أبواب المملكة ركضًا.

قال كولادو لحيمان عندما عسكر جيشهم في مكان بالصحراء البلورية يبتعد مسيرة نصف يوم عن أرض ميسلان غربًا.

. ما كان يجب أن تتحدث مع الجنود بشأن انضمامنا لجيش اليكسارنه

فنظر إليه حيمان بأسى وقال:

. لم أدرك عظم ما نحن فيه.. وما بُني طيلة ما مضى تهدم

. لقد انفض الكثير من الجنود من حولنا

أردف حيمان:

. إنهم يظنون أنني كاذب وخدعتهم.. ومن بقى معنا ثلثا الجيش فقط

. لا بأس يا حيمان.. بيدهم مصيرهم يختارون ما يشاءون

عندما أراد حيمان أن يقاتل في صف جيش اليكسارنه لم يملك خيارًا آخر فجميع الشعوب تحالفت.. وأصبح جيشه قليل العدد.. أراد أن يتنصر جيش اليكسارنه ومن ثم يظهر كولادو وينهي أمر الكهنة.. لكن

الجنود عندما خطب بهم وكان في جيشه رجال مهمشة من الكلدان والغوفال وكافة الشعوب المستضعفة في كون ميسلان ذهب عنه الكثيرون وقالوا أنه كاذب وخدعهم ولم يبق لديه في جيشه سوى من وثق به.

حيمان نظر بأعين غائرة إلى الأفق المترامي حوله.. حتى قال كولادو بود:

. ماذا ننتظر!؟

. سيأتي جيش اليكسارنه من هذا الطريق لذا نحن نخيم هنا فأوماً كولادو رأسه.. وراح ينظر بأعين غائرة كمثل حيمان ينتظر الجيش القادم

بينما كان يمضي قيشاك بطريق وعَرَ تحدث قيشاك إلى أحد الكهنة الذي يمشي مترجلاً بالقرب منه وقال

. يبدو أننا اقتربنا كثيرًا من أرض ميسلان

قال الكاهن بأدب:

. نعم يا أمير مسافة يومين فقط.. نحن سلكننا طريقًا مختصرًا.. ورغم وعورته إلا أننا سنصل إلى أرض ميسلان في موعد قريب

. أخشى أن تتحالف ضدنا شعوب كون ميسلان كما قال ذلك الفارس

فابتسم الكاهن وأردف:

. لا تخشى شينا يا سيدي قيشاك حتى وإن صدق فالنهايات لا يوجد بها تحالفات وكل سينظر إلى مصلحته ونبوءة كهنته

. لقد تحالفنا مع عشائر كثير وجيشنا مهيب حقًا

قال الكاهن بحماس:

. الغلبة لك أيها الإله المنتظر

. أشكرك

ثم أضاف بتوجس:

. لم أطلب المُلْك كما تعلم.. وكم طلبت رضا ميسلان

. أعلم ذلك وكهنتنا تخبر الإله بذلك

عندما مضينا بالطريق الصخري بين المرتفعين صحت مخاطبًا جيش
السيورنتاس خلفي

. حافظوا على المسافة بيننا وبين جيش الغوال

ثم نظرت إلى شيمف الأحمق الذي كان في الصف الثاني خلفي وقلت
ضاحكًا

. ما شأنك أنت بالحرب يا أبله؟!

فابتسم الأمير جياو وأردف:

. إنها النهاية ومن حق الجميع أن يحارب لأجل إلهه

. أشكرك يا أمير جياو لكن جيشنا ليس كبير العدد كما ترى

قال الأمير بزهو:

. هذا الجيش قليل ولكنه لديه عقيدة ستجعله ينتصر

. أرجو ذلك

ثم أضفت:

. كم لدينا من الوقت لنصل؟

. لقد اتخذنا ذات الطريق الذي يمضي به جيش الغوال وأمامنا
خمسة أيام على أقصى تقدير

فأومأت رأسي وقلت:

لن نعبر أرض ميسلان إلا عندما تبدأ المعركة

قال الأمير بتعجب:

لماذا؟!

. لأن ظهور جيشكم سيبعث الرهبة في نفوس الجنود وسيجعلهم
يتخبطون وهنا نملك الوقت لننهي الأمر

نظر إلي معجبًا وقال:

. أنت فارس حقًا يا سيد شاكريم

. ماذا بعد نهاية الحرب؟!

قال بأسى:

لا أعلم

. لا بل سنجعلهم يعلمون أن نبوءة الكهنة باطلة.. وما يقولون به لن
يحدث وأن هناك شعبا عظيما لابد أن يعيش بينهم ولا يختئ ثانية

ثم أضفت:

. سيعم السلم أرجاء الكون.. ويتغير كل شيء

. كم أتمنى ذلك يا قائد

أرض شاسعة صخرية لا تبصر العين نهايتها من عظمها.. تشعر أنها
غير محاطة بشيء ولا تشعر ما يميزها.. وفي الشمال الغربي لها يخيم
جيش مهيب العدد والقوة ونصب الأكواخ.. أما في الشمال الشرقي لها

وجد جيش آخر مهيب العدد.. ولكنه يفرق عن الجيش الأول بطول
القامة وإظهار جنوده لوجوههم.

وبساحة خاوية بين الجيشين اقترب قائد الجيش الأول وخلفه صف
من الحرس وتقدّم من قائد الجيش الثاني قوي الساعد وفارح الطول ثم
قال قائد الجيش الأول

. ننتظر أوامر الكهنة

فقال قائد الجيش الثاني:

. ننتظر مثلكم

. لكن إن خرقتم الهدنة وهاجمتم رجالنا أثناء نومنا ستصبحون
ملعونين

. لا تخاف يا أمير الغوغال نحن لا نخرق الهدنة ونعلم قوانين ميسلان
جيدًا

فأضاف قائد الغوغال:

. وأنتم أيضًا لكم الأمان

أخيم منذ شهر بجيش السيورنتاس بالقرب من أرض ميسلان حتى
ظننت أن الكهنة قد تراجعوا عما يريدون.. وقد زاد وهن جيشي وضعفه
من التخميم فلا ساتر فقونا والمؤن تنفذ منا سريعًا.. لكن جياو عندما
أرسل الإدلاء ويعودون بأبناء عن سكون كل شيء.. وأن الجيوش تخيم
بأرض ميسلان.. ولم يأتي أمر الهجوم بعد.. فراح الجيوش يتدربون
وينظمون صفوفهم وفعلنا مثلهم.. جيشي قليل العدد مقارنة بجيوش
كون ميسلان لكى لن أخشى شيئا.. وما كان يزيد حماسي هو ثبات
أولئك الأقزام ومثابرتهم في القتال.

أحسب أن لديهم ميزة تجعلهم أقوى من الجميع وهي الجلد والصبر..
هم شعوب عاشوا مختلفين تحت الأرض.. وبنوا مدائن كبيرة بفضل
جلدهم وقوتهم.. لم يقولوا يوماً مللنا أو تعبنا.. كانوا يفعلون ما أراه
صواباً فقط.. وكان جياو لا يتدخل بأمر الجيش بل أستمع وترك لي دفعة
الجيش أقودها كما أريد وهكذا مرت الأيام سريعاً.. تزداد قوتنا ونضع
خططاً كثيرة لكل شيء.

لاح شيخ جيش اليكسارنه في الأفق حتى أبصره جنود حيمان.. فعادوا ليخبروه أن الجيش المنتظر قد اقترب كثيراً منهم.. فأمر حيمان جنوده ألا يفعلون شيئاً.. ولا يتقدمون نحوهم.. ووقف حيمان وحده ينتظر الجيش وخلفه جيشه يسدّ الطريق أمام جيش اليكسارنه.. ولما دنا جيش اليكسارنه منه تقدّم مراند وخلفه الكاهن كركال وقال مراند.

. حيمان أبعد هذا الجيش عن طريقنا

قال حيمان ساخراً:

. من أنت؟!

صاح مراند غاضباً:

. لقد فررت من الإعدام من قبل.. ولا نريد أن نقتلك أمام جيشك

فنتظر حيمان إلى كركال وقال:

. كاهن كركال نريد مخاطبة رجل له شأن منكم وأحسب أنك هو

قال كركال:

. أنه أميرنا يمكنك

قاطع حيمان:

. لا داعي للتصنع

ثم أضاف بخبث:

. بماذا ستعد هؤلاء الرجال إن انتصرنا؟

ابتسم كركال وقال:

. لهم ما شاءوا

. هل تعدنا بجنة ميسلان؟

. أعدكم

ثم أضاف حيمان بأسى:

. وإن هزمتنا

. نبوءاتنا تقول أننا سننتصر

. جيشي سيحارب إلى جواركم.. وعندما ننتصر نرى ما سنريد

ثم قال حيمان ساخراً:

. لكن لا يصح أن يصبح مراند إله

فأردف كركال:

. ماذا تريد؟

. سأخبرك عند انتصارنا

هل سمعت من قبل عن الجحيم؟!.. وعن الموت؟!.. وعن القبور والشهداء؟!.. هل رأيت معركة بأم عينيك؟!.. وإن رأيت فأنت لن ترى هذا الهول.. ملايين البشر يتقاتلون لأجل نبوءة عاشت بداخل كل منهم.. لأجل شعور أفسد عالمنا.. ولن يصحّ به أحد لكن هنا صرّحوا وقالوها علانية

قالوا نحارب لأجل أن نكون الشعب المختار وليكون لدينا إله نحن من جعلناه إله!.. كفر بين ومحض غياب مني ربما تقول ذلك وأنت تقرأ لكن هذه هي الحقيقة.. حقيقة البشر هناك في عالمك وهنا في عالمهم لم يفرق الأمر كثيراً.. أليس لدينا نبوءات أيضاً لنحترم ما يفعلون !

تقدّم جيش الغوفا والكلدان من جيش اليكسارنه وجيش الغوال.. وصارت المعركة الفاصلة والجثث تسقط والجميع يصبح باسم الإله.

لم تكن الصفوف منضمة.. تم وئد الخطط أمام ذلك الكره الدفين وذابت الأجساد واختلطت فظل القتل.. جيش الغوال أقوى من حضر المعركة وجنوده تفتك وتقتل بلا رحمة.

وعلى مدار نصف يوم من الموت وقرع السيوف وتقطيع الأوصال لم يكن هناك خاسر ولم يكن هناك منتصر.. لكن من انتصر حتى الآن هو الموت الذي راح يجمع الغنائم وزادت القتلى.

لكن جيش اليكسارنه كان يعاني حقاً هو وجيش حيمان لأن بغض اليكسارنه ما كان يحرك الجميع.. أكثر من فقد إلى الآن هو جيش اليكسارنه.

حاول البعض عقد هدنة ولكن لا وقت للكلمات.

فقد الغوفال الكثيرين أيضاً مثل اليكسارنه وأقل من فقد هو جيش قيشاك وذلك ما زاد زهوه وجعله يطيح بالجميع.

أما جيش الكلدان فكان يتخبط في طريقه وقتل منه الكثير ولا يملك سوى القتال بقوة.

حيمان نظر حوله إلى الفوضى وبكى وهو يضرب بسيفه من يراه يصبح برجاله ورجال اليكسارنه.. خاصة أن مراند قتل سريعاً وبدأ جيش اليكسارنه يفقد عقيدته فمضى نحو قلب الجيش إلى الكهنة المحاطين بالجنود وصاح بهم وهو يسمع أصوات السيوف وهي تزمجر

. اخرجوا إن جيشنا يفقد بأسه.. أخبروهم بالثبات أو قاتلوا معهم

قال كركال:

. لا يصح نحن الكهنة مُحرم علينا القتال

. لعنتم يا كركال

وعاد يركض نحو مقدمة الجيش يقتل من يراه من جنود العدو.

قيشاك يشعر بالزهو بين كهنته يدير جيشه بعيداً عن المعركة وتحمله الكهنة وهي تخبره أن جيشه في طريقه نحو النصر وكانت حقيقة بالفعل.. فجيش قيشاك كان يقتل ويفتك بالجميع بلا رحمة وجيش الكلدان والغوفال تراجع هو الآخر مثل اليكسارنه.

قال قيشاك لكهنته وهم يحملونه:

. سننتصر يا رسل ميسلان

قال أحد الكهنة:

. تعاضمت وتعاليت يا أميرنا

. نبوءتكم تتحقق ولم يبق لنا الكثير حتى نحكم سيطرتنا على كون

ميسلان

تهلل الكهنة فرحاً وراحوا يرددون اسم ميسلان

ثم نزل قيشاك ورفع سيفه تحية لهم وهو ينظر بزهو إلى جيشه.

قائد الكلدان يرى جنوده وهم يتساقطون واحداً تلو الآخر وراح يصيح

بهم

. أثبتوا وقاتلوا.. من أجل جنة ميسلان

بينما كان الأمير "ونارل" أمير الكلدان يقف برفقة كهنته بمعسكره

بعيداً عن ميدان الحرب الكبير يخاطب الكهنة

. لن نتصر.. نحن فقدنا الكثيرين الآن وليس هناك سبيل

قال أحد كهنته:

. ماذا؟.. هل تريد الانسحاب؟!

. نعم

قال الكاهن بغضب:

. لقد ولى وقت الانسحاب وهي معركة النهاية

فصرخ الأمير ونارل باكياً:

. نحن إلى نار ميسلان

جيش الغوفال فقد ثلثي رجاله وباتت نهايته شبه محتومة مثل جيش اليكسارنه وجيش الكلدان وسيحقق الغوال النبوءة.. أنهم يمضون في طريق النصر.. وذلك ما علمه أمير الغوفال.. وقاله لكهنوته.. لكن كهنته قالوا إن ما زال هناك أمل بالانتصار.

أما بساحة المعركة فكانت الفوضى والجثث في كل مكان.. والجيوش تتصارع فيما بينها.. ورجال الغوال يطوقون الثلاثة جيوش بعد أن قل عددهم.. وأصبحت النهاية قريبة.. وما حسبته اليكسارنه أنها سيدة هذا الكون باتت في بوظقة واحدة مع أعدائها من الكلدان والغوفال.

يحيطون بهم بشكل دائري ويقتلونهم وما زالت الجيوش تقاوم لكن الكره لمملكة اليكسارنه جعل جنود الغوفال والكلدان يتصارعون مع جيش اليكسارنه المحاصر معهم.. وأصبحت الدائرة تضيق وتتناقص.. تأكل نفسها وجيش الغوال يأكلها.

وبينما كنت أمضي بجيش السيورنتاس في طريقي وقد أوشكت على ولوج أرض ميسلان سمعت حيمان يخاطبني.

. أين أنت يا شاكريم؟.. لقد أخبرتي أن أحارب في صف الكهنة..

سأموت وقد أغضبت ميسلان

. لا تقلق أنا قادم.. أبشر بالنصر

أما هذه المرة عندما دخلت أرض ميسلان.. وبدأ جيش السيورنتاس وأنا أتقدمه يقترب صمت كل شيء.. صمت قرع السيوف.. صمت الأصوات.. وزادت الأعين المترقبة.. ولما اقترب جيشي من ساحة القتال أبصرني جنود الغوال والكلدان والغوفال واليكسارنه.. وقفوا كأن على رؤوسهم الطير..

وصاحوا بفرح وانداحت الهمهمات بين كلمات

"ما هذا بحق ميسلان" "الغوٲ من إلهنا" "الرحمة يا عظيم"

تبادل الجنود النظرات.. وهم ينظرون لنا بتوسل

فقلت مخاطبًا حيمان في خاطري:

. أنت تقاتل في الجانب الخاطئ

توارد كلامه في خاطري:

. ماذا فعلت يا أبله.. لقد حررت ما ولي.. وأتيت ببلاء لا علم لك

بعظمه

. أنت لا تعلم شيئًا يا حيمان

ثم صحت بجيشي:

. لأجل ميسلان

وتقدمنا ركضًا نحو جيش الغوال الذي لم يصبح وحيدًا هذه المرة.. بل أصبحت جيوش ميسلان تقاتل بجانبه بينهم حيمان وجيشه.. والآن الجميع قد تخلى عني فيما أنا فيه.. أدركت أنها ربما نهايتي مع هذا الجيش الصغير الذي فاقته جيوش كون ميسلان بأضعاف.. وربما عشرات المرات.. وما زاد العجب أن جيش السيورنتاس لم يهاب ما يرى

وكان شديد القوة.. وأصبحت أقاتل جيوش الكون كافة بهذا الجيش من كائنات اعتبروهم هم الخطر الأكبر.. وما فعلته الكهنة قد ترسخ بالفعل.

فقلت لجياو وقد أصر على حمل سيف بينما نحن نركض

. إنها نهايتنا يا جياو.. آسف على ما فعلت بقومك.. آسف على خيانتني

قال جياو وقد زادت حماسته:

. لا أنها البداية أنت في طريق الصواب

ثم أضاف:

. انظر حولك

نظرت لأري العجب من حولي السيورنتاس في كل مكان.. أتوا من العدم هم كالنمل.. أو كالسيل.. أعداد غفيرة لم تبصر عيني من أين تأتي..

حتى أن جيوش ميسلان أرادت أن تنسحب أمامهم.. ولكنهم أحاطوهم.. وصارت معركة ضارية بيننا.. معركة النهاية.. معركة ستكون الغلبة فيها لمخلوقات السيورنتاس

وواردت حيمان هذه المرة:

. حيمان قلت لك أنك تقاتل في الجانب الخاطئ

. لعنت يا شاكريم.. لعنت.. الآن علمت ما كان ينقصني

ثم أضاف:

. أخبر جيشك أننا نستسلم لهم

. هل تؤمنون بهم الآن؟

فقال بعجل:

. أخبر جيشك وإلا أبادونا.. ولن يتركوا منا فردًا واحدًا

قلت مخاطبًا الجيش:

.كفوا عن القتال

قال جياو مرددًا:

.كفوا عن القتال مثلما قال

جثت الجيوش على ركبتيها ذليلة خاضعة.. وحاوطنيهم مخلوقات السيورنتاس من كل صوب بمشهد مهيب.. لم نتقاتل كثيرًا.. ولم يسقط من جيشي ضحايا كثير.. ولم نسقط من جيوشهم أيضًا كثير.. استسلموا عندما رأوا سيل السيورنتاس أمامهم..

نظر إلي جياو بإجلال ثم قال:

.الآن تحققت نبوءتنا.. والآن ما حلمنا به أبد الدهر قد حدث

فنظرت إليه في بلاهة وصمت حتى أبصرت رجال السيورنتاس وهم يستعدون لفعل شيء

صنع لنا جيش السيورنتاس ساحة خاوية يجثي حولها جميع من حضر في ساحة ميسلان بشكل دائري أولهم جنود السيورنتاس في صفوف وأوسطهم جيوش الشعوب المنهزمة وباقي مخلوقات السيورنتاس تحيط باقي الدائرة.. وباقي الجنود يجثون بعيدًا محاطين بالسيورنتاس في حلقات عديدة.. وآخرين أمام الصفوف المنبطحه.. وبعد حين قام كهنة ميسلان من جيوشهم.. وعبروا بين الجنود يحرسهم جنود السيورنتاس حتى دلفوا الساحة الدائرية التي سبقتهم إليها أنا والأمير جياو..

اصطف الكهنة في الساحة الدائرية الخاوية أمامي أنا والأمير جياو.. وما زلت لا أفهم ماذا يدور حولنا.. وماذا يحدث!؟

سألت جياو:

.ماذا هناك!؟

.انتظر

ثم انحنى هو والكهنة وما زلت أرى عين كركال هذه المرة بذات النظرات.. وأزيد عليها نظرات الإجلال.. فانحنى كركال وتبعته الكهنة وما زلت لا أعي..

وقف جياو مخاطبًا جيش السيورنتاس:

. هم لن يفقهوا ما نقوله.. ولكن أسطورتنا التي أمضينا حياتنا ننتظرها قد حدثت

ثم أضاف:

.ها هو الإله ميسلان العظيم بيننا

ثم أشار إلي وركع وتبعته الكهنة..

قلت ببلاهة:

.ماذا تقول يا جياو؟!

.أنت لا تنتمي لعالمنا

قلت بعجب:

.نعم

.ولا تعلم نبوءتنا؟

.نعم

فقال برجاء:

.أنت ميسلان العظيم ذاته حلّ على أرضنا

.لا أفهم

قال بأسى سأخبرك القصة كاملة:

"مخلوقات ذليلة ووعد"

منذ القدم ونحن نعاني من هذه الشعوب.. لقد احتقرونا ونظروا إلينا كأننا أدنى منهم مرتبة.. وكهذا كنا أقل منزلة من العبيد الأذلاء.. بل صرنا دواب.. لم يكن هناك بدّ من اكتساب تعاطف أقوام تراك أقل منهم وتحقر من شأنك.. لفظونا من بينهم وصرنا نسكن الغابات ونبعد عن المدائن.. نعيش بين مخلوقات الغابة ونصارع لأجل البقاء.. بينما هم يتقدمون ويزدهرون.. وكان علينا أن نفكر فيما لدينا من عقل كبير وجسد ضئيل لا يستطيع خوض معركة معهم.

بدأنا نعلم أنفسنا كيف نتكيف مع الحياة في الغابة.. ولكن كان علينا أن نصارع دائما.. نصارعهم ونصارع مخلوقات الغابة المتوحشة.. فلم يكن أمامنا سبيل سوى بناء المدائن أسفل كون ميسلان.. وهكذا فعلنا.. بنينا مدائن وتقدمنا في العلوم.. وأصبح لدينا علم غزير.. بل وضعنا التقويم الأصح هنا.

كان علينا أن نتأر ولكن كيف؟!.. نتناسل ونزداد قوة بنسلنا ولكننا ضعاف أيضا.. ضعاف أمام الضوء وأمام سيوفهم.. نعم زاد نسلنا وزاد علمنا.. ولكن العقل والتفكير كان هو السبيل.

وفي ذات يوم وجدنا نبوءة مكتوبة على أحد جدران الكهوف في باطن كون ميسلان ولا نعلم من وضعها إلى الآن!

وهذه هي نبوءة ميسلان العظيم وقيل فيها أن شعبنا ينتظر رجلا سيأتي من عالم آخر.. وسيقودنا بحرب أمام شعوب الكون.. ثم سننتصر وهذا الرجل سيحل محل الإله.. وإن خضنا الحرب قبل ظهوره فُني جنسنا واندثرنا.. ولما كان هؤلاء الشعوب تصعب السيطرة عليهم بلغنا من العلم ما قد يفيد وكشفنا حقائق هذا الكون.

نحن نعلم الأطماع والأهواء فجعلنا رسلنا يعيشون بينهم ويتوددون
لأمرائهم بقليل من العلم ظنوا أنهم رسل الإله.. وباتوا يصدقونهم ولأعوام
زادت سطوة الكهنة.. حتى أنهم أصبحوا يتحكمون في عقول الناس.. وما
يخبرونهم به يصبح حقيقة حتى وإن رأوا بأب أعينهم ما قد ينافي ذلك.

اختلفنا قصة الشروق الثامن هذه.. وأخبرت الكهنة أن الشمس
ستغيب وهي فوقنا ونراها.. لكن سطوة الكهنة رسخت عقائدهم أنهم لا
يروها وأخبروهم أن كل شيء رمادي.. وتعاقبت الأجيال وهي تعلم هذه
الحقيقة حتى جعلتها عقولهم حقيقة.. وباتوا لا يرون الشمس.

وعند ذلك اندلعت الحرب بين الشعوب بين كَرّ وفرّ واستنفاد
لمواردهم لندحض علومهم ونوقف تقدمهم.. بينما نحن نتقدم وهكذا
ظلت الحروب مشتعلة بهذا الكون.. ونحن ننتظر مجيئك إلى اليوم.

ولما كانت النبوءة تقول إن معركة الميعاد بهذه الأرض أمرنا الكهنة أن
يخبروهم بذات النبوءة حتى يتجمعون هنا وننهي كل شيء في حضرتك..
وظن كل شعب منهم أنه الشعب المختار.. وهو ينساق وراء كهنتنا..
وعندما علمنا من كهنة اليكسارنه قدوم الغريب من الأرض الموازية جعلنا
الحروب تزداد حتى يحدث الأمر سريعا.. كما كان قدرك أن تقودنا فأتيبت
إلينا ولم نأت إليك.

ظللنا أمامهم المخلوقات الوحشية حتى يهابوا منا.. وكنا كذلك أمامك
بالغاية لتتأكد أنك منهم أم لا.. لكن روحك تواصلت معنا ورأت أننا بشر
مثلهم ولسنا كائنات وحشية.. من يستطيع ذلك لابد أنه لا ينتمي إلى هذا
العالم.

وها هي نبوءتنا تحققت وما بشأن هذه الشعوب فإن أمرهم بين يديك
إلى الجحيم أم الفناء فأفعل ما تريد بهم.. وها أنت إله هذه الأرض ومن
بها.

قلت ببلاهة:

. أكان لديكم كل هذه القوة والعلوم وخفتم من الظهور والعيش
بينهم؟

قال جياو بإجلال:

. لقد قالت النبوءة أن ننتظرك.. وها قد أتيت لنا

. ومن كتبها؟!

. لا نعلم عنها شيئاً

قلت بسخرية:

. ما أدراك أنها حقيقة؟!

. هذا ما حدث

ابتسمت وقلت:

. دعني أفكر قبل مراسم التآليه

فانحني هو وكهنته وقال:

. ننتظر ما تقول

توارد خاطري نحو حيمان:

. حيمان لقد دنوت من كل الحقيقة.. ولكنك لم تعرفها مطلقاً

قال حيمان بغضب:

. هل ستقتلنا يا خائن؟

. أنهم يستخدمون ذات الطريقة التي أحدثك بها مع كهنة الشعوب..

كهنة الشعوب هم دميتهم.. وهم من اختلقوا قصة الشروق الثامن.. ومن

جعل الحرب تحدث.. ها أنا أعلم الآن كيف كانت بصيرتك ترى ما لا نرى..

هذا كونكم يا حيمان.. وأنت رأيت شمس أرضكم لأن قلبك تخلص من
سطوة الكهنة ولكنه لم يعي مَنْ الكهنة.

قال حيمان:

. ماذا تقول؟! .

. أخبر رجالك أن الحرب لم تنته وأن المعركة لن تنتهي أبدًا وأظنك
تعلم ذلك.. أنهم يريدون جعلي الإله المنتظر.. وأنا لست سوى بشر أتى
من عالم بعيد

أردف حيمان:

. لا أفهم شيئًا

. أخبر رجالك أن يقوموا عند إشارتي ويقاتلون.. أخبر شعوب الكون
المتصارعة أن مصيرهم بات معلقًا على ما هو قادم.. سأشرح كل شيء إن
فرغنا منهم

. ماذا تريدني أن أفعل؟

. قاتل لأجل مستقبلكم.. وليس لأجل الإله فهم اختلقوا كل هذا

يحملقون في.. كهنة الشعوب وجياو وينظرون بإجلال عظيم فابتسمت
لهم وأومات رأسي بعطف

قال جياو:

. ماذا ترى بشأن مصيرهم بعد مراسم التأليه؟

. نقتلهم

فابتسم جياو قائلاً:

. نعم حتى تحيا شعوبنا في النعيم الأبدي وجنتك

قلت ببلاهة:

. جنتي؟!

. هذه جنتك

ابتسمت وأردفت:

. هل تعلم باقي النبوءة؟!

. إنها كاملة

حركت رأسي يمنة ويسرة ثم قلت:

. ناقصة

. أكملها إذن

فقلت بعمق:

. ستعودون من حيث أتيتم

. ماذا؟!

لم يستطع جياو أن يتملص من يدي العارية.. وهي تقتلع رأسه أمام شعبه.. وقد قلت في نفسي إن قتله بذات الطريقة سيبعث الرهبة في نفوس سيل السيورنتاس حولنا وقد كان.. لكن صف الكهنة ما زاد رعبه وأنا أطيح برؤوسهم وهم يهرعون ناحية جنود السيورنتاس الذين يحاوطوني ويقتربون مني.. حتى علمت أن النهاية قد أوشكت!!

قاومت وقاتلت!.. أحال الحال الإجلال إلى بغض وراح الجنود يقتربون مني ويقاتلونني بضرارة.. لكئي قاومت ولم استسلم للموت.. أضرب بالسيف وأجزّ الأعناق بلا هوادة.. وشيء ما جعلني أتشبث بالحياة.. شيء ما يريدني أن أحياء.. غريزة البقاء الآن ما تقودني..

واستمرت هكذا حتى وصل مدد الجنود إلي.. أتى حيمان وجنوده يقاتلون في صفي.. يريدونني أن أحيأ وهكذا ظللنا حينأ من الدهر.. حتى تراجع جنود السيورنتاس وفقدوا عزيمتهم.. بل جميع جيوش كون ميسلان المتصارعة حاربت لأول مرة جنبًا إلى جنب.. حاربوا هذه المرة لأجل مستقبلهم.. ليس لأجل الكهنة.. بل راحوا يضربون الكهنة ويلاحقونهم في كل أنملة.

السيل الذي كان أمام ناظري تراجع.. هذا السيل الذي فاق جيوشنا بأضعاف بدأ يفقد توازنه أمام بأسنا وقوتنا وجنودنا قالوا كلمتهم العليا.

تناثرت الجثث وأبيحت الدماء وأصبحت أرض ميسلان دامية.. أنهار من الدماء في كل مكان وأوصال مبتورة ودماء منثورة.. وخراب بأرض كانت تَوًا معمورة.

تراجعوا ونحن نلاحقهم وهم يهرعون.. حتى أن سرعة هروبهم لم تمهلنا الوقت لنلاحقهم.. هم ذهبوا وغابوا.. وسطرت ملحمة ستظل أبد الدهر تقال ولن يطويها التاريخ..

نظرت حولي بعدما لحقتهم جيوشنا.. محاطًا بجنود.. ثم أبصرت ماذا؟!.. أبصرت الموت في كل مكان.. أبصرت الجثث والدماء.. بكيت كما لم أفعل من قبل.. وتذكرت ما حلَّ هناك بعالمي.

ها أنا هذا الدخيل الذي قاده قدره إلى أرض تحارب وتتقاتل لأجل الجهل وغرور نفوس بشرية.. ها أنا الآن أرى الحرب ثانية.. أصبحت ذلك الفارس الذي غير مجرى التاريخ.. ومن سارق يعيش على فتات الناس إلى فارس تعيش الناس على فتات ملحمة.

وكان الزمن توقف عند هذا المشهد.. أرض شاسعة منبسطة بها الموت من كل صوب.

بينما أقف وحيداً وابتعد عني الجنود شعرت بمن يتشبث بقدمي بقوة.. نظرت إلى أسفل لأرى شيمف.. لم يمت بعد وكان يدعي الموت حتى لا يفارقتي.. خفت قليلاً ولكنه تابع القبض على قدمي وبكى بقوة.

قلت له:

. آسف على ما فعلت بقومك لكن هم من فعل كل هذا.. ونالوا ما يستحقون.. ولأنني أحببتك لن أجعل رجالي يقتلونك.. أذهب يا شيمف سرعان ما أبصره الجنود وركضوا تجاهي مشهرين سيوفهم.. فأشرت لهم بالتوقف وتابعت وهو ما زال يتشبث بي.

. ماذا تريد يا شيمف؟!.. غادر قبل أن أفقد صوابي

اقترب مني وأخرج الورقة التي أعطها لي.. ثم أشار لي ناحية جنود اليكسارنه.. فناديت على أحدهم وقلت:

. هل تأتي أيها الجندي هنا؟

اقترب الجندي وقال بخضوع:

. بما تأمر؟

. ما في هذه الورقة؟!

تناولها الجندي:

. أنها مكتوبة بكتابة أهل اليكسارنه

ثم راح يقرأ:

. أعلم أنك تتعجب من أمري وسرّ مرافقتي لك.. ويا ليتك تعلم كيف تقرأ هذا النص حتى تعلم الهول الذي تقدم عليه.. أنا أعلم عنك الكثير يا سيدي وأعلم أنك أتيت من عالم آخر قد زاره قومي من قبل كثيراً.. لدينا من العلوم ما فاق ما تتوقع.. وأنا أحد علماء هذه المملكة.. لكن

القوانين صارمة لا تتواصل روح العلماء مع غرباء.. لعلك تسأل كيف ذلك؟!.. أنه سحرٌ كوننا.. وستتعجب إن علمت المزيد.. أنت صاحب النبوءة.. وإله المنتظر لقومي.. ولكني لا أوّمن بما يقولون.. أنا أوّمن بالعلم فقط وما قيل في هذه النبوءة هو محض افتراء.. وأسفاه أنك لا تعي ما هذا.. ولن تستطيع قراءته.. أشهد أنني أحببتك ولا أريد لك هذا المصير السيئ.. ويا ليتني أستطيع أخبارك بما أريد لكني لا أستطيع أن أحدثك.. أريد أن أعلمك أن الكهنة ذهبوا منذ القدم إلى الأرض الموازية.. وسيفعلون بها ما يحدث هنا ولن تنتهي قصة الكهنة من العالمين.

نظر إلى الجندي ببلاهة فقلت بحزم:

.أكمل

. إن صحت نبوءتهم وتمت المعركة الأخيرة فسيحكمون هذه الأرض.. ولست أعلم عما يريدون فعله بباقي الشعوب.. لكنهم يريدون الثأر.. أتوسل إليك عندما تعلم ما كتبته لك ألا تتركي لقومي.. لا أريد العيش بينهم.. وسأساعدك إن أردت أن تعود من حيث أتيت.. وأنت أول من يعبر من الأرض الموازية إلى هنا.. فدانئًا كان الطريق من جانب واحد.. ولكنك أتيت.. وهذا يعني أن هناك طريقة ستجعل بعضهم يومًا ما يأتون إلى هنا.. وأتمنى ألا يحدث فلا أعلم مقدار علمكم.. وما قد يفعل إذا أصبح بين يدي قومي!.. أنا من أعلم كل شيء عن إحدائيات الطريق وعودتك هناك.

ثم صمت الجندي فقلت بغضب أكمل:

.هذا كل شيء يا سيدي

نظرت إلى شيمف بعطف وقلت:

.لا تقلق لن تذهب إلى أي مكان

تغيرت المملكة كثيرًا بعد الحرب.. وعاد كل شيء كما كان من قبل.. وعاد حيمان لمعسكره.. ولم يظهر الأمير كولدو، فقد أثر الاختفاء.. ولم يرد أن يظهر لعامة الناس.. عادت جيوش الشعوب لممالكها.. وعقدوا هدنة بينهم.. نصت الهدنة على تبادل التجارة والبضائع وبغض الحروب لكن أعظم ما جاء بها هو لفظ ما يسمى بالكهنة.

أما عني فقد أمضيت أسابيع برفقة شيمف في منزل خاوث السري.. واختفيت عن الأنظار.. ولكني علمت أن قادة المملكة يبحثون عني في أرجاء المملكة عندما خرجت أبحث عن السيد عليرآن لأسأله بشأن لوانا.. ومن ثم الذهاب لمعسكر الفارس حيمان لأراه ثانية بعد أن غبت كثيرًا عن كل شيء.

تركت شيمف في منزل خاوث وذهبت عابرةً السوق الكبيرة لكي وجدت متجر السيد كمور مفتوحًا على مصراعيه.. فدلقت أنظر بداخله ووجدت السيد عليرآن وعندما رأني هب واقفًا ودنا مني.. ثم انحنى وقال.

. سلامٌ على رجل أخضع الحرب وجعلها ماضٍ.. سلام عليك سيدي.. وعلى قلب عظيم

أومأت رأسي مبتسماً وقلت:

هل نجلس؟!

أحضر لنا مقعدين في منتصف المتجر وجلسنا ثم قلت له:

. ماذا فعلت بعدما تركتني؟

. سيدي نكتام فقد بالحرب ولم أجده ولقد اشتريت متجر السيد كمور تنفيذًا لما أردت

فابتسمت له ثم قلت بأسى:

. حزين لموت نكثام

. الثروة لك إن شئت

ربت على كتفه وقلت:

. لا حاجة لي بمال يا عليرآن هي لك.. لكن لا تنسى فقراء القوم

ثم أضفت بولع:

. هل تعلم أين لوانا؟!

. لا أعلم لكنها أنت هنا من قبل.. ورافقتها حراسة وجنود كثير.. ظننت

أنها أصبحت من علية القوم

قلت بعجب:

. ماذا؟!

. ربما رافقت أحد قادة الجيش الكبار

قلت بغضب:

. ماذا تقول يا رجل !

فأردف متلعثمًا:

. سيدي لقد تغيرت قوانين الجاريات أثناء الحرب.. وأصبح مباح

للجنود أن يستمتعوا بجمالهن

. تبًا للكهنة

وقمت من مجلسي تاركًا عليرآن يناديني.. ولكني لم ألتفت إليه عندما

زاد غضبي وأعماني

وأضيت باقي اليوم متسكعًا بالمملكة في طريقي نحو معسكر حيمان وعلا الضباب ثم نمت بأحد الحدائق.. وعندما أتى صباح اليوم التالي تابعت طريقي نحو معسكر حيمان.. وأخيرًا وصلت معسكر حيمان وكان خاليًا من الجند ولم أر أحدًا به.. ثم دنوت من الكوخ حتى خرج حيمان مبتسمًا ورافقه كولدو..

قال حيمان لكولدو بثقة:

. قلت لك سيأتي

ثم دنا مني واحتضني بقوة وفعل الأمير كولدو مثله.. جلسنا أمام كوخ حيمان نتبادل نظرات الامتنان حتى قال حيمان . تعلم أن قادة جيوش المملكة يبحثون عنك.. لم تركت الجيش ورحلت بعد الحرب؟!

. أردت أن أريح خلدي قليلًا

فأردف حيمان بتوجس:

. هل ما زلت تثق بهذا السيورنتي الذي رافقك.. وأبيت أن يعتدي عليه
أحد

قلت بثقة:

. أتعلم من هذا السيورنتي؟!

. لا أعلم من هو بالطبع

. إنه مفتاح المعبر الذي أتيت منه.. وهو من يعرف كيف يعيدني إلى وطني.. ولأن المعبر كان في اتجاه واحد وأنا أول من عبره إلى أرضكم فإن هناك سبيلًا ليأتي من ذهب منهم إلى عالمي هنا ثانية وسيأتون بعلومنا وأسلحتنا.. ولا أريد أن يتمكن السيورنتاس من هذا أو يذهبون إلى عالمي فيفسدوه

فقال حيمان بعجب:

. ماذا تقول؟!

. حيمان أنا لا أنتمي إلى هذا العالم

قاطعني كولدو:

. ماذا تقول يا شاكريم؟!

قصصت عليهما قصتي وما حدث في وطني وما حدث لي هنا منذ
وصولي حتى الحرب وما فعلته.. ونبوءة السيورنتاس وكل شيء حدث حتى
أن البلاهة كست وجوههما.

قال كولدو:

. هل يوجد كون غير هذا؟!

. هذه نقطة في كون فسيح.. وأنتم لا تعلمون شيئاً عما يحدث

ثم أضاف حيمان:

. ما أعجب ما سمعت منك يا شاكريم.. هكذا قلت إن العلم الذي
لدينا قليل حتى علمي الذي وصلت إليه لم أكن به عالماً.. لقد قرأت
العقول وتواردت معك مثلما فعل السيورنتاس مع الكهنة

وتابع حيمان:

. هذا يفسر لما زاد لهيب الحرب عندما ظهرت.. لعل الكهنة أخبروهم
بظهور صاحب النبوءة

قلت بأسى:

. هذا صحيح

ثم قلت لكولدو:

. هل تعود أمير المملكة كالسابق وتلغي القوانين الجائرة لأجل أن يحل العدل؟

قال كولادو بحزن:

. لن أعود أمير كالسابق.. لا أريد الحكم.. أريد أن أعيش فردًا من الشعب وأخدم مملكتي كواحد من صفوف الشعب

قال حيمان:

. القادة يبحثون عنك لتكون أمير المملكة يا شاكريم

قلت بخوف:

. لا أريد الحكم.. أنا أتممت رسالتي.. وأريد العودة من حيث أتيت

قال حيمان بعجب:

. هل ستترك الملوك.. وتعود كما كنت من قبل؟

. نعم أريد ذلك

فأردف حيمان بتوسل:

. لكنك لم تتم رسالتك بعد.. وربما سيعودون ثانية.. المملكة ستصبح

أقوى بك

فأضف كولادو:

. نعم أنت من له حق حكم اليكسارنه بعد ما فعلت لأجلها.. أرجوك يا

شاكريم كن حاكمنا وألغي قوانين المملكة الظالمة وأعدل بين الناس

فكرت مليًا وقلت:

. إن فعلت فلن يكون أبدا.. سأفعل حتى يعود الأمن ويتخلص الشعب

من عقائد الكهنة العابثة

فابتسما ثم أضفت:

لكفي أحتاج نائبين أقوياء مثلكما

فتبادلا النظرات ثم قال حيمان:

. وافقنا

لكن كولدو أضاف بحنق:

. لكن..

قال له حيمان بحزم:

. أصمت.. سنغادر نحو القصر يا شاكريم سريعاً لأن الشعب يسأل

بشأنك كل حين.. ارتدِ لثامك يا كولدو.. ولن تظهر وجهك لأحد

عندما وصلت إلى أبواب قصر اليكسارنه الأمامية أنا وحيمان وكولدو رأني حرس الأبواب الأمامية ثم انحنوا أمامي بإجلال فأومأت رأسي تحية لهم وعبرنا داخل القصر.. سرعان ما تجمّع قادة اليكسارنه أمامنا وكان حيمان عن يميني وكولدو عن يساري أما القادة يقفون صفّاً واحداً مستويّاً.. تقدم أحدهم ثم قال بأدب

. أنا القائد كنار القائد الثالث لجيوش اليكسارنه وأتولى زمام الأمور

لحين عودتك.. فقد اتفق مجلسنا بإجماع الآراء ونزولاً على رغبة شعبنا

العظيم أن تكون أنت أمير اليكسارنه وتحكمنا بنفس راضية

ثم أضاف وهو ينحني:

. لم ننس ما فعلته لأجلنا.. بل ما فعلته لأجل كوننا وأعلم أن شعوب

كون ميسلان تعشقك.. فإن صعودك للحكم سيجعل نفوذ مملكتنا

يزداد وتكتسب محبة الجميع

قلت بثقة:

. وافقت

ثم نظرت إليهم بعمق وأردفت:

. لكن عصر القوانين الجائرة قد ولى.. ولأنني لن أفعل شيئاً بغير مشورتكم أردت أن أستشيركم بشأن قوانين الإرث.. ففي أول قانون سيلغى؟

أوماؤ رؤوسهم بموافقة ثم تابعت بعدما نظرت إلى وجوههم بعمق:

. أما قانون الجاريات فسأقوم بإلغائه أيضاً

تبادلوا النظرات ثم تابعت:

. ماذا؟!.. هل ترون أنه عادل؟!.. من قال إن نجعل حرة من نساننا

ذليلة لأنها تمتلك الجمال.. أنا أحب جارية

نظروا إلىّ بعجب وأردفت:

. من منكم أحب جارية أيضاً يا قادة اليكسارنه؟!!

فصمتوا برهة ثم تحدث أحدهم بعمق:

. أنا فعلت

نظرت إليه بعمق وقلت:

. ما اسمك؟!!

. اسمي كرواف.. أنا أحد قادة جيوش اليكسارنه.. وأعلمك أنني

عشقت جارية أيضاً وهذا هو الفعل الصواب

ثم تابعت:

. وأين هي الآن؟!!

. لقد ألقيت بها في السجن

. لماذا فعلت هذا؟!!

. لقد لفظت حبي ولأنني قائد عظيم لم أقبل فعلتها.. لكني أعدك أن
أصلح الأمر فور صدور قانونكم وأتزوجها

قلت بخبث:

. ما اسمها؟!

. لو.. ..

. أصمت.

فصمت ثم تابعت:

. سأخطب بالشعب اليوم أما أنت يا كرواف فأريدك في أمر بيننا لن
يعلمه أحد سوانا

ونظر إلي الجميع بدهشة.. ولكني تماكنت غضبي قدر ما استطعت
حتى لا يعلم أحد ما بداخلي لكن حيمان كعادته علم.

قال دون أن يسمعه سواي:

. لا تفعل ما تقوله نفسك.. لا يحق لحاكم أن يبني حكمه على ظلم
وضلال

. أشعر بالموت.. أريد الثأر

فقال:

. الثأر لا يأتي سوى بقسوة القلب

. ماذا أفعل يا حيمان؟!

. وليه أحد قرانا وأنفيه بعيداً عن مملكتنا

قلت بغضب:

. أتري ذلك؟

. هذا هو الصواب

ثم صحت بهم وهم ينظرون لي بعجب:

. هيا لماذا تقفون هكذا.. كل في شأنه.. أعدوا منصة الخطبة..
وانشروا الأمر في مملكتنا

انصرف الجميع ونظرت إلى حيمان وكولادو مبتسمًا

عندما صعدت منصة الخطبة كان الشعب يقف أمامي مبتسمًا
وحيمان وكولادو خلفي وصف الحرس خلفنا وأمامنا بعض أيضًا..
تقدمت أمام الجميع.. وشردت قليلاً تواردت المشاهد في خاطري بين
شعوب محتلة وأخرى تم ازدهارها.. شعوب كون ميسلان وحروب.. أوصال
جثث في العالمين.. جهل وقنوط ووحدة.. صرخات أمهات وأنين أباء..
صداع قد حلّ برأسي وآلام أدمت عيناى حتى انسابت دمعة على وجنتي
لكن البهجة أمامي جعلتني أبتسم رغم ألمي.. وطفقت أتحدث.

"هذا مأل قصتي"

شعب اليكسارنه.. كم أنت شعب عظيم حقًا.. لقد مررتم بالقهر
والذل وجور من سبقوني.. لقد ترسخت العقائد الباطلة في عقولكم مثل
باقي الشعوب.. وصرتم دمية بيد كهنة السيورنتاس.. هكذا وضعت
النبوءات الباطلة.. ورأيتم أن الضلال حق!.. آمنتم أن الحرب هي رغبة
إلهمك وحاربتهم لأجل لا شيء.. لعل غريزة التفرد جعلتكم تريدون قتل
الجميع.. وتعيشون بهذه الأرض وحدكم.

لعل ما قالته الكهنة بشأن الشمس كان مثل السحر.. فترسخ إيمانكم
بما يقولون.. وصار اللون الرمادي هو اللون السائد.. وهذا أمر سيحتاج
سنوات كي نقتله.. لكني على يقين بأننا سنفعل.

لكن قبل أن أقول ما سأقوم به الفترة القادمة.. وربما لن يستمر حكمي طويلاً فأنا أرى الشعب هو الحاكم والسيد وهو من يحكم من يتولى أمره فيجعله يتنازل عن راحته تلبية لندائه.

قصة السيورنتاس وكرهكم لهم جعلتهم يكرهونكم أيضاً وينتهزون الفرص حتى يعودوا ويفنوا جنسكم.. وما كان السيورنتاس إلا بشرا مثلكم لكن أجسادهم ضعيفة وعقولهم.. لديهم من العلم ما فاق جميع علومكم.. ولكن الجهل منعهم أن يحاربوكم.. وهذا حال البشر الجهل هو حقيقته والعلم طارئ عليه.

أما عما فعلتموه بهم فقد ولد البغض والكرامية.. وهذا هو جزاء الكره.. يا من تحتقرون شعوب غُلبت على أمرها.. ربما سيأتي يوم وتندمون أشد الندم على فعلتكم.. وكاد أن يحدث هذا لكننا استطعنا أن نوقف مدد السيورنتاس.. وربما لن نفعل المرة القادمة.

الحل في نشر الحب في أرضكم.. أنشروا الحب والسلام.. ولا فروق بيننا سوى بجنبنا للخير.. وحسن الخصال.. أنشروا السلم والعلم.. ودعوا الحق هو من يحكم.. يوم ما ستعاد القصة.. هكذا قال مستشاري حيمان.. وأنا أصدقه لكن هذا مستقبل.. فلا تدعوا الغد ينسيكم حاضرهم وأعملوا الصالح في حاضرهم لتصلحوا به مستقبلهم.

أخواني وأحبيتي.. العلم هو السبيل والجهل هو العدو.. ليس عدونا بشر مثلنا عدونا هو الجهل.. الجهل ما يبئد الشعوب.. الجهل هو الموت المثلث.

لقد اتخذنا قرارنا بشأن قوانين اليكسارنه الظالمة وسنلغيها.. لا وجود لقانون الإرث بعد اليوم.. لا وجود لقانون الجواري بعد اليوم.. لا وجود للكهنة بعد اليوم.. ولا يملك أحدهم أن يمنح صكوك الغفران.

أخواني من اليوم شعبنا حرّ يمدد يده بالخير للجميع.. ويساعد شعوب كون ميسلان كافة.. وسننقل لهم العلم حتى نضمن أن نقضى على حروب كوننا أبداً..

قصتي كان لها العجب ولن يصدقها منكم أحد.. لكني دون أن أسردها عليكم أريدكم أن تعلموا أن كل منكم بداخله فارس يستطيع تغيير مجرى التاريخ.. ومهما كان مهمشاً فإنه يستطيع..

أخواني عيشوا برخاء وأنا فرد منكم سأمضي بينكم وأعيش مثلكم ولا فارق بيني وبينكم..

هكذا كانت نظرات الحب في عين شعبي.. أنا ذلك السارق الذي أتى من أرض موازية ليغير مجرى التاريخ بهذا العالم.. لا تتعجب.. فربما كان الخير بداخلي.. لكني لم أجد فرصة لإظهاره في عالمي.. وهنا فعلت وتمكنت من تغيير مجرى التاريخ.. وأنا الآن في أسمى لحظات النشوة والانتصار لما حققته.. وهكذا ظل هذا المشهد طويلاً بين صحبات الشعب ووقوف حيمان خلفي هو وكولادو يريتان على كتفي.. والجنود تنحني أمامي.. ظل هذا المشهد في ذاكرتي طويلاً وتمنيت أن يدوم.. لكن..

نفيت القائد كرواف كما قال حيمان.. وأخرجت لوانا من سجنها.. قصت على قصتها.. وما عانته من كرواف.. واستباحته لجسدها.. فوددت قتله لكن حيمان ما جعلني أن أعدل عما في نفسي.. التمسست العذر للوانا عما فعلته بالسيدة أشا.. فهي كذبت مثلما كذبت أيضاً عندما قتلت مخلوقات السيورنتاس والقصص التي اختلقها منذ وصولي لهذا العالم..

أصبح شيمف مستشاري العلمي وكان يقضي أوقاته في تجاربه.. ولكني لم أتواصل مع روحه قط.. وقد حاول كثيراً أن يجد حلاً لسحر قومه ليتواصل معي لكنه لم يفعل أبداً.. ولكني تواصلت معه بكتاباتة.. وعلمت أنهم من قتل مارون بعد ما علم بشأنهم وأخبرني الكثير عن خيانتهم.

تزوجت من لوانا وعلى مدار أحد عشر عامًا حدثت هذه القصة.. قبل نهاية الأحد عشر عامًا بثلاث سنوات فقط أصبح لدي وريثي الشرعي لحكم اليكسارنه.. ولم يكف شيمف عن تجاربه بشأن المعبر.

قد علمنا أخيرًا كيف نجعل الطريق في اتجاهين.. وقد علمنا أخيرًا أن السنة هنا بخمس سنوات أرضية.. فمر الأحد عشر عامًا كأنهم خمسة وخمسون عامًا في عالمي..

في هذه الفترة زادت المؤامرات في كون ميسلان ثانية.. وتعرض وريثي الوحيد لمحاولة قتله فتمت إصابته في كتفه الأيسر.. ولأنني خفت عليه مما قد يحدث.. أردت أن أرسله إلى عالمي ومن رافقه الآن هو كولدو الذي ملّ من إخفاء وجهه..

غادر كولدو نحو عالمي في عام ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين عندما كان طفلي بعمر الثلاثة أعوام فقط.. غادر به خوفًا عليه من مخلوقات السيورنتاس التي بدأت تظهر هذه المرة.. وعلم كولدو كيف يعود به قبل أن يذهب.

لكنه لن يعود به قبل أن يبلغ رشده..

ولأنك تقرأ هذه القصة الآن فأعلم أنك بلغت رشدك يا تامر.. وأن الوقت كي تعود هنا حتى تكمل ما بدأتته.. إن لم تكن متأهبًا فلا تقرأ.. وأنت قرأت.. هذه هي وصيتي أن تعود لترى أباك ثانية.. وتتولى حكم المملكة..

لعل كولدو أحسن التنكر حتى لا تدرك أنه لا يهرم مثلنا.. أرجو أن تنفذ وصيتي وإن أردت فأسأل أباك كولدو عن إحدائيات المعبر.. أنتظرك يا بني.. أنا أعشقتك..

أغلق تامر الكتاب أمامه ووجد كولدو أمامه ينظر إليه بحب..

فقال تامر:

. ما هذا؟

. هذه حقيقتك يا تامر.. أرجو أن أكون أحسنت مثواك.. وفعلت ما

طلبه أبوك مني

ثم أضاف بحب:

. أنت ابن فارس أمير.. ورباك أمير أيضًا.. وقد أعطيت لك هذا الكتاب

باليدي.. ولكن زهور كوننا جعلتك تظن بقصة أخرى غير التي أخذت بها

الكتاب مني.. لك ما شئت الآن هل تريد العودة هناك؟!.. ألا تتذكر أي

شيء عن حياتك بكوننا؟!!

قال تامر:

. لا أتذكر

فقال كولادو مبتسمًا:

. لقد مر أكثر من أربعة أعوام فقط على عالمي منذ قدومنا هنا.. وها

قد بلغت رشذك.. هل ستعود؟!!

. لا أعلم شيئًا.. أشعر بأنه كذبة..

أزال كولادو أشياء تنكر بها ليرى تامر شابًا مثله أمامه فقال كولادو

مبتسمًا:

. هل تصدق الآن؟!!

. نعم

. هل ستعود؟!!

. نعم سأعود

فقال كولادو بأسى:

. لكفي لن أعود معك.. فقد عشقت من هذا العالم.. ولن أستطيع أن
أتركها

ثم ناوله ورقة وقال:

. هذه هي إحدائيات المعبر.. وتوقيت فتحه

قال تامر بعجب:

. كيف تعلمت أن تتحدث مثلنا؟!

. لدينا ميزة هنا بعالمكم مثلما لديكم ما يميزكم بعالمنا.

وفي ليلة سوداء شتوية لم تكف السماء عن الأمطار.. وبالقرب من
المعبر الذي قاد شاكريم نحو أرض اليكسارنه ركض تامر كثيرًا ينتظر
البرق.

انتظر كثيرًا لكنه لم يأت.

فجثا على ركبتيه ينظر إلى السماء ويتضرع..

لكن..

تمت

